كربلاء الشهود

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية ٢٠١٦

كربلاء الشهود

شهيدٌ وشاهدٌ ومشهود

العارف الرباني

آية الله السيّد أحمد النجفي (دام ظلّه)

كربلاء الشهود

شهيدٌ وشاهدٌ ومشهود

العارف الرباني

آية الله السيّد أحمد النجفي(دام ظلّه)

بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزي القارئ،
ما يطرح إشكالاً في ذهنك
ستجد جواباً له
إما في المقدمة أو في التمهيد
أو في الهامش.

مقدّمة الكتاب

لم تشهد المجتمعات الإنسانية خلال تطوّرها التاريخيّ قبولاً بالأفكار العلميّة أوالفلسفية الجديدة، فقد استغرب العقل تلك الأفكار والنظريات، ورفَضَها باعتبار أنها خارجة عن المعتاد. وليس هذا فحسب، فلطالما تعرّض أصحاب النظريات الجديدة للإقصاء والنّبذ والنّعت بالجنون في كثيرٍ من الأحيان. وظلّت تلك النظريات والأفكار العلمية والفلسفية تُواجَه بالاستهجان الكبير إلى أنْ حوّلها العقل مع مرور الوقت إلى حقائق مُعترفٍ بها. فباب العلم يبدأ بسؤال منطقي يتطوّر إلى معطياتٍ تصبح فيما بعد نظريات خاضعة للتفكير والتحليل، وفي الغالب تكون طريقاً لحقائق علميّة لا يمكن تجاهلها لِما لها من معطيات منطقية. فحقائق ومُسلّمات اليوم كانت نظريات وفرضيّات الأمس.

ولذا، أيها الموالي، لا تحكم فوراً بالبطلان والوهم على كلامٍ قد لا يتلاءم وذوقك الخاص أو على مطالب لم تسمع بها من قبل أو لم يصل علمك إليها. فلعلّ لهذه المطالب أصلاً في الكتاب أو في روايات أهل البيت عليهم السلام. وبالحد الأدنى، قد يكون الكلام

متوافقاً مع العقل والمنطق، إلا أن عقلك استغربه وقَصُر عن فهمه[(١)] وقلبك لم يقوَ على تحمّله لِوهْنٍ فيه وفي إيمانك. فلا تكن ذا جمود فكري وعقل لا يحلّل ولا يحاور ويفتقر إلى البعد الحسّيّ والمعرفيّ. فكما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: «ذلك لأن الناس أعداء ما جهلوه، فإذا طلع لهم باب من العلم فقصر دونه أفهامهم كذبوا قائله»[(٢)].

تمثّل كربلاء وواقعتها جزءاً لا يتجزأ من هويّة الشيعي واعتقاداته. ويجتمع الشيعة والموالون على إقامة مجالس العزاء لذكر مصائب سيّد الشهداء وأهل البيت عليهم السلام[(٣)]. غير أن السؤال الذي يطرح نفسه هنا: هل إنّ ما يُذكر من وقائع وأحداث في المجالس التي اعتاد الموالون على عقدها هو كلّ ما جرى بالفعل، أم أنّ هناك حقائق ومجريات لم تصلنا بعد وأُخفِيَت عنا؟ وهل من سبيلٍ لمعرفة حقيقة ما جرى في تلك الواقعة والتعرّف على المزيد

(١) يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «مَن قارف ذنباً فارقه عقلٌ لا يَرجِع إليه أبداً»، المحجّة البيضاء، ج٨ ص١٦٠.
(٢) آداب النفس، ج١ ص٩٢.
(٣) كما يجتمع الموالون لإقامة مجالس العزاء في أيام وليالي السنوات امتثالاً لأمر أئمتهم وكمظهر من مظاهر الحب الفطري لهم. فقد روي عن الإمام جعفر بن محمد الصادق أنه قال للفضيل بن يسار: «يا فضيل، أتجلسون وتتحدثون؟ قال: نعم جعلت فداك. قال الإمام الصادق عليه السلام: **إن تلك المجالس أحبها. أحيوا أمرنا، فرحم الله من أحيا أمرنا**»، (بحار الأنوار، ج٤٤ ص٢٨٢). كما ورد عنه عليه السلام: «**من بكى أو أبكى أو تباكى على الحسين وجبت له الجنة**»، أمالي الصدوق، ص١٢٥، مجلس ٢٩.

من الأحداث التي جرت في ذلك اليوم وما بعده؟ ثمّ، هل تكفي أن تكون معرفة الموالي لما جرى بكربلاء وعلى أهل البيت معرفة عقلية نقلية فحسب؟

إن مَن يعتمد الاستدلال العقلي والنقلي وحده في التعاطي مع وقائع عاشوراء وفقاً لما ذُكِر في التاريخ، هو مجحف وظالم وغير موضوعي، لأن ما وصل إلينا ليس كلّ ما جرى. وذلك لأنّ أكثر ما وصل، صدر عن لسان الأعداء حين أدلوا باعترافاتهم حول ما ارتكبوه يوم عاشوراء. فهل يعترف العدوّ بكل الجرائم التي اقترفها واقعاً؟ وبمدى فظاعة تلك الجرائم؟ ممّا لا شكّ فيه أن قاتل الحسين بن عليّ عليه السلام لم يعترف بكامل إجرامه وفظاعة أفعاله[١]، فهو عدوّ فاقد للإنسانية وليس للدين فحسب، ولذلك خاطبهم الحسين عليه السلام قائلاً: «إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون يوم المعاد فكونوا أحراراً في دنياكم». وليس هذا الحكم إلا بناءً على ما ورد إلينا من أولئك الجنود أنفسهم، ناهيك عمّا كتموه ولم يتجرّأوا على كشفه أصلاً. والتجربة خير دليل وبرهان، فقد دأب الكثيرون على التشكيك بما جرى على أهل البيت عليهم السلام من ظلم

(١) من كلامٍ للإمام الحسين عليه السلام: «يا عبد الله ليس يخفي عليّ الرأي، ولكن الله تعالى لا يغلب على أمره، ثم قال: «**والله لا يدعونني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي**، فإذا فعلوا سلّط الله عليهم من يُذِلّهم حتى يكونوا أذلّ فرق الأمم»، (الإرشاد، ص٢٢٣). والمقصود من العلقة القلب، وقد أورد الشيخ التستري في كتابه «الخصائص الحسينية»، ص٨٦، رؤيته لكلام الإمام عليه السلام، فقال: «وفي تعبيره عن **قلبه بالعلقة** إشارة الى شدّة مصيبته».

وتعذيب وقهر حتى رأوا بأمّ أعينهم ما يفعله النواصب والتكفيريون[١] في يومنا هذا بحقّ الشيعة والموالين، فتبدّل موقفهم، ليقولوا إن ما وصلنا من أخبار عن الظلم الذي نزل على أهل البيت عليهم السلام ما هو إلاّ غيض من فيض، والحقيقة أعظم ولم يصلنا منها إلاّ القليل، وإلاّ لماذا على أثر ما جرى شابَ شعر مولاتنا زينب عليها السلام واحدودب ظهرها؟!

ومن هنا، ينبغي على الإنسان أن يترك في عقله مساحة تخوّله قبول الروايات التي يمكن أن ترِد إليه في ما يتعلق بأحداث يوم عاشوراء، وعليه أن يحتاط ويتروّى في إنكار هذه الروايات. فلماذا في الأمور المتعلقة بالرسائل العملية الفقهية، يُعتبر الجمع مقتضى الإحتياط بينما يُتغاضى عن إعمال هذه القاعدة في المسائل المتعلقة بعاشوراء؟ أين هو الاحتياط والورع في ما يتعلق بالمسائل الولائية؟ وعليه، كيف التعامل مع الروايات ضعيفة السّند التي تتناول أحداثاً جرت يوم عاشوراء؟ أيكون الاحتياط بالنفي والترك أم بالجمع لأنه الأقرب إلى التقوى؟ ينبغي علينا أن نحتاط ونعمل بالجمع، لأنه إذا كانت الرواية صحيحة بالواقع ورفضناها، سنفقد تلك الآثار والأرزاق والمقامات المعنوية التي كنا سننالها في حال قبِلنا بها.

وإنه لخلاف المباني التي وردت في علم الأصول والدراية والرجال أن نستبعد كل الروايات التي ينقلها الأعداء ونصنّفها على

---

(١) ﴿تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾، سورة البقرة، آية ١١٨.

أنها ضعيفة السّند، استناداً إلى القاعدة التي تقول بأن العدوّ فاقد للعدالة[١]. فعلى سبيل المثال، قد يعترف العدو أحياناً بمقتل جنود له بعد استهدافهم بعملية ما. فهل نرفض اعترافه ذاك بحجّة أن المتكلم عدوٌ غير عادل وغير مسلم؟ بالطبع لا، بل إننا في الواقع نعتبر أن عدد القتلى الذي اعترف بوقوعه هو أقل بكثير مما هو عليه في الحقيقة. فلماذا نتعاطى مع القضايا المرتبطة بواقعنا اليومي بهذا الأسلوب من التفكير بينما ننظر إلى وقائع يوم عاشوراء على أنها لا تعدو قصة تاريخية مجرّدة من المنطق والتحليل من جهة، ومن الوجدان والعاطفة والحبّ من جهة أخرى؟

حين تقع جريمة ما ويُكشف النقاب عن مرتكبها، يُطلب من القاتل أن يسرد وقائع جريمته وتفاصيلها ويكون الشاهد عليه تطابقَ اعترافاته مع أسلوب القتل الذي نفّذه. وعليه، اعترف الأعداء للمختار الثقفي[٢] بجريمة قتل ابن بنت رسول الله ﷺ وسرد كل

(١) ففي الموارد التاريخية لا يُنظر إلى صحة الحديث غالباً وإنما يُنظر إلى الوقوع للحدث وعدمه وهذا يحتاج إلى التواتر وطرق أخرى تبحث في محلها.

(٢) هو المختار بن أبي عبيد الثقفي، قاد ثورةً طالبت بدم الإمام الحسين بن علي عليه السلام وقتَلَ جمْعاً من قتلته ممن كانوا بالكوفة وغيرها أمثال عمر بن سعد وعبيد الله بن زياد وحرملة بن كاهل وشمر بن ذي الجوشن وغيرهم لعنهم الله، وكان شعاره «يا لثارات الحسين». وقد منعه من نصرة الحسين عليه السلام، مكوثه في سجن عبيد الله بن زياد الذي قبض عليه بعدما بلغه أن المختار يقول: «لأقومنَّ بنصرة مسلم بن عقيل ولآخذنّ بثأره»، عقب استشهاد مسلم على يد اللعين بن زياد. وحين خرج من السجن، انطلق بثورته الهادفة إلى الاقتصاص من قتَلَة الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام.

واحد منهم دوره الذي قام به، والجريمة التي نفذها في تلك الواقعة. فحاسبهم المختار طبقاً لما دعا به سيّد الشهداء عليه السلام على كل واحد منهم[(١)].

وليس الذي وصل إلينا منهم سوى الحدّ الأدنى من اعترافاتهم[(٢)]، فمن هو ذلك القاتل الذي يُفصح عن كل الجرائم والفظائع التي ارتكبها أمام القاضي مع علمه يقيناً بأنه سيحاسبه على كل حرفٍ يتفوه به؟ وإن الذي يقتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويسبي نساءه ويذبح أطفاله ويحرق خيامه وهو يعلم بمن فيها مِن رضّعٍ ونساء، لن يتورّع عن اقتراف أيّ جريمة مهما كان حجم فظاعتها وبشاعتها.

وإذا تمّ إعمال العقل بالحوادث التي وردت إلينا، فسوف نستنبط منها الكثير من الحقائق. وعلى سبيل المثال، عندما يقول رجل من الأعداء إنه رأى طفلة تائهة والنار تشتعل بأطراف ثيابها ولكنها من شدّة الخوف لا تحسّ بذلك، يتساءل العقل هنا: من

---

(١) ورد في الخبر أن الإمام الحسين عليه السلام دعا على قتلته بقوله: «... **وسلط عليهم غلام ثقيف يسقيهم كأساً مصبرة ولا يدع فيهم أحداً إلا قتلة بقتلة وضربة بضربة ينتقم لي ولأوليائي وأهل بيتي وأشياعي منهم** فإنهم غرّونا وكذبونا وخذلونا وأنت ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير»، اللهوف في قتلى الطفوف، ابن طاووس، ص٦٠.

(٢) قال سبط ابن الجوزي: وذَكر عبد الله بن عمرو الورّاق في كتاب المقتل: «أنّه لمَّا حضر الرأس بين يدي ابن زياد أمَر حجّاماً فقال: قَوّره. فَقَوّره وأخرج لغاديده ونخاعه، وما حوله من اللحم؛ واللغاديد ما بين الحنك وصفحة العنق من اللحم»، تذكرة الخواص، سبط ابن الجوزي، ص٢٣٣.

أين أتت هذه النيران وما منشأها؟ هل أُحرِقت الخيام وكانت هذه الطفلة في داخلها؟ أم أنّ هناك مَن تعمّد إضرام النار بها؟ كم أخذت النيران مأخذها من تلك الطفلة؟ وهل أحرقت جسدها؟ وكيف صار حالها بعد الاحتراق؟ فبإمكان العقل، إذاً، أن يحلّل ويجيب ويعطي النتيجة الأقرب للواقع وفقاً لما نُقل من وقائع.

وقد يقول قائل إنه من غير الضروري معرفة ما جرى في كربلاء باعتبار أن ذلك لن يُسهم شيئاً في تقريبنا من الله. في الواقع، يتعارض هذا الكلام مع ما قاله الإمام الباقر عليه السلام: «مَن لم يعرف سوء ما أوتي إلينا من ظلمنا وذهاب حقنا وما ركبنا به، فهو شريك من أتى إلينا فيما ولينا به»[(١)]. فعدم معرفة وقائع عاشوراء المؤلمة موازٍ لمشاركة الأعداء في ارتكاباتهم وظلمهم لأهل البيت عليهم السلام، فيكون مشمولاً باللعن منهم، حيث ورد في الزيارة: «اللهم العن أول ظالمٍ ظلم حق محمّد وآل محمّد وآخر تابع له على ذلك»[(٢)].

ولكي نتمكّن من الوصول إلى الحقيقة أو شيءٍ منها، علينا أن نجيب على الأسئلة الآتية:

بماذا صرّح أهل البيت وما الذي وصل إلينا منهم حول أحداث عاشوراء؟ ما الذي منع الحقيقة من أن تصل إلينا؟ بماذا اعترف الأعداء؟ ولِمَ تشكيك البعض بما صرّحوا واعترفوا به؟ ما تُراه يكون ذلك الذي لم يُصرّح به هؤلاء؟ وإذا كان هناك مريد لهذه

(١) بحار الأنوار، ج٢٧ ص٥٥.
(٢) زيارة عاشوراء، مفاتيح الجنان.

الحقيقة، هل من سبيلٍ آخر غير السبيل التاريخيّ المعهود الذي وصل إلينا لمعرفة الحقيقة؟

هناك عدة وسائل للمعرفة، إما عبر التواصل مع الإمام كما جرى مع الشيخ المفيد(١) أو رؤيته مباشرة وإخباره رائيه بأخبار معيّنة، كما حدث مع السيد بحر العلوم(٢) وغيره من علماء

(١) من تسديدات صاحب الزمان ﷺ للشيخ المفيد إرساله رسالتين إليه فيهما الكثير من الإرشادات والتوجيهات له وللمؤمنين، وصلته الأولى في أواخر شهر صفر سنة ٤١٠ ه، والثانية يوم الخميس في ٢٣ ذي الحجة سنة ٤١٢ ه، وقد ورد نص الرسالتين بالكامل في كتاب «الإحتجاج» لأبي منصور أحمد الطبرسي قدس سره من علماء القرن السادس الهجري. وقد ذُكرت الكثير من القصص التي تؤكد أن الإمام يسدّد العديد من العلماء الأجلاء في مسيرتهم نذكر منها قصّة جرت مع الشيخ المفيد قدس سره، حيث سأله أحد القرويين ذات يوم عن امرأة حامل ماتت فهل تدفن مع ولدها أم يجب إخراجه منها؟ فظن الشيخ المفيد أن الولد ميت في بطنها، فقال: لا حاجة لفصله عن أمه بل يجوز أن يدفن معها وهو في بطنها، فلما حملت إلى قبرها، أتى إلى النسوة شخص وقال إن الشيخ يأمر أن يشق بطن الحامل ويخرج الجنين إذا كان حياً منها ويخاط الشق ولا يحلّ أن يدفن معها، فعملت النسوة بما أوحى إليهن ذلك الشخص، **ثم أخبر ذلك القروي بعد مدة الشيخ المفيد بما وقع فقال له أنه لم يرسل أحداً ولا شكّ أن ذلك الشخص هو صاحب الزمان، وأُسقط الشيخ المفيد في يده بأنه أخطأ في الفتوى، فترك الفتيا والتزم بيته لا يغادره** حتى جاءه الأمر: «**أفِد يا مفيد، فإن أخطأتَ فعلينا التسديد**»، **فما كان من الشيخ إلا أن عاود الجلوس على منبر الفتيا**»، جنة المأوى، ص٢٨٦.

(٢) نُقل عن السيد بحر العلوم أنه جاء إليه رجل وسأله عن إمكان رؤية الإمام الحجة عليه السلام في زمن الغيبة الكبرى. فسكت السيد عن جوابه وطأطأ رأسه وخاطب نفسه: «**ما أقول في جوابه؟ وقد ضمّني عليه السلام إلى صدره**»، جنة المأوى، ص٥١.

الشيعة[١]، أو عبر المعرفة الشهودية التي تعتمد على الرؤية القلبية لِما حدث من وقائع. «وتتعلق هذه المعرفة بعين المعلوم وذاته دون وساطة الصورة والمفهوم الذهني للمعلوم وهذه المعرفة مصونة عن

(١) هناك الكثير من القصص المعروفة حول تشرّف عدد من العلماء برؤية الإمام عجل الله فرجه. ونظراً لتعذر ذكرها في هذا الموضع، نورد بعض المصادر التي تناولتها بإسهاب: قصة تشرف العلامة الحلي برؤية الإمام المهدي عجل الله فرجه، ويروي هذه القصة العالم الجليل التنكابني في كتابه القيّم «قصص العلماء» عن العالم الشيخ اللاهيجي عن أستاذه، أنه رأى القصة بخط العلامة الحلي في نسخة كانت له من كتاب «التهذيب» للشيخ الطوسي، وقد دوّن العلامة هذه القصة على هامش رواية كان الإمام عليه السلام قد حدّد له مكانها من كتاب «التهذيب»، (منتخب الأثر، الشيخ الصافي، ص٤١٧). ذَكَر المقدس الأردبيلي في كتابه «حديقة الشيعة» أنه جمع بين توقيع السمري، وقصص اللقاء في كتاب سمّاه «النص الجلي على إمامة مولانا علي»، (حديقة الشيعة، ص٧٥٢). أورد المحدّث النوري عليه الرحمة نقلاً عن «الدر المنثور» ما يلي: «سمعت من بعض مشايخنا وغيرهم أنه لما حجّ كان يقول لأصحابه: «نرجو من الله سبحانه أن نرى صاحب الأمر عليه السلام، فإنه يحجّ في كل سنة»، فلما وقف بعرفة أمر أصحابه أن يخرجوا من الخيمة ليتفرغ لأدعية عرفة، ويجلسوا خارجها مشغولين بالدعاء، فبينما هو جالس إذ دخل عليه رجل لا يعرفه فسلّم وجلس، قال: فبهت منه، ولم أقدر على الكلام، فكلمني بكلام. نقله ولا يحضرني الآن. وقام، فلما قام وخرج خطر ببالي ما كنت رجوته، وقمت مسرعاً فلم أره، وسألت أصحابي فقالوا: «ما رأينا أحداً دخل عليك»، (مستدرك الوسائل، ج٣ ص٣٩١). وقد نقل العلامة النوري رحمه الله لقاء السيد رضي الدين محمد بن محمد الآوي الحسيني بالإمام نقل على إثره دعاء العبرات المشهور ومن أراده فليراجع النجم الثاقب، ج٢ ص١٢٧. إضافة إلى عدد غفير من قصص العلماء الذين تشرفوا بلقاء الإمام حيث أطلعهم على بعض الأدعية وطرق الاستخارة وغيرها من المسائل العلمية.

الخطأ والاشتباه ولكن تفسير هذه المشاهدات يقبل الخطأ والاشتباه»[١]. وإنّ الشهود لا يحدّه زمن وقد يرى صاحبه أحداثاً حصلت في الماضي أو ستحصل في المستقبل. غير أنّ لهذه المعرفة القلبية الحضورية التي تأتي عن طريق الكشف والشهود شروطاً وآداباً.

إنّ من الشروط الأساسية لهذه المعرفة الحصول على الإذن والتوفيق من الله تعالى والمحبّة للعترة الهادية والعبودية الحقة لله عزّ وجلّ ثم لُطف القريحة وسلامة الذوق والحواس وسعة القابلية والاستعداد ودعاء القلب والإخلاص والنيّة الصادقة والبيان[٢]. وهذه الأمور إنما هي مختصّة بأصحاب القلوب الصافية دون غيرهم من الناس فمن لم يجعل الله له نوراً ما له من نور، كما أنه لا يدرك النور إلا النور ولا العلم إلا العالم، وذلك فقط ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾. فهذا الفرد يرى بعين البصيرة وبنور الله، «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»[٣]، بعد أن نجح في رفع غشاوة التقليد (لآبائه)[٤] وحجاب العصبية عنه. إلا أنّ تفسير

(١) دروس في العقيدة الإسلامية، الشيخ محمّد تقي مصباح اليزدي، ص٤٨.

(٢) ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۞ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۞ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۞ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾، سورة الرحمن، الآيات ١حتى ٤.

(٣) بحار الأنوار، ج٢٤ ص ١٢٣.

(٤) ﴿قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ۞ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۞ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ۞ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ﴾، سورة الشعراء، الآيات ٧٤ حتى ٧٨. ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾، سورة الزخرف، آية ٢٢.

المشاهدات والمكاشفات وعرْضها من خلال الألفاظ والمفاهيم يحتاج إلى قدرة ذهنية عالية لا يمكن حصولها إلا بخلفية طويلة من الجهد العقلي وإلا سيقع السامع في الضياع والإنحراف. ومن هنا، فإنّ مثل هذه المشاهدات القلبية والشهودية غير ممكنة لأيّ شخص كان.

وهذه المعرفة متاحة للأنبياء والأئمة منذ أن كانوا في بطون أمهاتهم، فكما ورد في حديث الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ الامام يخلقه الله بيده لا يليه أحد غيره وهو جعله يسمع ويرى في بطن أمه حتى إذا صار إلى الأرض خط بين كتفيه: وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدّل لكلماته وهو السميع العليم»[1]. وكذلك فإن هذه المعرفة متوفرة لشيعة أهل البيت عليهم السلام وأوليائهم، كلٌ بحسب ظرفيّته ووعائه الوجودي ومعرفته ومحبّته وبراءته، إذ إن هناك من غير الأئمة[2] مَن يتميّز بنوعٍ من أنواع الشهود منذ طفولته أيضاً. والقرآن يذكر أن هناك مَن يحظى بمعرفة وعلم يمكّنانه من القيام بأمورٍ يعجز غيره عنها كما في الآية الكريمة: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلۡمٌ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ﴾[3]. هذا وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «اعرفوا منازل شيعتنا بقدر ما يُحسنون من رواياتهم

(١) بحار الأنوار، ج٢٥ ص١٤٩.

(٢) عن أمير المؤمنين عليه السلام: «وما برح لله عزت آلاؤه في البرهة بعد البرهة، وفي أزمان الفترات، عباد ناجاهم في فكرهم، وكلمهم في ذات عقولهم، فاستصبحوا بنور يقظة في الأسماع والأبصار والأفئدة»، بحار الأنوار، ج٦٦ ص٣٢٥.

(٣) سورة النمل، آية ٤٠.

عنّا؛ فإنّا لا نعدّ الفقيه منهم فقيهاً حتى يكون محدّثاً. فقيل له: أويكون المؤمن محدّثاً[(١)]؟ قال: يكون مفهّماً، والمفهّم محدَّث»[(٢)]. فهذه الرواية تدل على أن المؤمن يُحدَّث ويُلهَم ويُفهَّم ويُنفَث في روعه الحقيقة. ويمكن لمن أشرقت عليه الفيوضات الرحمانية أن يصرّح بما عرفه عبر الكشف والشهود خصوصاً إذا كان الشهود والكشف حاكِيَيْن عن وقائع تاريخية قد ثبتت أصولها في المصادر التاريخية المرويّة ويمكن الأخذ بها والاستئناس بمضمونها طالما لم تحلّل حراماً أو تحرّم حلالاً ولم تتعارض مع أصول العقائد الإمامية الثابتة بالنقل والعقل.

وكشاهد على ذلك، ما نُقل عن علمائنا الأعلام من رؤى ومكاشفات ومشاهدات حصلت معهم ويؤخذ بها على نحو الحقيقة في بعض الأحيان ومنها ما نُقل عن الخطيب الشيخ محمد الهنداوي قوله في كتابه «مجمع المصائب» عن أنّ شخصاً من المؤمنين رأى الإمام المنتظر في الرؤيا فسأله عن قوله في زيارة الناحية: «فلئن أخَّرتني الدهور، وعاقني عن نصرك المقدور، ولم أكن لمن حاربك محارباً، ولمن نصب لك العداوة مُناصباً، فلأندبنّك صباحاً ومساءً، ولأبكينّ عليك بدل الدّموع دماً»[(٣)].

(١) عن محمد بن أبي جرير القمّي قال: سمعتُ أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول لأبي: «من زار الحسين بن عليّ عليهما السلام عارفاً بحقه، كان من محدّثي الله تعالى فوق عرشه»، مستدرك الوسائل، ج١٠ ص٢٥١.

(٢) الوسائل، ج١٨ ص١٠٧.

(٣) إن شخصاً من المؤمنين رأى الإمام المنتظر في الرؤيا فسأله عن قوله في زيارة=

وهذه القضية ينقلها خدام أبي عبد الله الحسين عليه السلام على أنها من المسلّمات. إلى جانب ما يُتناقل بين الشيعة عن قضية زفاف القاسم بن الحسن عليهما السلام يوم عاشوراء، بما في ذلك ما نقله العلامة الدربندي في هذا الصدد ضمن كتابه «إكسير العبادات في أسرار الشهادات»(١). والعلامة الدربندي يُعتبر من أساطين علماء الشيعة وقطباً من أقطاب ناقلي الأحاديث التي تُخبر عمّا جرى في كربلاء ومع ذلك فهو ينقل الكثير من الحوادث عن طريق المعرفة الشهودية والقلبية التي حصلت معه أو مع غيره. ومن المفيد مراجعة ما حققه رحمه الله في كتابة المزبور عند تكلمه عن سبب نقله للأحاديث الصحيحة والضعيفة والمشاهدات(٢). أضف إلى ذلك ما نقله

=الناحية: «فلئن أخّرتني الدهور، وعاقني عن نصرك المقدور، ولم أكن لمن حاربك محارباً، ولمن نصب لك العداوة مُناصباً، فلأندبنّك صباحاً ومساءً، ولأبكينّ لك بدل الدّموع دماً». قال: سيّدي، تبكي على أيِّ مُصيبة؟ على مُصيبة الحسين؟ قال عليه السلام: لا، لو كان الحسين حاضراً لبكى. سيّدي، أتبكي على مُصيبة أبي الفضل العباس؛ لأنّه قطيع اليدين؟ قال عليه السلام: لا، لو كان العباس حاضراً لبكى. سيدي، أتبكي على مُصيبة عليّ الأكبر؟ قال عليه السلام: لا، لو كان علي الأكبر حاضراً لبكى. سيدي، أتبكي على مُصيبة القاسم؟ قال عليه السلام: لا، لو كان القاسم حاضراً لبكى. إذاً سيدي، لأيّ مُصيبة تبكي دماً؟ قال عليه السلام: أبكي لسبي عمّتي زينب.

(١) إكسير العبادات في أسرار الشهادات، المقام الأول: في تأييد وتسديد ما روينا في هذا المجلس من أن الإمام المظلوم عليه السلام زوّج القاسم بنته المسمّاة زبيدة. ج٢ ص٣٩٩ و٣٨٧ و٣٨٨.

(٢) ثم إنك هل تجوّز نقل الأحاديث الضعيفة المأخوذة من الكتب المعتبرة والروايات الشاذة الموجودة في جملة من كتب السير والأدب والتواريخ،=

المحدّث النوري في كتابه «دار السلام» الذي يعتبر مجمعاً من

=المعلومة الإنتساب إلى مصنفيها وأصحابها، وهكذا الروايات الموجودة في جملة من الأوراق العتيقة والتصانيف القديمة ممّا لم يعلم أسماء مصنّفيها أو لم يثبت الانتساب إليهم؟

ثم ما تقول في شأن القصائد والأشعار المنظومة بالعربية أو العجمية من الفارسية أو التركية وغيرهما، فهل في هذا الشأن أصل وضابطة أم لا؟

ثم ما تقول في شأن المحترزين عن الكذب المقيّدين كلماتهم بقولهم كأنه قال بلسان الحال كذا، أو كأنها قالت بلسان الحال كذا... أو ما يشبه ذلك... فهذا هل يخرج المقال عن الكذب أم لا؟

قلت: إن تضييق الدائرة وتوسعتها ليس في طوعنا، بل أن ذلك مما هو بحسب الشرع، فإنا ما تكلمنا في موضعين من ها هنا وهناك بشيئين متناقضين، فإن عدم تجويزنا التعمّد في الكذب لا يختصّ بموضع دون موضع، بل أنه حكم عام غير مخصص يجري في الكل.. نعم، إنا قد أثبتنا جملة من المطالب في جملة من المجالس بالعمومات والأصول والقواعد العقلية والنقلية والإلتزامات الإخبارية ونحو ذلك... وليس هذا من تجويز الكذب في شيء.

ثم إن نقل الأحاديث الضعيفة من الروايات المرسلة والأخبار الموقوفة المقطوعة بحسب الأسانيد، أو المستندة إلى غير المعصوم مما لا ضير ولا عيب فيه من باب ذكر المصائب والرثاء... ولكن المراد من الروايات الضعيفة على هذا النمط أن لا تكون مقطوعة الكذب والوضع، بل أن تكون مما يحتمل صدقها وصدورها وإن كان على نمط الاحتمال المرجوح... ثم إذا كانت مما تعارض القطعيات العقلية أو النقلية وأصلاً من أصول مذهب الإمامية، فلا يجوز نقله للعوام إلا إذا كان الناقل قد سمع تأويله من العلماء الحذّاق فهذا كما ترى يجري في شأن الأخبار الصحيحة والموثقات والحسان أيضاً...

فقد بان من ذلك أيضاً جواز نقل ما يوجد في الأوراق العتيقة والتصانيف القديمة التي لا يعلم أسماء مصنّفيها، والأولى بل اللازم في كل ذلك بيان الحال بذكر حال تلك الكتب وتلك الأوراق، فمثل ذلك يسمّى عند العلماء. في باب تحمل الروايات. بالوجادة فهي أعم مما أشرنا إليه... =

مجاميع الرؤى والمشاهدات والمكاشفات القلبية الشهودية. وما هو متعارف عند الشيعة من أنه إذا قُرِئت قصيدة ابن العرندس التي تبدأ بعبارة «هم النور نور الله جل جلاله»، فإن الإمام صاحب الزمان عليه السلام يحضر في مكان قراءتها.

إضافة إلى الكثير من الرؤى والمشاهدات والمكاشفات القلبية التي تناقلها العوام والخواص والتي تخبر عن أحداث جرت أو عن محبوبيّة بعض العبادات المستحبة أكثر من محبوبيّة غيرها في بعض الأحيان، وهذا لا يعتبر كذباً على الله ورسوله والأئمة المعصومين عليهم السلام لأن هذه المنامات والمكاشفات والمشاهدات لا تعارض العقائد الحقة والأحكام الشرعية بل تساندها وتؤيّدها أحياناً وتكشف عن وقائع تاريخية قد ثَبُتَ أصلها بالمصادر أحياناً أخرى.

ولكن، ثمّة من لا يصدّق ولا يقتنع بكلام أولئك الذين خصّهم الله بهذه الخاصّية فتمكّنوا من مشاهدة الحقائق عياناً. غير أنه في الوقت ذاته، يؤمن ويصدّق بل ويعتقد بعلماء الفلك والمنجّمين وأولئك الذين يضربون بالمندل ويدّعون قراءة الكفّ والغيب. وإنْ

= وكيف كان، فإن المحتاط في دينه لا يترك الاحتياط ولا يفتح باب الجرأة والجسارة... فنشير ها هنا إلى جملة من الأخبار النافعة في أمثال هذا المقام والمفيدة أصولاً وضوابط... ففي رواية أحمد بن عمر الحلال قال: (قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: الرجل من أصحابنا يعطيني الكتاب ولا يقول إروِ عني، يجوز لي أن أرويه عنه؟ قال: فقال: إذا علمت أن الكتاب له فاروه عنه). إكسير العبادات في أسرار الشهادات، ج١ ص٦١٧-٦١٨.

قال أحدهم إنه لا يؤمن بأمثال هؤلاء، فلن يستطيع إنكار أنه يؤمن بصدقِ مناماته التي يراها ويعتقد بتحققها في الواقع. فهل الأحلام والرؤى التي يراها الأفراد العاديّون الذين لم يصلوا إلى أيّ مقام في مجال الاتصال بأهل البيت عليهم السلام هي أصدق وأكثر واقعيّة من المشاهدات التي يرويها أفرادٌ وفّقهم الله للوصول إلى هذا المقام وهذه المنزلة؟

وإن ما يثير العجب أنّ هناك من يُنكر بعض الأحداث التي جرت بكربلاء. وإنْ أقرّ بها، تجده لا يتفاعل فكرياً أو قلبياً معها. بينما في المقابل، يتفاعل ويبدي تأثره وآراءه وحماسته وأحياناً لا يبخل بدموعه حتى، عندما يتعلق الأمر بأحداث فيلم تمثيلي لا واقع له ولا سند لأحداثه ومجرياته. أَوَهل هذا هو القسط الذي أمرنا به الله تعالى في قوله: ﴿وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾[1]؟ أليس من الظلم أن يبدي البعض مشاعره وتعاطفه مع أحداث فيلم تمثيلي غير واقعي في حين يتعامل مع مجريات كربلاء وأحداثها بإجحاف وظلم وقسوة وعدم اكتراث وكأنها لا تعنيه! علماً بأنها واقعية وحقيقية؟ أَوَهل هكذا تكون المودة في القربى؟

وعليك أن تعرف، عزيزي القارئ، أن المنتقد إما أن يكون طالباً للحقيقة فيثير التساؤلات والانتقادات لهذا الغرض، أو قاصداً للإسقاط بدافع البغض والحسد، أو أن كبرياءه لم يسمح له بالاعتراف بعجزه عن فهم وإدراك الحقيقة. واعلم أنّ دلالة الكلام

(١) سورة هود، آية ٨٥.

تغني عن السّند، فنسبة حكاية الأولياء والعلماء عن كربلاء هي حكاية الصدى عن الصوت. وحينما يُحرم المرء من الحضور بين يدَي الله تعالى، فإن أول نعمة تُسلب منه هي اليقين. ولهذا، يظهر عنده الشكّ والإنكار والوهم في القلب بين الحين والآخر، لهذا فتدبّر. وكم من مُسَلّمةٍ اليوم كانت في الأصل عبارة عن إنارة استضاء بها قلب أحد أولياء الله ولكنه بسبب خشيته من عدم تقبل الآخرين لما قُذف في قلبه، عَمَد إلى إخفائه(١) عن عامّة الناس وأسرّه إلى الخاصّة فحسب.

فإن أردتَ معرفة الحقيقة التي جرت في كربلاء وملكوتها، عليك أن تنظر إلى باطنك. وكما قال نبي الله عيسى، على نبينا وآله وعليه أفضل الصلاة والسلام: «ليس العلم في السماء فينزل عليكم وليس في باطن الأرض حتى يخرج إليكم لكنّه مجبول بأنفسكم، فتأدّبوا بآداب الروحانيين تجدوا هذا العلم». فما تبحث عنه موجود في باطنك، ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾(٢)، ولهذا، ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا﴾(٣)، فإما تأخذه بيمينك أو بشمالك أو من وراء ظهرك. وحين تقرأه، إما أن تقول: ﴿يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ﴾(٤)، أو: ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ﴾(٥). فإن آيات الله موجَدة بنفسك، وما عليك

(١) من دعائنا لمولانا صاحب الزمان عليه السلام: «حتى لا يستخفي بشيء من الحق مخافة أحد من الخلق»، دعاء الإفتتاح.
(٢) سورة الذاريات، آية ٢١.
(٣) سورة الإسراء، آية ١٤.
(٤) سورة الحاقة، آية ٢٥.
(٥) سورة الحاقة، آية ١٩.

إلا أن تقرأ حروفها وتغوص في غمارها. وقد تجد في طيّات هذا الكتاب الكثير ممّا تريده وتبتغيه ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُۚ﴾[1]. ولكن، عليك أن تقرأ كتابك بالعشق وأن تترك الأنا وعند ذلك يريك الله الحقيقة، فتكون مصداقاً للآية الكريمة: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾[2]، فكلٌ يراه بحسب معرفته وينال على قدر طاعته ومحبّته وبراءته فمنهم من يراه قريباً ومنهم من يراه بعيداً.

وإليك، أيها الموالي، هذه النصيحة التي من شأنها أن توصلك إلى الرؤية القلبية. فعندما تواظب على سماع مجالس العزاء والأحداث التي جرت في كربلاء بإخلاص وتتفاعل معها وتسري في وجودك وتتغلغل إلى قلبك وباطنك بحيث تصبح واحداً معها، هنا قد تحصل على فرصة للمشاهدة القلبية لما جرى من أحداث في كربلاء. وقد يرى شخصان الحدث نفسه ولكن يختلف تفسير كلّ منهما له، وهذا لا يعني أن هناك خطأ في المشاهدة بل في تفسير وفهم كل واحد منهما لهذا الحدث، لذا، فإنّ الشهود هو حجّة مُلزمة لصاحبه ولمن يثق به فحسب وليس لكل الناس، طالما أن هذا الشهود موافق للشريعة والطريقة والحقيقة[3] ولا يتعارض معها. فعند الله خزائن كل شيء من خير وشر، ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا

(١) سورة إبراهيم، آية ٣٤.
(٢) سورة فصّلت، آية ٥٣.
(٣) «الشريعة أقوالي، والطريقة أفعالي، والحقيقة أحوالي»، ميزان الحكمة، ج٢ ص١٤٢٨.

عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعۡلُومٍ﴾[(١)]، إلا أن هذه الخزائن ليست في السماء ولا في أيّ مكان آخر سوى باطن الإنسان، فكلما غاص في أعماقه أكثر كلما يُفاض عليه من تلك الخزائن أكثر.

وأهل البيت عليهم السلام هم خزّان علم الله كما ورد في الزيارة الجامعة. وإنّ علم الله مطلق ولا يُحَدّ بحدّ، حتى ولو كان هذا الحدّ هو القرآن الكريم[(٢)]. فهل نحن محيطون بكل علم الله؟ وهل ما ظهر لنا هو كل علم الله؟ فقد ورد في حديثٍ عن الإمام الصادق عليه السلام أنّ مصحف فاطمة عليها السلام فيه علم ما يكون، إذ قال عليه السلام: «إنّ الله تعالى لمّا قبض نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم دخل على فاطمة عليها السلام من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلا الله عز وجل، فأرسل الله إليها ملكاً يسلّي غمّها ويحدثها، فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: إذا أحسستِ بذلك وسمعت الصوت قولي لي فأعلمته بذلك، فجعل أمير المؤمنين عليه السلام يكتب كل ما سمع حتى أثبت من ذلك مصحفاً... ثم قال: أما إنه ليس فيه شيء من الحلال والحرام، ولكن فيه علم ما يكون»[(٣)]. وعنه عليه السلام: «وإن عندنا

---

(١) سورة الحجر، آية ٢١.

(٢) بدليل الآية الكريمة: ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ﴾ (سورة النجم، آية ١٠)، ولم يُعلم ما أوحى إنما بقي مكتوماً. كما أن ضمير الهاء العائد إلى كلمة «أنزلناه» في آية: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾، لا يدلّ على أنّ ما أُنزل اقتصر على القرآن فحسب، فضلاً عن أنّ آية ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾، تشير إلى أن النزول مستمر في ليالي القدر بشكل دائم، حيث جاء الفعل بصيغة المضارع لا الماضي.

(٣) أصول الكافي، ج٢ ص٢٤٠.

لمصحف فاطمة عليها السلام، وما يدريهم ما مصحف فاطمة؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد، إنما هو شيء أملاها الله وأوحى إليها»(١). وفي رواية ثانية: «إنّ فاطمة مكثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خمسة وسبعين يوماً وكان دَخَلَها حزن شديد على أبيها وكان جبرائيل عليه السلام يأتيها فيُحسن عزاءها على أبيها، ويطيّب نفسها، ويخبرها عن أبيها ومكانه، ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها، وكان عليّ عليه السلام يكتب ذلك»(٢) فكل ما جرى على أولاد فاطمة عليها السلام وبالخصوص ما جرى في كربلاء موجود في هذا المصحف. وبناءً على أن الله قد أنبأ السيدة الزهراء عليها السلام بما سيجري على ذريّتها من مصائب بعدها وأملى عليها علم ما يكون، فإن الوقائع والمراسم العاشورائية الكربلائية متضمَّنة في مصحف مولاتنا فاطمة عليها السلام. وتقول الآية القرآنية: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾(٣)، فالآية لم تتضمن تعبير «كتاب مبين» أو «إمام مبين» أو «قرآن حكيم» بل أشارت إلى «كتابٍ» فحسب، وما يُدريك أن لا يكون المقصود من هذا الكتاب هو مصحف فاطمة عليها السلام؟ رزقنا الله وإياكم معرفة ما في ذلك المصحف، وهذا ما لا يتأتّى إلا بالإلهام(٤)، فكما ورد عنهم عليهم السلام: «من أحبّنا

(١) بصائر الدرجات، ص١٥٢.
(٢) أصول الكافي، ج١ ص٢٤١.
(٣) سورة الحديد، آية ٢٢.
(٤) عن أمير المؤمنين عليه السلام: «وما برح لله عزت آلاؤه في البرهة بعد البرهة، وفي=

وازداد في معرفتنا، ما سأل منّا مسألة إلا نفثنا في روعه جواباً لتلك المسألة».

وعندما تُقذف المعرفة الشهودية في القلب، يصبح الإنسان متصلاً بأهلها وهم محمد وآل محمد عليهم السلام. فهم القلم الذي يكتب ويخطّ على صدر المؤمن الموالي (القلب) وينقش فيه من أنوارهم ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾[1]. غير أنّ هذه الكتابة لن تتمّ إلا بعد العطش وصدق الطلب لتلك المعرفة. وكلما ازداد العطش واشتدّ الطلب، كلما كان رسم الكتابة ثابتاً أكثر. فقلب المؤمن المتعطّش للحب والمعرفة هو اللوح وقلم الله الذي يكتب به هو سيّد الشهداء أبو عبد الله الحسين عليه السلام والمداد هو دماؤه ودماء عليّ الأكبر وعليّ الأصغر التي رمى بها إلى السماء فلم تسقط منها قطرة واحدة إلى الأرض لقداستها، إلا أنها تنزل في قلب الموالي والمحبّ، كلٌ بحسبه، وتكون كالثورة في باطنه ضد الباطل والظلم والطاغوت، فيقوم لله[2] وتُبدَّل سيئاته حسنات ويصبح قوله وفعله وذاته من الله وفي الله وإلى الله.

=أزمان الفترات، عباد ناجاهم في فكرهم، وكلمهم في ذات عقولهم، فاستصبحوا بنور يقظة في الأسماع والأبصار والأفئدة»، (بحار الأنوار، ج٦٦ ص٣٢٥). وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «بنا أضاءت الأبصار وسمعت الآذان ووعت القلوب الإيمان»، بحار الأنوار، ج٥٦ ص١٩٦.

(١) سورة العلق، آية ٤.

(٢) ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟﴾، سورة سبأ، آية ٤٦.

ولقد حُزَّ الرأس من القفا ليُكتب على صفحة قلبك «عليّ وليّ الله»، وهل حروف العشق الإلهي غير اسم عليّ؟ وقد وقع القلم ورُفع الرأس وسال المداد، فإما أن تفتح صدرك لتروي قلبك منه فتنبت شجرة الولاية فيه وتتصل بشجرة الوجود المطلقة محمد وآل محمد عليهم السلام[١]، وإما أن تُرفع هذه الدماء وتُحجب عنك آثارها. فافهم أن الولاية لا تظهر إلا بالعشق والعشق لا يكون إلا بالدم وتحمُّل الأذى والسياط[٢].

وفي كربلاء، ظنّ البعض أن دماء الحسين عليه السلام قد جفّت بعدما أمسى على الرّمضاء وأن قيثارة الحبّ وحروف العشق والولاية قد انتهت وأنه ليس مؤثراً في هذا الوجود بعد ذلك، فأقبلت زينب عليها السلام لتقول إن مؤثرية دماء الحسين عليه السلام أصبحت أكبر بعدما خرجت من منحره وتوزعت على شرايين كل عشاقه! وإذا أردتم الدليل على ذلك أنظروا كيف يجري دم الحسين بداخلي، ثم

(١) عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**وطوبى شجرة في الجنّة أصلها في دار النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وليس من مؤمن إلّا وفي داره غصن منها (ولعلّ المقصود بدار المؤمن قلب المؤمن)**، لا يخطر على قلبه شهوة شيء إلا أتاه به ذلك ولو أنّ راكباً مجدّاً سار في ظلّها مائة عام ما خرج منه ولو طار من أسفلها غراب ما بلغ أعلاها حتّى يسقط هرماً»، الكافي، ج٢ ص٢٣٩.

(٢) عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «من أحبنا أهل البيت فليستعد عدة للبلاء»، (تأويل الآيات الظاهرة، ص٧٧٥). ومن كلام لرسول الله صلى الله عليه وآله: «ولا يزال محبنا منفياً مؤذياً منفرداً مضروباً مطروداً مكذوباً محزوناً باكي العين حزين القلب حتى يموت، وذلك في الله قليل»، تفسير فرات، ص٩٤.

ضربت رأسها بمقدّم المحمل، فلما سالت الدماء على وجهها، تأثر الوجود وضجّ الناس وتغيّرت القلوب، وكل العزاء والرثاء وما هو متعلق بشعائر سيّد الشهداء ما هو إلا صدى لتلك الدماء.

وخلاصة القول «إنّ الإنسان، ما لم يصبح بنفسه صاحب نفس ملهمة، لا يمكنه أنْ يفهم كلّ هذا الكلام، وقد كان تصديق الخواصّ للأنبياء عليهم السلام بهذا النحو حيث أنّ أصحاب النفس الملهمة كانوا يصدّقون بنبوّة النبيّ ويقرّون بنبوّته حقّاً. وأمّا أولئك الذين لمْ تكن لهم نفس ملهمة، فقد كانوا يدّعون تصديقهم لنبوّة النبيّ بتبليغ الآخرين لهم وتقليدهم، ولكنّهم كانوا بعد ذلك يسحبون السيوف في وجه أمير المؤمنين عليه السلام. فما لمْ يصبح الإنسان واحداً مع تلك الحقيقة لا يمكن أن يفهم ما إذا كان هذا من متاع النبوة أو ليس من متاعها، وفهم طبيعة النبوة ومتاعها لا يكون إلاّ أنْ يكون واحداً مع تلك الحقيقة»، كما قال آية الله السيد أحمد النجفي دام ظله.

ويقول الشيخ البهائي رحمه الله: «لأصحاب القلوب في هذا المقام كلمات سنيّة وإشارات سريّة وتلويحات ذوقية تعطر مشام الأرواح وتحيي رميم الأشباح، لا يهتدي إلى معناها ولا يطلع على مغزاها إلا من أتعب بدنه في الرياضات، وعنّى نفسه بالمجاهدات حتى ذاق مشربهم وعرف مطلبهم. وأما من لم يفهم تلك الرموز ولم يهتدِ إلى هاتيك الكنوز لعكوفه على الحظوظ الدَنِيَّة وانهماكه في اللذات البدنية، فهو عند سماع تلك الكلمات

على خطر عظيم»[١]. كما يقول الشيخ الطوسي في وصف أولياء الله: «فكأنّهم وهم في جلابيب من أبدانهم قد نضوها وتجرّدوا عنها إلى عالم القدس أن نفوسهم الكاملة وإن كانت في ظاهر الحال ملتحفة بجلابيب الأبدان لكنها كأن قد خلعت تلك الجلابيب وتجرّدت عن جميع الشوائب المادية، وخلصت إلى عالم القدس متصلة بتلك الذوات الكاملة البريئة عن النقصان والشر ولهم أمور خفية فيهم هي مشاهداتهم لما تعجز عن إدراكه الأوهام وتكل عن بيانه الألسنة وابتهاجاتهم لما لا عين رأت ولا أذن سمعت وهو المراد في قوله عزّ من قائل: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ﴾[٢]. وأمور ظاهرة عنهم هي آثار كمال وإكمال تظهر من أقوالهم وأفعالهم وآيات تختصّ بهم التي من جملتها ما يعرف بالمعجزات والكرامات وهي أمور يستنكرها من ينكرها أي لا يسكن إليها قلب من لا يعرفها ولا يقرّ بها ويستكبرها من يعرفها أي يستعظمها من يقف عليها ويقرّ بها»[٣].

عزيزي القارئ، هذا الكتاب، «كربلاء الشهود»، هو عبارة عن مجموعةِ محاضراتٍ لآية الله العارف الربّاني السيّد أحمد الموسوي النجفي (دام ظله) ألقِيَت في أيّام شهر محرّم الحرام وجرى تفريغها وجمعها ضمن ثماني نفحات كربلائية، وقد تمّ توثيقها بالرّوايات

(١) الأربعون حديثاً، في نقل كلام الشيخ الأجل البهائي رضي الله عنه، ص٦٢٦.
(٢) السجدة، آية ١٧.
(٣) العشق في البسائط الذاتية، ص٩٩.

المنقولة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام وإلحاقها بإضافاتٍ لمطالب ذات صلة.

ونسأل الله عيش السعداء وموت الشهداء ومرافقة العليين محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وآله الطاهرين والسلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

تمهيد

إنّ غاية الإنسان في هذا العالم هي الوصول إلى مقام العبودية وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(١). وأول العبادة هي المعرفة كما صرّح مولى الموحدين أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، حيث ترنّم قائلاً: «أول عبادة الله معرفته»(٢) وهذه المعرفة متوقفة على معرفة الإمام المعصوم. ولذا، ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «معرفتي بالنورانية معرفة الله»(٣). فعندما نعرفهم عليهم السلام بمقامهم النوراني، نصل بالتالي إلى معرفة الله، «من عرفنا فقد عرف الله»(٤)، و«بالعقول تُعتقد معرفته»(٥) كما قال عليه السلام. والعقول جمع عقل وهو أول ما خلق الله، وهو محمد صلى الله عليه وآله وسلم. وأما العقول، فهم الأئمة عليهم السلام. غير أنّ نور هذه المعرفة الذي مكانه

---

(١) سورة الذاريات، آية ٥٦.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة رقم ٤.

(٣) بحار الأنوار، ج٢٦ ص١، باب ١٣: في معرفتهم عليهم السلام بالنورانية وفيه ذكر جمل من فضائلهم عليهم السلام.

(٤) إكمال الدين، ص١٥١ و١٥٢.

(٥) نهج البلاغة، الخطبة رقم ٤.

القلب لا يتحقق ويتجلّى إلا بالعبودية وهذا النور يقذفه الله بقلب من يشاء أن يهديه. وهو يتأتّى بالنظرة منه تبارك وتعالى ببرق البصر. وعندما يظهر النور في القلب يَشِع ويُشِعّ. غير أن هذا منوط بالعبودية لأهل البيت عليهم السلام. فكما ورد عن إمامنا الصادق عليه السلام: «ما استأهل خلق من الله النظر فيه إلا بالعبودية لنا»[(١)].

وكما أنّ معرفة الإمام بالنورانية هي معرفة الله، كذلك العبودية لهم عبودية لله تعالى ولا فرق، إلا عند أهل الشرك وهذه هي نقطة الشروع بالعبادة للوصول إلى الله تعالى. وإنّ هناك من يرى مشكلة في أسماء العَلَم التي تشير إلى العبودية لأهل البيت عليهم السلام كعبد العليّ وعبد الحسن وعبد الحسين لاعتقاده بأنه شرك بالله بينما يكون مستغرقاً من الناحية العملية بعبوديته للدنيا وشهواته وأهوائه وقد ورد في الحديث: «من أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان النّاطق عن الله فقد عبد الله، وإن كان النّاطق ينطق عن لسان إبليس فقد عبد إبليس»[(٢)].

ولقد صدر الأمر الإلهي للملائكة بأنْ إذا سويته، أي آدم عليه السلام، ونفخت فيه من روحي فقَعوا له ساجدين. وإن كل من عصى واستكبر وتذرّع بأنه شرك ومخالف للتوحيد ولم يسجد، فهو بالحقيقة لم يسجد لله. وكل من لم يسجد لآدم[(٣)] فهو كإبليس الذي

(١) الاختصاص، ص٢٥٠.
(٢) تحف العقول، ص٣٣٦.
(٣) وآدم نوعان: آدم الأرواح وآدم التراب.

فسق عن أمر ربّه وأبى واستكبر وصار من الملعونين إلى يوم القيامة.

وإن أهل البيت هم أسماء الله العظام، وينبغي لأسماء الله عز وجل أن يكون لها تعيّن وظهور وتشخّص ومصداق وتجلٍ وإلا فلا معنى لها. ولهذا ورد عنهم عليهم السلام: «نحن والله الأسماء الحسنى»[(١)]. وعلى سبيل المثال، يتعيّن اسم الله المميت ويظهر في عزرائيل عليه السلام وهكذا بقيّة الأسماء. والسجود للرحمن هو عين السجود لله كونه اسم من أسمائه تبارك وتعالى، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾[(٢)]. وبالتالي، فإنّ التوسل والدعاء والطلب من الرحمن هو عين التوسل والدعاء والطلب من الله وهو قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[(٣)]، فمرجع كل شيء إلى الله. غير أنّ الناس يريدون أن يقطعوا ما أمر الله به أن يوصل وهذا ما يؤدي إلى الفساد في العالم.

إن ميثم التمار صار عبداً لأمير المؤمنين عليه السلام، بعدما اشتراه الإمام. ولكن عندما حرّره بدأ يبكي ويطلب منه أن يبقى على عبوديته له، حيث قال: إني لم أقطع كل هذا الطريق إليك حتى تحرّرني بل لكي أكون عبداً غير منفك عنك. فقال عليه السلام: إن عبوديتك لي لا يمكن أن تتحرر منها، وقولي بأنك حرّ هو من آثار

---

(١) الكافي، ج١ ص١٤٤.
(٢) سورة الفرقان، آية ٦٠.
(٣) سورة الإسراء، ص١١٠.

تلك العبودية. فالعبودية جوهرة كنهها الربوبية[١] وهذا مصداق الحديث القدسي: «... وما تقرّب إليّ عبدٌ بشيء أحبَّ إليّ مما افترضتُ عليه، وإنه ليتقرّب إليّ بالنافلة حتى أحبّه، فإذا أحببته كنتُ سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها، إن دعاني أجبتُه وإن سألني أعطيتُه»[٢]. فكل من يكون عبداً لهم عليهم السلام هو حرّ وإلا فلن يتمكن من أن يشعر بأية حرية في عالم الوجود أو يتذوق معناها وسيبقى طوال عمره أسيراً للدنيا ولنفسه الأمارة وعبداً لهما. وقد ورد في الزيارة: «السلام عليك يا أبا عبد الله، عبدك وابن عبدك وابن أمتك...»[٣].

إذن، لا يمكن للإنسان أن يصل إلى معرفة الله، التي هي الغاية من الخلق، إلا بالطاعة والعبودية. ولكن، ما هو السبيل للوصول إلى مقام العبودية هذا؟

إن العبودية في حقيقتها هي الإنكسار[٤] والذلة والخضوع لله

---

(١) قال الصادق عليه السلام: «العبودية جوهرة، كنهها الربوبية، فما فقد في العبودية وجد في الربوبية، وما خفي من الربوبية أصيب في العبودية»، مصباح الشريعة، باب العبودية (منسوب للإمام الصادق عليه السلام).

(٢) الكافي، ج٢ ص٣٥٢.

(٣) من زيارة الإمام الحسين عليه السلام يوم عرفة: «السَّلامُ عَلَيْكَ يا أَبا عَبْدِ اللهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يابْنَ رَسُولِ الله؛ عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ المُوالِي لِوَلِيِّكَ المُعادِي لِعَدُوِّكَ اسْتَجارَ بِمَشْهَدِكَ...»، مفاتيح الجنان.

(٤) الإنكسار نوعان: **إنكسار للخالق وانكسار للمخلوق**. فحينما يتعرّض المؤمن للأذى والقتل والذل وتتكالب عليه الدنيا وأهلها، **يتوجّه إلى الله وحده ويزداد فقره وانكساره له، فيتجلى الله به**، وقد قال أحدهم عن الحسين عليه السلام: «فوالله=

وحده لا لغيره. فإذا تحقق الإنكسار، تحققت العبودية. وبالمقابل، إذا فُقِد الانكسار، فُقِدت العبودية. وعلى سبيل المثال، إذا أقبل الإنسان على صلاته بقلبٍ يفتقر إلى الانكسار، لن يكون قادراً على التوجّه والتعبّد بنحوٍ حقيقي، وقد ورد في دعاء كميل: «وقد أتيتك بعد تقصيري وإسرافي على نفسي معتذراً نادماً منكسراً». وبالتالي، حين نأتي الله مكسورين، تتحقق فينا العبودية والمعرفة، وعند ذلك يتحقق الوصال.

والإنكسار يظهر في الإنسان عندما يرى نفسه فقيراً إلى الله تعالى. وبهذا، يُعلم أنّ ما يمنع الانسان من الشعور بحالة الانكسار تلك هو رؤيته الغنى لا الفقر في نفسه، مما يدلّ على أن عبادته التي يؤديها باطلة وليست سوى عبادة للنفس(١) لافتقارها إلى الانكسار والمعرفة، وافتقادِها بالتالي ما يؤهّلها لتحقيق

=ما رأيت مكسوراً قط، قد قتل ولده، وأهل بيته وأصحابه، **أربط جأشاً ولا أمضى جناناً منه، ولا أجرأ مقدماً**، والله ما رأيت قبله ولا بعده مثله، أن كانت الرجالة لتنكشف من عن يمينه وشماله انكشاف المعزى إذا شدّ فيها الذئب»، (تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٣٤٥)، وأما الإنكسار للمخلوق، فهو عندما تنصبّ البلاءات والمصائب على الإنسان ويتعرض للقتل والأذى **فيستسلم وينكسر لمن يتسبب له بهذا الأذى والبلاء، ويصبح ذليلاً وعبداً له**. إذاً، فالناس صنفان وقت الشدائد والمحن: **الأول يزداد فقراً وانكساراً وقرباً إلى الله، والثاني يزداد نقمةً وبعداً عن الله، فهل علمتَ أيها الموالي ما هو الفرق بينك وبين مولاك؟**

(١) «فكل سالك يسلك بخطوة الأنانية ورؤية النفس ويطوي منازل السلوك في حجاب الإنيّة وحبّ النفس تكون رياضته باطلة ولا يكون سلوكه إلى الله بل إلى نفسه»، الآداب المعنوية للصلاة، ص٣١، ٣٢.

العبودية لصاحبها. وقد سئل الإمام الصادق عليه السلام: «ما لنا ندعو فلا يُستجاب لنا؟ فقال: لأنكم تدعون من لا تعرفون، وتسألون ما لا تفهمون»[١]. وهكذا هو حالنا في الصلاة والصوم والعبادات. فإنْ أردتَ المعرفة، «فاطلب أولاً في نفسك حقيقة العبودية، واطلب العلم باستعماله، واستفهم الله يفهمك»[٢].

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّه يتوجّب على الإنسان أن يسعى بنفسه لتحصيل حالة الانكسار والخضوع والخشوع وإلا فسيُبتلى بارتكاب الذنوب والمعاصي، وعندها سينقاد جبراً إلى الانكسار حين يرغب بالتوبة. فعندما يرى الله أن العبادات التي يؤديها الإنسان خالية من الانكسار والخضوع والذلة والخشوع، التي هي علّة الإجابة، يعاقبه بالذنوب والمعاصي والبلاءات ليحطم كبرياءه[٣] ويوقظه من غفلته. وعندها، ينكسر ويخضع ويخشع ويعترف بذنبه وضعفه وفقره إلى الله[٤]، فيتوجّه إليه ويخاطبه بتمام الذل والعبودية بعد أن

---

(١) كتاب التوحيد، ص٢٠٩.

(٢) منية المريد، ص١٤٩ و١٦٧.

(٣) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن الله علم أن الذنب خير للمؤمن من العجب، ولولا ذلك لما ابتلى مؤمن بذنب أبداً»، الكافي، ج٢ ص٣١٣.

(٤) ورد في دعاء أبي حمزة الثمالي: «سيدي أنا الصغير الذي ربيته، وأنا الجاهل الذي علمته، وأنا الضال الذي هديته... أنا الذي أعطيت على معاصي الجليل الرشى، أنا الذي حين بشرت بها خرجت إليها أسعى، أنا الذي أمهلتني فما ارعويت، وسترت علي فما استحييت... وبحبل من أتصل إن أنت قطعت حبلك عني... إلهي، ما لي كلما قلتُ قد صلحت سريرتي وقرب من مجالس التوابين مجلسي، عرضت لي بلية أزالت قدمي»، كما ورد في دعاء آخر: «كم أتوب وكم أعود».

كان الكِبر قد سيطر عليه وجعله يُعجب بعباداته ويرضى عن نفسه ويثني عليها[(١)].

بيد أن هذا الانكسار والخضوع والخشوع غير ناشئ عن الولاية والحبّ والعشق، بل إن منشأه نفساني، إذ عندما تتقطع السبل بالإنسان، لا يجد له ملجأً سوى الله تعالى، وتلك هي عبادة العبيد أو التجار[(٢)]. ومع ذلك، على هذا الإنسان أن يستغنم الفرصة ويحوّل انكساره النفساني إلى انكسار ولائي، فيتوجه بكل وجوده إلى الله عزّ وجلّ وعندئذ، يتمكّن من التحقق بالعبودية، وتكون عبادته عبادة الأحرار. فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه عندما توجّه إلى الله في حاجةٍ له، نسي حاجته لانقطاعه إلى الله تعالى، فحالة الوصل والوصال تشغل المؤمن عمّا سوى الله عز وجل.

---

(١) يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: قال الله تعالى: «إن من عبادي المؤمنين لمن يجتهد في عبادتي فيقوم من رقاده ولذيذ وساده فيتهجدّ لي الليالي، فيتعب نفسه في عبادتي فأضربه بالنعاس الليلة والليلتين نظراً مني له وابقاءً عليه فينام حتى يصبح فيقرأه وهو ماقت لنفسه، زار عليها، **ولو أخلي بينه وبين ما يريد من عبادتي لدخله من ذلك العجب، فيصيّره العجب إلى الفتنة بأعماله، فيأتيه من ذلك ما فيه هلاكه لعجبه بأعماله ورضاه عن نفسه عند حد التقصير فيتباعد مني عند ذلك وهو يظن أنه يتقرب إليّ**»، بحار الأنوار، ج٧١ ص١٥١.

(٢) فالعبادة مراتب كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: **«إن قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار، وإن قوما عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، وإن قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار وهي أفضل العبادة»**، (ميزان الحكمة، ج٦ ص١٧).
ومن كلام له عليه السلام مع ربّه عزّ وجل: **«وعزتك وجلالك ما عبدتك طمعاً في جنتك ولاً خوفاً من نارك ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك»**، ميزان الحكمة، ج٦ ص١٨.

إذاً، لا تتحقق العبودية إلا بالانكسار والخضوع والخشوع وقد ورد في الحديث القدسي: «أنا عند المنكسرة قلوبهم»[(١)]. فحين ينكسر القلب، يظهر التوحيد وتظهر «لا إله إلا الله» في وجود الإنسان وهذا هو كمال المعرفة والتصديق، إذ يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «أول الدين معرفته (الله) وكمال معرفته التصديق به وكمال التصديق به توحيده وكمال توحيده الإخلاص له»[(٢)]، ولا يتحقق الإخلاص إلا بالتوجه التام للمعشوق ونفي ما عداه. أما إذا لم تنكسر القلوب، فلا يتجلى الله ولا يظهر فيها.

وإنّ الإنكسار لا يظهر بتمام صورته إلا في عزاء الحسين بن عليّ عليهما السلام. وهنا، يتحقق مصداق الحديث القدسي: «أنا عند المنكسرة قلوبهم»، حيث يأتي الإمام الحسين عليه السلام ويسدّ النقص الحاصل في عبودية الموالين. فسيّد الشهداء لمّا خضع لله عزّ وجلّ، ظهر خضوعه وخشوعه وانكساره في كل العالم، فكان كل خضوعٍ من فاضل خضوعه وكل خشوع بتبعيّة خشوعه، لا بل كل خضوعٍ كان له عليه السلام. وقد ورد في الرواية أن الأمّة المرحومة يوم القيامة ألف صفّ، تسعمائة وتسعة وتسعون صفاً منهم يدخلون الجنّة بشفاعة الحسين عليه السلام وصفّ يدخلون الجنة بشفاعة سائر الأئمة عليهم السلام[(٣)]. وذلك لأنّ شرط دخول الجنة هو العبودية المستلزمة للخضوع والخشوع وولاية أهل البيت عليهم السلام، فإذا نقُصَ شيءٌ من

---

(١) منية المريد، ص١٢٣.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة رقم١.

(٣) أسرار الشهادة، ص٨٧.

أحكام العبودية وأطوارها وأحوالها، كان الحسين عليه السلام هو المتمّم لها لأنه أصل العبودية وشجرتها ولذا كُنّي بـ«أبي عبد الله». فهو مصداق العبودية الأتمّ وهو عينها وظهورها وبطونها وأولها وآخرها ولا يمكن لأحدٍ أن يرقى إليه فيها. وانطلاقاً من هذا، فإن كل مؤمن عبد وخضع وخشع وانكسر وتذلل قد أخذ ذلك منه وبه وإليه. وهو الذي شهد تعيّن العبودية بكل ظاهره وباطنه، أَوَلم تقرأ ما ورد عنه في دعاء عرفة(١)! وإنّ ذلك لم يسبق لأحدٍ غيره ولن يلحق بأحدٍ بعده، ولذا كانت العبودية هو وهو العبودية بل كان هو «أبا عبد الله» ولمّا كان كل شيء يصدر عن الأب، صدرت عبودية

(١) «وَأنا أَشْهَدُ يا إلهي بِحَقيقَةِ إيْماني وَعَقْدِ عَزَماتِ يَقيني، وَخالِصِ صَريحِ تَوْحيدِي، وَباطِنِ مَكْنُونِ ضَميري، وَعَلائِقِ مَجارِي نُورِ بَصَرِي، وَأَسارِيرِ صَفْحَةِ جَبِيني، وَخُرْقِ مَسارِبِ نَفْسِي وَخَذارِيفِ مارِنِ عِرْنيني، وَمَسارِبِ سِماخِ سَمْعِي، وَما ضُمَّتْ وَأَطْبَقَتْ عَلَيْهِ شَفَتايَ وَحَرَكاتِ لَفْظِ لِساني، وَمَغْرَزِ حَنَكِ فَمِي وَفَكّي، وَمَنابِتِ أَضْراسِي، وَمَساغِ مَطْعَمِي وَمَشْرَبِي، وَحِمالَةِ أُمِّ رَأْسِي، وَبُلُوعِ فارِغِ حَبائِلِ عُنُقِي، وَما اشْتَمَلَ عَلَيْهِ تامُورُ صَدْرِي، وَحَمائِلُ حَبْلِ وَتِينِي، وَنِياطِ حِجابِ قَلْبِي، وَأَفْلاذِ حَواشِي كَبِدِي، وَما حَوَتْهُ شَراسِيفُ أَضْلاعِي وَحِقاقُ مَفاصِلِي، وَقَبْضُ عَوامِلِي، وَأَطْرافِ أَنامِلِي، وَلَحْمِي وَدَمِي وَشَعْرِي وَبَشَرِي وَعَصَبِي وَقَصَبِي وَعِظامِي، وَمُخّي وَعُرُوقِي وَجَميعِ جَوارِحِي، وَما انْتَسَجَ عَلى ذلِكَ أَيّامَ رِضاعِي، وَما أَقَلَّتِ الأَرْضُ مِنّي، وَنَوْمِي وَيَقْظَتِي، وَسُكُونِي وَحَرَكاتِ رُكُوعِي وَسُجُودِي، أَنْ لَوْ حاوَلْتُ وَاجْتَهَدْتُ مَدى الأَعْصارِ وَالأَحْقابِ، لَوْ عُمِّرْتُها أَنْ أُؤَدّي شُكْرَ واحِدَةٍ مِنْ أَنْعُمِكَ، ما اسْتَطَعْتُ ذلِكَ إلّا بِمَنِّكَ المُوجِبِ عَلَيَّ بِهِ شُكْرُكَ أَبَداً جَدِيداً وَثَناءً طارِفاً عَتِيداً»، دعاء عرفة، مفاتيح الجنان. فأي عظم لم ينكسر وأي شريان لم يُمزق وأي وريد وأي لحم لم يقطع إرباً إرباً، فما لي لا أبكيه!

كل العبيد منه عليه السلام. كما كان هو الشهادة والشهود والشاهد، بل كان هو سيّد الشهداء وأباهم كلهم بما دخل تحت دائرة الإمكان والأكوان من أوّل الوجود إلى آخره، فلا يكون الشهيد شهيداً إلا بتابعيّته له وبأخذه الشهادة منه عليه السلام، وكلٌ يأخذ على قدر نيّته ومحبته وولايته وبراءته، وينال بمقدار طاعته.

وإنّ الأنبياء والأولياء لم يتمكنوا من الارتقاء إلا به ومنه وإليه ولهذا نترنم بزيارته قائلين: «السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله، السلام عليك يا وارث إبراهيم حبيب الله...»، فهو الذي أورثهم العبودية الحقة ومنحهم إياها ودلهم عليها، فصيّر آدم عليه السلام عبداً بعدما بكى عليه وقُبِلت توبته به[(١)]، وصيّر إبراهيم عليه السلام عبداً بعدما بكاه[(٢)] لمّا شاهد ما جرى عليه في كربلاء. ولعل هذا هو معنى

---

(١) روى صاحب «الدرّ الثمين» في تفسير قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾؛ أنّه رأى ساق العرش وأسماء النبيّ والأئمّة عليهم السلام، فلقّنه جبرائيل، قل: «يا حميد بحقّ محمّد، يا عالي بحقّ عليّ، يا فاطر بحقّ فاطمة، يا محسن بحقّ الحسن والحسين، ومنك الإحسان»، **فلمّا ذُكر الحسينُ سالت دموعه وانخشع قلبه وقال: «يا أخي جبرائيل، في ذِكْر الخامس ينكسر قلبي وتسيل عبرتي!»**، قال جبرائيل: «ولدُك هذا يصاب بمصيبةٍ تصغر عندها المصائب»، فقال: «يا أخي وما هي؟»، قال: «يُقتَل عطشاناً غريباً وحيداً فريداً، ليس له ناصرٌ ولا معين، ولو تراه يا آدم وهو يقول: وا عطشاه، وا قلّة ناصراه! حتّى يحول العطش بينه وبين السماء كالدخان، فلم يجبه أحدٌ إلّا بالسيوف وشرب الحتوف، فيُذبح ذبح الشاة من قَفاه، ويَنهب رحلَه أعداؤه، وتُشهر رؤوسهم هو وأنصاره في البلدان ومعهم النسوان، كذلك سبق في علم الواحد المنّان، فبكى آدم وجبرائيل بكاء الثّكلى»، بحار الأنوار، ج٤٤ ص٢٤٥ ح٤٤.

(٢) حدثنا ابن عبدوس عن ابن قتيبة عن الفضل قال سمعت الرضا عليه السلام يقول: =

قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «حسين مني وأنا من حسين»(١). فكان هو السبيل إلى الله والمسلك إلى عبوديته.

فهل هناك من نبيّ أو وليّ بذل كل ما يملكه في سبيل معشوقه(٢)

=«لما أمر الله عز وجل إبراهيم عليه السلام أن يذبح مكان ابنه إسماعيل الكبش الذي أنزله عليه تمنى إبراهيم عليه السلام أن يكون قد ذبح ابنه إسماعيل وأنه لم يؤمر بذبح ذلك الكبش مكانه ليرجع إلى قلبه ما يرجع إلى قلب الوالد الذي يذبح أعز ولده بيده عليه فيستحق بذلك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب. فأوحى الله عز وجل إليه، يا إبراهيم من أحب خلقي إليك؟ قال يا رب ما خلقت خلقاً هو أحب إلي من حبيبك محمد صلى الله عليه وآله وسلم. فأوحى الله إليه، فهو أحبّ إليك أم نفسك؟ قال بل هو أحب إلي من نفسي. قال فولده أحب إليك أم ولدك؟ قال بل ولده. قال فذبح ولده ظلماً على أيدي أعدائه أوجع لقلبك أم ذبح ولدك بيدك في طاعتي؟ قال يا رب بل ذبحه على أيدي أعدائه أوجع لقلبي. قال يا إبراهيم فإن طائفة تزعم أنها من شيعة محمد ستقتل الحسين من بعده ظلماً وعدواناً كما يذبح الكبش ويستوجبون بذلك سخطي. **فجزع إبراهيم عليه السلام لذلك وتوجع قلبه وأقبل يبكي فأوحى الله عز وجل إلى إبراهيم عليه السلام، قد فديت جزعك على ابنك إسماعيل لو ذبحته بيدك بجزعك على الحسين وقتله وأوجبت لك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب وذلك قول الله عز وجل ﴿وَفَدَيْنَهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾**»، الخصال، للشيخ الصدوق، ص٥٨.

(١) بحار الأنوار، ج٤٣ ص٢٧١.

(٢) روي أنه وقعت صحيفة قد نزلت من السماء في يده الشريفة، فلما فتحها ونظر فيها إذ هي **العهد المأخوذ عليه بالشهادة قبل خلق الخلق في هذه الدنيا**، فلما نظر عليه السلام إلى ظهر تلك الصحيفة فإذا هو مكتوب فيه بخط واضح جليّ: «**يا حسين، نحن ما حتّمنا عليك الموت وما ألزمنا عليك الشهادة، فلك الخيار، ولا ينقص حظك عندنا، فإن شئت أن نصرف عنك هذه البلية فاعلم إنا قد جعلنا السموات والأرضين والملائكة والجن كلهم في حكمك**، فأؤمر فيهم بما تريد من إهلاك هؤلاء الكفرة الفجرة لعنهم الله، فإذا بالملائكة قد ملأوا بين=

كما فعل الحسين عليه السلام؟ أو وصل انكساره إلى ما وصل إليه انكسار الحسين بن عليّ عليهما السلام في كربلاء؟ لقد كان الأنبياء يستمدّون منه المدد في وقت الشدّة ويصبرون ويتحمّلون أسوة بما جرى عليه(١).

=السموات والأرض، بأيديهم حراب من النار ينتظرون لحكم الحسين عليه السلام وأمره فيما يأمرهم به من إعدام هؤلاء الفسقة، فلما عرف عليه السلام مضمون الكتاب وما في تلك الصحيفة، رفعها إلى السماء ورمى بها إليها وقال: إلهي وسيدي **وددت أن أُقتل وأُحيى سبعين ألف مرة في طاعتك ومحبتك، سيما إذا كان في قتلي نصرة دينك وإحياء أمرك وحفظ ناموس شرعك**، ثم إني قد سئمت الحياة بعد قتل الأحبة وقتل هؤلاء الفتية من آل محمد صلى الله عليه وآله»، كلمات الإمام الحسين، ص٤٨١ عن معالي السبطين وورد في أسرار الشهادة.

(١) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ إسماعيل الّذي قال الله تعالى في كتابه: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾، لم يكن إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، بل كان نبيّاً من الأنبياء، بعثه الله إلى قومه، فأخذوه فسلخوا فروة رأسه ووجهه، فأتاه ملَكٌ عن الله تبارك وتعالى، فقال: إنّ الله بعثني إليك، فمُرْني بما شئت، **فقال: لي أُسوة بما يُصنَع بالحسين** عليه السلام»، (كامل الزيارات، ص١٣٧). وعن بريد بن معاوية العجليّ قال: «قلتُ لأبي عبد الله عليه السلام: يا ابن رسول الله، أخبِرني عن إسماعيل الّذي ذكره الله في كتابه حيث يقول: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾، أكان إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام؟ فإنّ الناس يزعمون أنّه إسماعيل بن إبراهيم. فقال عليه السلام: إنّ إسماعيل مات قبل إبراهيم، وإنّ إبراهيم كان حُجّةً لله... قائماً صاحب شريعة، فإلى مَن أُرسل إسماعيل إذن؟ فقلت: جُعلت فداك، فمن كان؟ قال عليه السلام: ذاك إسماعيل بن حزقيل النبيّ عليه السلام، بعثه الله إلى قومه فكذّبوه، فقتلوه وسلخوا وجهه، فغضب الله له عليهم، فوجّه إليه اسطاطئيل ملَك العذاب، فقال له: يا إسماعيل، أنا اسطاطئيل ملَك العذاب، وجّهَني إليك ربُّ العِزّة لِأُعذّب قومَك بأنواع العذاب إن شئت. فقال له إسماعيل: لا حاجة لي في ذلك. فأوحى الله إليه: فما حاجتُك يا إسماعيل؟ **فقال: يا ربّ**،=

وإنّ ما جرى عليه وعلى نسائه وأولاده وأهل بيته وأصحابه تسبّب له بانكسار لا يفوقه انكسار وبذلك، كان عليه السلام مظهر الإنكسار الأتمّ، فتجلّى الحق بكل معانيه بالحسين عليه السلام في كربلاء بالتجلي الأتمّ، كمصداقٍ لقوله عزّ وجلّ: «أنا عند المنكسرة قلوبهم»، وهذا التجلي هو سبب سجودنا على تراب كربلاء المقدس.

لقد فتح الإمام الحسين عليه السلام لنا الطريق في كربلاء لنيل رضا الله(١)، حيث خطّ بدمه منهاجاً وصراطاً لشيعته، بدأ منذ ما قبل يوم عاشوراء ويمتدّ أثره ليصل إلى يوم القيامة. فرسَم لأهل التوحيد توحيدهم ولأهل العشق عشقهم ولأهل العبادة عبوديتهم ولسان حاله يخاطبهم قائلاً: إن أردتم الوصال «فها هنا محطّ رحالنا وها هنا مناخ ركابنا». غير أنه لا بدّ من البذل كشرطٍ أوّل للوصول إلى كربلاء، ودليل ذلك ما عبّر عنه الإمام عليه السلام في أكثر من موضع حيث قال: «من كان فينا باذلاً مهجته»، و«ها هنا تُسبى

=إنّك أخذتَ الميثاق لنفسك بالربوبيّة، ولمحمّدٍ بالنبوّة، ولأوصيائه بالولاية، وأخبرتَ خيرَ خلقك بما تفعل أُمّتُه بالحسين بن عليّ عليهما السلام من بعد نبيّها، وإنّك وعدتَ الحسين عليه السلام أن تكرّ (تكرّه) إلى الدنيا حتى ينتقم بنفسه ممّن فعل ذلك به، فحاجتي إليك يا ربّ أن تكرّني إلى الدنيا حتى أنتقم ممّن فعل ذلك بي، كما تكرّ الحسين عليه السلام. فوعد الله إسماعيل بن حزقيل ذلك، فهو يكرّ مع الحسين عليه السلام»، كامل الزيارات، ص١٣٨.

(١) عن الإمام الحسين عليه السلام أنه قال: «رضا الله رضانا أهل البيت»، (بحار الأنوار، ج٤٤ ص٣٦٧). وفي الحديث القدسيّ: «أخفيت رضاي في جفاء المخلوق، فمن كان يريد رضاي فليتحمل من الآخرين جفاءهم»، مستدرك الوسائل، ج١١ ص٢٨٩.

نساؤنا»، و«يا دهر أفٍ لك من خليل»(١) ومثيلاتها من العبارات التي تشير إلى أهمية البذل ونوعه وكمّه وكيفه في هذا الطريق.

وكلّ من يظنّ أن هناك سبيلاً آخر غير ما خطّه سيّد الشهداء عليه السلام ورسمه في كربلاء للوصال بكل الحقائق التوحيدية والولائية هو إمّا غافل أو جاهل، وعليه أن يلتفت إلى كلامه عليه السلام حين قال: «كلٌ سالك سبيلي»، ما يعني أن لا سبيل(٢) لكم غيري، فلا طريق لكم للوصول إلى الله والتحقق بأسمائه وصفاته ومعرفته والعبودية له إلا إذا سلكتم مسلكي وسبيلي. وقد اختصر لنا سيّد الشهداء الطريق بكربلاء التي هي أسرع الطرق(٣) إلى الله وأقربها منه(٤).

إنّ كل الوجود بكى على الحسين عليه السلام، فقد أقيمت له المآتم في عليين ولطمت عليه الحور العين وبَكَت السماء وسكانها وكل شيء دخل في الوجود وأقرّ بالمعبود، حيث ورد في زيارة سيد

---

(١) أحبّ حبيباً واحداً لستُ أبتغي مدى الدهر عنه ما حييت بديلاً
فإن ظفرت كفي به فهو بُغيتي وإن فات ما أبغي سواه خليلاً

(٢) «أين السبيل بعد السبيل»، دعاء الندبة، مفاتيح الجنان.

(٣) قال الإمام الصادق عليه السلام: «كلنا سفن النجاة ولكن سفينة جدي الحسين أوسع وفي لجج البحار أسرع»، بحار الأنوار، ج ٢٦ ص ٣٢٢.

(٤) أنزل الله تعالى في بعض كتبه المنزلة: «**وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْراً تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعاً وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعاً تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعاً**»، (مستدرك الوسائل، ج٥ ص٢٩٨). كما ورد في زيارة عاشوراء: «يا أبا عبد الله إني **أتقرَّبُ إلى الله** وإلى رسوله وإلى أمير المؤمنين وإلى فاطمة وإلى الحَسن وإليكَ **بمُوالاتك وبالبراءةِ ممَّن قاتلك ونصبَ لك الحرب وبالبراءة**» وهو معنى «**أحبّ الله من أحبّ حسيناً**»، (بحار الأنوار، ج٤٣ ص٢٧١)، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها**»، **وكلمة عشر نسبة لعاشوراء.**

الشهداء عليه السلام: «أشهد أنّ دمك سكن في الخلد واقشعرّت له أظلة العرش»[١]، أي أنّ دماءه عليه السلام تركت أثرها على العالم العلوي والسفلي. فقد تأثرت الأشياء كلها وتألمت وبكت واضطربت وظهر الفساد والخلل في العالم كله بظاهره وباطنه، وعلوّه ودنوّه، لأجل هذه المصيبة العظمى. لا بل إنّ منشأ ما جرى على الحسين عليه السلام هو ذلك الفساد والظلمة اللذين ظهرا في العالم العلوي ثم السفلي، ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾[٢]، فما كسبته أيدي الناس أظهر الفساد والظلمة وأدّى إلى وقوع تلك المصيبة. ومردّ ما اكتسبته أيدي الناس هو إلى القلوب والنوايا[٣] (البواطن) التي سبقت في ذاك العالم حين ﴿أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ﴾[٤]، فتمام الظهور تمام البطون. ومع

---

(١) الزيارة الأولى للإمام الحسين عليه السلام، مفاتيح الجنان.

(٢) سورة الروم، آية ٤١.

(٣) عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إنّما الأعمال بالنّيّات** ولكلّ امرئ ما نوى»، (بحار الأنوار، ج٦٧ ص٢١٢). وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**النيّةُ أساسُ العمل**»، (غرر الحكم، ص٣٢٣). كما يقول الإمام الصادق عليه السلام: «إن الله **يحشر الناس على نياتهم** يوم القيامة»، (بحار الأنوار، ج٧ ص٢١٩).

(٤) سورة الأعراف، آية ١٧٢. وفي رواية طويلة عن المفضّل بن عمر عن الإمام الصادق عليه السلام، نورد بعضاً منها: «... **يا مفضل إن الله أمر الأظلة ولا ظل ولا ظلال غيرها فأخذ بقدرته من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم** «**ألست بربكم**»؟ **قالوا**: **بلى أقررنا**، قال المفضل: وكانوا ذوي أجسام وصور وبصر وسمع ونطق وعقل؟ قال الصادق عليه السلام: نعم **يا مفضل ولو لم يكن لهم سمع وأبصار وعقول لما خاطبهم ولا أجابوا**، قال المفضل: قلت يا=

ذلك، كان الحسين هو الفجر(١).

والعلّة في تأثر كل الوجود وتألمه وبكائه من تلك المصيبة هي أنّ الإمام قطب العالم الأكبر(٢) وقلبه(٣) الذي منه يخرج المُضمَر وهو الكتاب المبين الذي أحصى الله فيه كل شيء ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾(٤). فإذا تكدّر ذلك القلب وتألم وتوجّع،

=مولاي فكانوا كذا أم كيف كنا؟ قال: **كنتم أشباحاً وأرواحاً بأبصار وسمع وعقول ونطق ثم أخذ عليكم العهد أن الله ربكم وحده**، قال المفضل: يا مولاي فلما أخذ علينا العهد بما أقررنا به له كيف كنا إلى أن ظهرنا؟ قال: **كنتم في علم الله معدودين منسوبين معرفين شخصاً شخصاً نفساً نفساً منذ وقت الأظلة إلى يوم القيامة**، فلما خلق الله آدم ونفخ فيه من روحه وخلق منه حواء... أخرجكم منه ومن حواء تظهرون في أوان ظهوركم وتبلغون إلى آجالكم ويقضيكم الله إليه...»، الهداية الكبرى.

(١) من كلامٍ لأبي عبد الله عليه السلام: «**اقرأوا سورة الفجر في فرائضكم ونوافلكم فإنها سورة الحسين بن عليّ** عليهما السلام وارغبوا فيها رحمكم الله»، (تأويل الآيات، ج٢ ص٧٩٦)، **فكان الحسين هو الفجر في القرآن الذي خرق بشهادته غياهب دجى الظلمات وهو صبح الأزل الذي أشرق منه النور فأزال عن القلوب الكفر والشرك والشكوك والشبهات.**

(٢) قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أتزعم أنك جرمٌ صغير وفيك انطوى العالم الأكبر»، (ديوان الإمام علي عليه السلام ص١٧٥) فالمعصوم هو العالم الأكبر.

(٣) من كلام لأمير المؤمنين عليه السلام: «... وهل يُعرف أو يوصف أو يُعلم أو يُفهم أو يُدرك شأن من هو **نقطة الكائنات وقطب الدائرات** وسرّ الممكنات وشعاع جلال الكبرياء وشرف الأرض والسماء...»، (كتاب مسند الإمام علي عليه السلام، ج٩ ص٣٣؛ مشارق أنوار اليقين، ص١١٤). وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «أنا علم الله **وأنا قلب الله** الواعي ولسان الله الناطق وعين الله الناظرة وأنا جنب الله وأنا يد الله»، بحار الأنوار، ج٢٤ ص١٩٨ باب ٥٣ ح٢٥.

(٤) سورة يس، آية ١٢.

توجّعت كل الأعضاء ممّا تحلّه الحياة والقوة[١]. وكلما كانت الحياة والقوة فيه أكثر، كان تألّمه أكبر. وأما الذي لا تحلّه الحياة فلا يتألم لأيّ وجه من الوجوه.

ولمّا كانت الحياة في العالم الأكبر هي بقوة العلم بالله ومعرفته - «من عرَفنا فقد عرف الله»[٢] - كان كل مَن عِلمه وطاعته وخضوعه لله أكبر، يتمتع بالحياة أكثر، وبالنتيجة يتألم ويتوجع ويحترق قلبه للحسين أكثر. وفي المقابل، كل مَن كان علمه بالله ومعرفته وخضوعه أقل، كانت حياته وتألمه وتوجعه أقل. فكلٌ يسبّح بحمده وتسبيحه دليل على وجوده وبالتالي على علمه وحياته وقدرته. ولذلك ورد في الزيارة: «ما أعظم مصيبتك عند من عرف الله»[٣]. وإنّ كل الموجودات مندرجة تحت الوجود المقدس للنبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، والخطاب القرآني، الصامت والناطق، موجّه لكل المندرجين تحت هذا الوجود. ولذا، فالكل مكلف بالتسبيح والطاعة والمودّة في القربى[٤] مهما علا شأنه أو دَنَت رتبته، وعلى أساسه تكون حياته وقدرته وحدّه[٥]. وقد أمِر كل الوجود بالطاعة

(١) من كلام للإمام الصادق عليه السلام: «المُؤمِنُ أخُو المُؤمِنِ كَالجَسَدِ الواحِدِ، إنِ اشتكى شَيئاً مِنهُ وَجَدَ ألَمَ ذلِكَ في سائِرِ جَسَدِهِ»، الكافي، ج٢ ص١٦٦.

(٢) إكمال الدين، ص١٥١ و١٥٢.

(٣) زيارة للإمام الحسين عن الإمام الصادق عليه السلام، بحار الأنوار، ج٩٨ ص١٧٨.

(٤) ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (سورة الإسراء، آية ٤٤)، كما يقول الله تعالى: ﴿لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾، سورة الشورى، آية ٢٣.

(٥) «وإن الدهّر فينا قسمت حدوده ولنا أخذت عهوده»، (الهداية الكبرى؛ صحيفة الأبرار، ج٢ ص٥١٨)، فبمقدار حدّهم ووجودهم فيك، يكون علمك وحياتك وقدرتك.

لهم، «والله ما خلق الله شيئاً، إلا وقد أمره بالطاعة لنا»[١]، فكل الوجود على اختلاف مراتبه مأمور بالطاعة والمودة لهم تكويناً، إلا أن معظم الخلق خالفوا ظاهراً.

وإنّ أكثر من تأثر وانكسر بمصيبة الحسين عليه السلام هم محمّد وعليّ وفاطمة وزينب عليهم السلام، ويأتي بعد ذلك الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل. وأما من لا يرقّ قلبه لمصيبة الحسين عليه السلام، فهو ميّت بعيدٌ عن رحمتهم. فبالتألم والجزع والبكاء على الحسين يُستدلّ على مدى المعرفة بالله والوصول إلى قربه، إذ إن البكاء عليه هو أعظم العبادات والطاعات والقُرُبات بل هو دليل الإيمان، ومن أجل ذلك قال عليه السلام: «أنا قتيل العبرة، لا يذكرني مؤمن إلاّ استعبر»[٢]. فالحسين عليه السلام يقتل تلك العبرة فتنزف دموعاً مثلما ينزف الإنسان دماً عندما يُقتل. «فما عذري إنْ لم أبكِك وقد بكاك حبيب ربي وبكتكَ الأئمة وبكاك مَن دون سدرة المنتهى إلى الثرى جزعاً عليك»[٣].

وفي يوم عاشوراء، ظهرت أسرار الربوبية وتجلّى الله عزّ وجل في كل شيء بكربلاء فسطعت أشعّة الذات الإلهية وبرقت وتجلت على كل الأشياء حتى على التربة، فصارت تلك التربة علّة لأرض الكعبة تكويناً[٤] وخارقة للسماوات السبع، وباتت موطناً لكل

(١) بحار الأنوار، ج٤٦ ص٢٤٠.
(٢) كامل الزيارات، ص٢١٥، باب ٣٦، الحديث ٣.
(٣) كما ورد في إحدى زيارات الحسين عليه السلام المنقولة عن الإمام الصادق عليه السلام، كامل الزيارات، ص٢٣٧.
(٤) سئل الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام، أنه مَن الأفضل؟ أرض مكة أم أرض=

موالٍ ودواء من كل داء وذكرها شفاء والدعاء عندها مستجاب وزيارتها زيارة الله تعالى في عرشه[(١)] وباتت تحيي ذوي القلوب والأرواح الميتة، ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ﴾[(٢)]، وتبدّل هويّتهم، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ﴾[(٣)]، وصارت كربلاء قبلة الخشوع والخضوع. وإنما تحقّق ذاك التراب باسم الله الشافي والمحيي واكتسب هذا المقام والشأن الرفيعين بسبب كسر الحسين وزينب والعباس وبقية آل البيت والأصحاب عليهم السلام، وإذا كان هذا حال ومقام التراب، فكيف هو، إذاً، حال ومقام وشأن الأصحاب وأهل بيت العترة لا سيّما الحسين عليه السلام؟ فهل يمكن لأحدٍ أن يتصورّ مدى الكسر الذي أصيب به الحسين عليه السلام في آخر لحظات حياته الشريفة حين سمع زينب عليها السلام تتحدث إلى شمر بن ذي الجوشن لعنه الله؟ وحين رأى أخاه أبا الفضل العباس على الحالة

=كربلاء؟ فقال عليه السلام: «**إنّ أرض الكعبة قالت: مَن مثلي، وقد بني بيت الله على ظهري**، ويأتيني الناس من كلّ فجّ عميق، وجُعلت حرم الله وأمنه؟ **فأوحى الله إليها: أن كفّي وقرّي، ما فضل ما فضّلت به فيما أعطيت أرض كربلاء إلاّ بمنزلة الإبرة غمست في البحر فحملت من ماء البحر**، ولولا تربة كربلاء ما فضّلتك، ولولا من تضمّنت أرض كربلاء ما خلقتك، ولا خلقت البيت الذي به افتخرت، فقرّي واستقرّي وكوني ذنباً متواضعاً ذليلاً مهيناً غير مستنكف ولا مستكبر لأرض كربلاء، وإلاّ سخت بك وهويت بك في نار جهنّم»، بشارة الزائرين، ص٢٨.

(١) عن الإمام الصادق عليه السلام: «من زار قبر أبي عبد الله عليه الصلاة والسلام بشطّ الفرات، كان كمن زار الله فوق عرشه»، كامل الزيارات، ص٤٨٣.

(٢) سورة الأنعام، آية ١٢٢.

(٣) سورة الفرقان، آية ٧٠.

التي رآه عليها ونادى قائلاً: الآن انكسر ظهري؟ لقد انكسر ذلك القلب في كربلاء وما زال كسره مستمراً حتى الآن. وإنما يشير ذلك إلى أن الحسين عليه السلام هو عبدٌ، وأبٌ لكل عبد من الأزل إلى الأبد.

وقد تبيّن لنا مما تقدّم أنه يتعسّر على معظم الناس أن يصلوا إلى مقام العبودية عن طريق الصلاة والصوم والحجّ في ظل غياب حالة الانكسار القلبي لدى الإقبال على العبادات. وهنا يطرح السؤال نفسه: ما السبيل الذي يمكّننا من التوجّه إلى الله ويُحقق لنا الخضوع والخشوع ويوصلنا بالتالي إلى العبودية؟ في الحقيقة، لا سبيل لنا إلا بكربلاء وإقامة عزاء الحسين بن عليّ عليهما السلام. فإننا لا نملك إلا أن نطوف حول مشاهدهم ونعزي فيها أرواحهم التي أثبتت في قلوب شيعتهم القروح وأورثت أكبادهم الجروح(١) وكل الخلق في التكوين والطيّب من كل جنس في التشريع وصارت مصيبة الحسين عليه السلام أمراً لا يُنسى وجرحاً في الوجود والموجود لا يُداوى مهما ظهر من بكاء الشمس والنجوم والأفلاك بالكون

---

(١) «بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمّي يا آلَ المُصْطَفى، إنّا لا نَمْلِكُ إلاّ أَنْ نَطُوفَ حَوْلَ مَشاهِدِكُمْ وَنُعَزّي فِيها أَرْواحَكُمْ عَلى هذِهِ المَصائِبِ العَظِيمَةِ الحالَّةِ بِفِنائكُمْ وَالرَّزايا الجَلِيلَةِ النّازِلَةِ بِساحَتِكُمْ الَّتِي أَثْبَتَتْ فِي قُلُوبِ شِيعَتِكُمْ القُرُوحَ وَأَوْرَثَتْ أَكْبادَهُمْ الجُرُوحَ وَزَرَعَتْ فِي صُدُورِهِمُ الغُصَصَ، فَنَحْنُ نُشْهِدُ الله أَنّا قَدْ شارَكْنا أَوْلِيائَكُمْ (أولياءكم) وَأَنْصارَكمْ المُتَقَدِّمينَ فِي إراقَةِ دِماءِ النّاكِثِينَ وَالقاسِطِينَ وَالمارِقِينَ وَقَتَلَةِ أَبِي عَبْدِ الله سَيِّدِ شَبابِ أَهْلِ الجَنَّةِ عليه السلام يَوْمَ كَرْبَلاءَ بِالنِّيّاتِ وَالقُلُوبِ وَالتَّأَسُّفِ عَلى فَوْتِ تِلْكَ المَواقِفِ الَّتِي حَضَرُوا لِنُصْرَتِكُمْ وَعَلَيْكُمْ مِنّا السَّلامُ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكاتُهُ»، الزيارة الجامعة لأئمة المؤمنين، مفاتيح الجنان.

وجريان الدم منها. وكاد العالم أن يتلف لولا حِفظ الله له وكادت الإمامة أن تنقطع لو لم يصيّر الله الإمام زين العابدين عليلاً ليسقط عنه الجهاد حفظاً للإمامة وللعالم من أن ينهدم، فلولاه لساخت الأرض بأهلها.

فالكل يبكي ويحزن ويتأثر بمصيبة سيّد الشهداء عليه السلام بحسب مقامه ودرجته وقابليته ومدى اندراجه تحت وجود الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم[١]. وهنا يرد سؤال: إذا كان الإنسان قد نزل من تلك العوالم ولم يكن في وجوده نسخة وجودية للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فما علاقة الإنسان بهذا النقص، إذ إن هذا فعلُ الله الذي خلقه بهذه الطريقة وعلى هذا النحو؟ لقد سبق في علم الله أنّ مِن الموجودات مَن لن يحبّ محمداً وآل محمد الأطهار ولن يقرّ بالميثاق وبولايتهم عليهم السلام، فجُعِلت صور أجسادهم وصفات أنفسهم ناقصة بحسب لسان حالهم (القلب)، ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾[٢]، فعلى طِبق حال السائل كانت الإفاضة، وقد أعطيت القابليات الفعلية متفاوتة ومشكّكة بحسب شدّة وقوة الولاية والبراءة والمحبة. وهذا لا يسري على البشر فحسب بل أيضاً على كل الموجودات التي بدت بعض مظاهر بكائها على الحسين تكويناً قبل ظهور المصيبة في عالم الطبيعة، وظهر البعض الآخر بعد

(١) إن وجود الحسين عليه السلام هو من النبي محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، ووجود النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم هو من الحسين عليه السلام، وهو حديث الرسول: «حسين مني وأنا من حسين»، بحار الأنوار، ج٤٣ ص٢٧١.

(٢) سورة إبراهيم، آية ٣٤.

المصيبة كحال السماء حين أمطرت دماً يوم العاشر من المحرّم وظهور الدماء تحت كل حجر ومدر وتحوّل التربة إلى دم عبيط في قارورة السيدة أم سلمة(١).

ولمّا عاق القدرُ إمام زماننا عجّل الله تعالى فرجه الشريف عن نصرة جدّه الحسين عليه السلام، لم يجد سبيلاً لنصرته إلا أن يندبه ويبكيه فقال: «ولئن أخرتني الدهور وعاقني عن نصرك المقدور، فلأندبنّك صباحاً ومساءً ولأبكينّ عليك بدل الدموع دماً»(٢). فالإمام يبكي جدّه دماً وهو أرفع درجات العزاء والبكاء ثم يأتي من بعده الأمثل فالأمثل من شيعته ومواليه وكل شيء مندرج فيه. فتبكيه الرياح بهفيفها، والنار بتلهبها، والماء بجريانه وأمواجه وجموده، والشمس والقمر والنجوم بتغيراتها من حمرة وصفرة وكسوف وخسوف، والجبال بارتفاعها وانحدراها، والجدران بتفطرها وانهدامها، والنبات بتغيرها واصفرارها ويَبَسها، والآفاق بتكدرها واغبرارها وحمرتها وصفرتها، وتبكيه التجارة بخسارتها وبوارها، والعيون بتكدّرها،

---

(١) وروي عن أُمّ المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: «... فقلت له: يا رسول الله، ما لي أراك أشعث مغبراً؟ فقال: أُسري بي في هذا الوقت إلى موضع من العراق يقال له كربلا فرأيت فيه مصرع الحسين ابني وجماعة من ولدي وأهل بيتي، فلم أزل ألقط دماءهم فها هي في يدي، وبسطها إلي فقال: خذيها واحتفظي بها. فأخذتُها فإذا هي شبه تراب أحمر، فوضعته في قارورة... **فلمّا كان اليوم العاشر من المحرّم وهو اليوم الذي قُتل فيه الحسين عليه السلام أخرجتها في أوّل النهار وهي بحالها، ثمّ عُدت إليها آخر النهار فإذا هي دمٌ عبيطٌ**»، الإرشاد، ج٢ ص٢٥٠.

(٢) زيارة الناحية المقدّسة. وقول الإمام وفعله وتقريره حجّة علينا.

والمعادن بفسادها، والأسعار بغلائها، والأشجار بموتها وقلة ثمرها وسقوط ورقها ويَبَس أغصانها واصفرار ورقها، والأواني بتكسرها، والآبار بغورها والأطفال ببكائها لحظة مجيئها إلى الدنيا - حيث لا بدّ لكل من يأتي إلى هذا العالم أن يبكي بأيّ شكل من الأشكال حتى ولو بالضرب وإلا يموت - والأعمار بقصرها والأفكار بفسادها، وهذا هو تسبيحها ولكننا لا نفقهه. فكل شيء يسبح الله بالبكاء على سيد الشهداء عليه السلام والثناء عليه.

وإنّ انكسار الموالين في عزاء الحسين عليه السلام هو انكسار للنفس بل قتلٌ لها، كنتيجةِ محبتهم للإمام عليه السلام وتأثرهم بمصابه. وبمقدار ما ينكسر القلب في عزاء الحسين عليه السلام، بمقدار ما تتحقق العبودية والمعرفة ويسكن الله في ذلك القلب، خصوصاً وأنّ التوجه المتحقق في عزاء الحسين عليه السلام لا يهدف إلى منفعة خاصة كحين ينكسر الإنسان نتيجة بلاء أو مرض أو مصيبة أصيب بها. فعين المحبّ تبكي الحسين عليه السلام لا لأجل مثوبة بل لأجله هو، وقد ورد في الحديث: «لكلّ شيء ثواب إلا الدمعة فينا»[(١)]. ولذا، فمن الناحية العملية، به تتحقق العبودية لله وبغيره لا.

ولقد جرى على الحسين عليه السلام من الآلام والمحن وعظيم البلاء والكُرب إجمالاً وتفصيلاً، كمّاً ونوعاً ومن جميع الجهات، من الغربة والوحدة والسلب والنهب والحرق والعطش والضرب والأسر والقتل وقطع الرؤوس والشماتة والخذلان وأمثالها، بحيث

(١) نجاة الأمة، ص٣٨.

إن كل من كان له قلب، ولو بنسبة، رقّ عليه من جهة من الجهات التي صارت، حتى لا ينبغي لأحد العذر في البكاء والجزع.

وبالنتيجة، إنه لا يمكن للموالين التنبّه والاستبصار من غفلتهم إلا بإقامة العزاء والبكاء وإظهار الجزع واللطم النابعَيْن من التولّي والتبرّي[(١)] في كل سنة بل في كل أسبوع بل في كل ساعة. فإذا مَرّوا على غريب ذكروه أو على شهيد أو مظلوم أو عطشان أو عليل أو سليب أو مبتلى ذكروه، وهكذا يكون التوحيد الأفعالي[(٢)] مع سيد الشهداء الذي سيأتي ذكره فيما بعد، ولا يخلو العالم من شيء من ذلك في كل وقت، وهو قوله على ما روته سَكينة عليها السلام: «شيعتي مهما شربتم عذب ماء فاذكروني»[(٣)]. فوجب لذلك رفع

(١) رُوي عن علي بن عاصم الكوفي أنه قال للإمام العسكري الزكي عليه السلام: «قلت له: إني عاجز عن نصرتكم بيدي وليس أملك غير موالاتكم والبراءة من أعدائكم واللعن لهم في خلواتي، فكيف حالي يا سيدي؟ فقال عليه السلام: حدثني أبي عن جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: **مَن ضعف عن نصرتنا أهل البيت ولعن في خلواته أعداءنا؛ بلّغ الله صوته إلى جميع الملائكة، فكلما لعن أحدكم أعداءنا صاعدته الملائكة ولعنوا من لا يلعنهم، فإذا بلغ صوته إلى الملائكة استغفروا له وأثنوا عليه** وقالوا: اللهم صل على روح عبدك هذا الذي بذل في نصرة أوليائه جهده، ولو قدر على أكثر من ذلك لفعل، فإذا النداء من قبل الله تعالى يقول: يا ملائكتي، إني قد أجبت دعاءكم في عبدي هذا وسمعت نداءكم وصلّيت على روحه مع أرواح الأبرار وجعلته من المصطفين الأخيار»، بحار الأنوار، ج٥٠ ص٣١٦.

(٢) يقول آية الله السيد أحمد النجفي دام ظله: «العاشق يعشق المعشوق والمعشوق يعشق الله فالعاشق يعشق الله».

(٣) قال الصادق عليه السلام: «إني ما شربتُ ماءً بارداً إلا وذكرتُ الحسين»، وسائل الشيعة، ج٧ ص١٢٢.

الصوت في البكاء والنحيب لكي يصل صيت الإسلام إلى كل أحد، وليبلغ القلب أعلى مقامات الإيمان. فعلى مثل الحسين عليه السلام، فليبكِ الباكون. ولا نبالغ إذا خاطبنا الله قائلين: «إلهنا نسألك بمصائب الحسين وآله عليهم السلام بأعظمها وكل مصائب حسينك عظيمة، إلهنا نسألك بمصائب الحسين كلها».

وإنّ مصائب الحسين عليه السلام هي التي أبقَت كربلاء حيّة إلى اليوم. فكل شيء فيها ينبض بالحياة[(١)]، وكلّ من يدخل إليها يصبح حيّاً بحياة أبي عبد الله الحسين عليه السلام وعشقه. فقد أعلنها أبو عبد الله الحسين عليه السلام بصريح العبارة وقال: «فإنّ مَن لحق بي استشهد»[(٢)]، واللحاق به عليه السلام لم يكن محصوراً بأصحابه في كربلاء أو بأمّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آنذاك، بل إنّ خطابه عليه السلام موجّه إلى الخلق بأسره. فاللحاق بالإمام يعني التوحّد به ومعه، ومن يتوحّد به، يصل إلى مقام الشهادة، وبالتالي يحصل على الشهود. وإن هذا التوحّد هو على مراتب، إما توحّدٌ مع الأفعال أو توحُد مع الصفات أو توحُد مع الذات أو كلها معاً. وبمقدار هذا اللحاق والتوحّد، تكون الشهادة ومرتبتها، فإما تكون شهادةٌ بالأفعال، حيث تفنى أفعال المحبّ بأفعال سيّد الشهداء، أو شهادة بالصفات، حين تفنى

---

(١) ودليل ذلك ما ينقل عن «أنّ الشاه إسماعيل الصفوي حفر قبر الحرّ (الرياحي) ووجد جسده سالماً، ولما أراد فتح العصابة التي على رأسه سال دمه (وهي عصابة كان الإمام الحسين عليه السلام قد عصب بها رأس الحرّ عند استشهاده)، فأعادوها كما كانت. ثم بنوا قبّة على قبره»، سفينة البحار، ج١ ص٢٤٢ نقلاً عن الأنوار النعمانية للسيد نعمة الله الجزائري.

(٢) كامل الزيارات، ص٧٥ باب ٢٤ حديث١٥.

صفاته بصفات سيّد الشهداء، أو شهادة بالذات، وهي الشهادة العظمى، حيث تندكّ إنية المحبّ وذاته ووجوده بأسره في ذات سيّد الشهداء عليه السلام، وعندها، يصل إلى مقام الفناء. وهكذا، يلحق بسيّد الشهداء بتمام اللحاق ويبلغ مقام الشهادة بتمامها وكمالها، ويكون مصداقاً لقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَـٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾[1]. وحينئذ، يُحقق الاتصال بالحياة الأبدية، ويبلغ مقام البقاء[2].

فمن كان يظنّ أنّ الإمام الحسين عليه السلام قد مات، إنما هو يقطع بذلك حبل الاتصال معه، ويحرم نفسه من اللحاق به. ذلك أنّ وجود الحسين عليه السلام، حتى بعد شهادته في كربلاء، لم يتغيّر على الإطلاق، وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «يموت من مات منّا وليس بميت»[3]، فللإمام القدرة على أن يتقلّب في الصور

(١) سورة البقرة، آية ١٥٤.

(٢) ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾، سورة الرحمن، آية ٢٧.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة رقم ٨٧. عن أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام قال: «جاء الناس الى الحسن بن علي عليهما السلام قالوا أرنا ما عندك من عجائب أبيك التي كان يرينا إياها قال: تؤمنون بذلك؟ قالوا: نعم نؤمن بالله تعالى، فقال: أليس تعرفون أبي، قالوا: بلى كلنا نعرفه، **فرفع لهم جانب ستر فإذا بأمير المؤمنين جالس، قال: تعرفونه؟ قالوا بأجمعهم: هذا والله أمير المؤمنين، ونشهد أنك الإمام بعده ولقد أريتنا أمير المؤمنين بعد موته**، قال لهم الحسن: ويلكم أما سمعتم قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَـٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ إلى آخر الآية، فإذا كان هذا فيمن قتل في سبيل الله فماذا تقولون فينا؟ قالوا: آمنا وصدقنا فكان هذا من دلائله عليه السلام»، الهداية الكبرى، ص١٩٥.

كيف يشاء[١] وبالتالي فإنه خالد ويمثّل الحياة الأبدية، التي تظهر فينا فقط حين نتّصل ونلحق به. وهذا ما حصل مع أصحابه عليه السلام، ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾[٢]. فحبيب بن مظاهر وزهير بن القين والحرّ الرياحي وبقية الأصحاب لم يموتوا بل هم أحياء ولهم تجلياتهم وتنزلاتهم وظهوراتهم التي يظهرون بها متى شاؤوا في كل زمان ومكان. وإذا كانت كربلاء ومجالس الحسين عليه السلام ما زالت ثورةً حتى اليوم، فذلك لأن الأصحاب يحضرون فيها، ليس بروحهم فحسب، بل بكل مراتب وجودهم حتى بأبدانهم التي هي أدنى المراتب الوجودية للإنسان. وإنهم يتجلون في كربلاء وفي مجالس العزاء بالخدام أو القرّاء أو الرواديد أو الحضور أو السواد أو أيّ شيء آخر. فلا يظنّن أحد أن هؤلاء قد رحلوا من الدنيا وما عاد لهم دور أو تأثير فيها، وهذا الكلام يسري على الأنبياء السابقين أيضاً، كمحمد وإبراهيم ونوح وموسى وعيسى عليهم السلام. ولكن من ذا الذي يستطيع أن يرى هذه الحقيقة أو أن يسمعها غير الذي مَنّ الله تبارك وتعالى عليه؟

للوصول إلى هذه الحقيقة، يُشترط الانقطاع التام والتجرّد والتوجّه والإخلاص. وعند تحقق ذلك، يبدأ الموالي بالبحث عن سيّد الشهداء وزينب وعليّ الأكبر والقاسم وحبيب بن مظاهر

---

(١) عن أمير المؤمنين عليه السلام: «أنا أتقلب في الصور كيف أشاء»، مشارق أنوار اليقين، ص١٧١.

(٢) سورة البقرة، آية ١٥٤.

والحرّ بن يزيد الرياحي وزهير بن القين ومسلم بن عوسجة وبقية الأصحاب عليهم السلام في قلبه ووجوده. وهو بانقطاعه وتجرّده، سيتمكن حتماً من إيجادهم، وسيصل إلى حالات معنوية، يسمع من خلالها ويرى أموراً لا يمكن لأيّ كان أن يسمعها أو يراها. فمن كان ذا بصيرة، يعمل على تقصّي واقتفاء أثر هؤلاء حين يدخل إلى المجلس، إذ مِن العرفاء[(١)] مَن يقول إنه وبحسب عشق وقابليّة الحاضرين في المجلس، يتنزّل أحد أصحاب سيّد الشهداء أو أهل بيته عليهم السلام ويفيض على الحاضرين من وجوده، فكلما كان عشق الحاضرين أكبر، كلما كان شأن المُتنزّل أرفع. وإن كل واحدٍ من أصحاب سيّد الشهداء عليه السلام يمثّل حقيقة من الحقائق، فإذا أراد الموالي أن يصل إلى الحبّ والعشق، عليه بالتوجّه إلى حبيب بن مظاهر، وإذا أراد الوصول إلى التوبة الحقيقية، عليه بالتوجه إلى الحرّ الرياحي، أما إذا أراد الوصول إلى مقام التّرك، فعليه بوهب النصرانيّ. وفي ما يخصّ مقام العبودية، ينبغي التوجّه إلى جون مولى أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

ومَن يُلقي بسَمْعه، يتمكن عن طريق أصوات الباكين في عزاء الحسين عليه السلام من أن يسمع أصوات من كانوا في كربلاء. كما أنه يبقى يسمع رنّة صوت القارئ في الخارج ولكنه بواسطة هذا الرّنين، ينتقل إلى الحقيقة ويتحقق بالرواية التي تقول: «من زار

---

(١) عن الإمام الصادق عليه السلام: «العارف شخصه مع الخلق، وقلبه مع الله»، بحار الأنوار، ج٣ ص١٤. وفي الزيارة الجامعة نقول: «أسألك أن تدخلني في جملة العارفين بهم».

الحسين بن عليّ عليه السلام عارفاً بحقه، كان من محدّثي الله تعالى فوق عرشه»[١]. فيُلقي الله في قلبه وعقله وخياله ما جرى. وعند ذلك، يشعر قلبه بأحاسيس لم يسبق له أن شعر بها، ويفهم عقله أموراً لم يسبق له أن فهمها، ويبدأ خياله يتصور ما فهمه العقل، ولسانه يتكلم بما شعر به وأدركه، وعينه تفيض من الدمع لما عرف من الحق.

وعندما يصعد الخطيب إلى المنبر، قد يسمع هذا المحبّ كلام أحد الأصحاب الذين تكلموا في كربلاء، فأبو الفضل عليه السلام كان له خطاب في ليلة العاشر وكذا حبيب بن مظاهر وزهير بن القين وغيرهم، وأصواتهم ما زالت موجودة ومحفوظة. حتى أن أصوات من حاول ثَنْيَ الحسين عليه السلام عن الذهاب إلى كربلاء ما زالت موجودة أيضاً وكذلك أصوات مَن أعلنوا الحرب على الحسين عليه السلام وآذوا أهل بيته وأحرقوا خيامه وسبوا نساءه، ولكن هل من يسمعها؟ ويُحكى أنه حين دخل آية الله دولابي إلى حرم السيدة رقية عليها السلام، قال لبعض أصحابه: ألا تسمعون أصوات الطبول تُقرَع؟ إنهم يستقبلون سبايا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فحقيقة ما جرى لا تزال حيّة، وإلا ما معنى الرواية التي تقول إن الحسين عليه السلام يأتي في ساحة المحشر ورأسه بين يديه يشخب دماً؟ معنى ذلك أنّ دماء الحسين لا تزال تنزف وستبقى كذلك حتى يوم القيامة وهذا هو سرّ بقاء واستمرار مجالس العزاء وكل ما هو متعلق بكربلاء.

(١) مستدرك الوسائل، ج١٠ص٢٥١.

وبالتالي، فإذا انقطع العاشق عن كل شيء وتمكّن من التجرد والتوجّه إلى كربلاء بإخلاص، سيتمكّن من سماع صوت الحقيقة، إذ إن رنّة العشق التي يسمعها في المجلس تفتح له طريق العروج ليَلحق بسيّد الشهداء عليه السلام. وإذا وصل العاشق إلى مرحلة متقدمة من التّرك والانقطاع، يتصل بالحقيقة ويشاهدها، فيرى الخطيب صاحب الزمان أو سيّد الشهداء أو أبا الفضل عليهم السلام ويستمع إلى الكلام وكأنه صادر منهم لا من القارئ، ذلك لأنهم أصحاب هذا الكلام وقائلوه في الأصل، إذ يُروى أن الإمام الصادق عليه السلام كان يصلي فخرّ مغشياً عليه أثناء الصلاة، فسُئل بعدها عن سبب غشيته فقال: «ما زلتُ أردّد هذه الآية حتى سمعتها من قائلها». وهذا ما يحصل مع العاشق حين يحقق تمام الانقطاع في المجلس، ولهذا السبب يداوم العشاق على سماع مجالس أبي عبد الله الحسين عليه السلام، علّ ذلك يتحقق لهم. وحينها أيضاً، يدركون معنى حضور السيدة الزهراء عليها السلام في كل مجلس يقام على بَنيها، فهي حاضرة بنسبة معينة في قلب كل شيعي، ولكن عندما يجتمع الشيعة في مجلس أبي عبد الله الحسين عليه السلام، تجتمع قلوبهم، فيكتمل حضورها عليها السلام. وعندها، يشرع صاحب الزمان بترتيل آيات العشق.

ومع كل ذلك، هناك من يريد أن يعرف كربلاء بعقله المحدود الذي لا يكاد يفقه شيئاً، غير أن كربلاء لا تُفهم إلا بالعشق. فحين بقي الحسين وحيداً بعد استشهاد أصحابه، توجّه إلى جثامينهم وخاطبهم قائلاً: «ما لي أناديكم فلا تجيبون وأدعوكم فلا

تسمعون؟ أنتم نيام؟ أرجوكم تنتبهون»[(١)]. عندها، بدأت جثث الشهداء تهتزّ وتضطرب وبدأت أوصالهم تجتمع، رغبةً منهم في القيام من جديد والاستشهاد بين يديه. فهل يمكن أن يكونوا قد قاموا بالفعل؟ لقد صرّح الأصحاب بأنهم يودون القتل أكثر من مرة فداءً للحسين عليه السلام، إذ قال زهير بن القين لمولاه: «والله لوددت أني قُتلت ثم نُشرت ثم قُتلت حتى أُقتل هكذا ألف مرة وأن الله تعالى يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتيان من أهل بيتك! وتكلم جماعةُ أصحابه بكلام يشبه بعضه بعضاً في وجه واحد»[(٢)]. فيبدو أن الكلام الذي تكلم به الأصحاب لم يكن

(١) بعد أن اكتمل عدد الشهداء وبقي الإمام الحسين وحيداً، ألقى نظرة عليهم، فإذا بهم صرعى مضرجين بدمائهم، قد مزقتهم حراب الأعداء، فتنفس الصعداء وألقى خطاباً دوّى عبر الآفاق وعلى امتداد العصور: «... يا أبطال الصفا ويا فرسان الهيجا، ما لي أناديكم فلا تجيبون وأدعوكم فلا تسمعون؟ أنتم نيام؟ أرجوكم تنتبهون، أم حالت مودتكم عن إمامكم فلا تنصروه، هذه نساء الرسول لفقدكم قد علاهنَّ النحول، فقوموا عن نومتكم أيها الكرام، وادفعوا عن حرم الرسول الطغاة اللّئام، ولكن صرعكم والله ريب المنون، وغدر بكم الدّهر الخؤون، وإلاّ لما كنتم عن نصرتي تقصرون ولا عن دعوتي تحتجبون، فها نحن عليكم مفتجعون وبكم لاحقون، فإنا لله وإنا إليه راجعون»، ثم أنشأ يقول:

قوم إذا نودوا لدفع ملمَّةٍ * والخيل بين مدعّس ومكردسِ
غلبسوا القلوب على الدروع وأقبلوا * يتهافتون على ذهاب الأنفسِ
نصروا الحسين فيا لها من فتية * عافوا الحياة والبسوا من سندسِ، بحار الأنوار، ٤٥/ ٤٤.

(٢) الإرشاد، ج٢ ص٩١.

اعتبارياً، إذ يقول بعض الأعلام إن الأصحاب رجعوا إلى الحياة وقاتلوا واستشهدوا أكثر من مرة. وكلام سيّد الشهداء عليه السلام خير دليل، إذ قال: «لبسوا القلوب على الدروع وأقبلوا... يتهافتون على ذهاب الأنفسِ»، وهو قد تكلم بهذا الكلام بعد استشهادهم. ولكن في المرة الأخيرة، حين قال لهم المولى عليه السلام: «ولكن صرعكم ريب المنون»، هدأت أجسادهم وعادت إلى حالة الموت التي كانت عليها. وما كلّ هذا إلا نتيجة عشقهم لسيّد الشهداء عليه السلام، فبالعشق اهتزّت الأوصال واضطربت، وبالعشق دَبّت فيها الحياة من جديد. فإذا وصل الإنسان إلى مقام العشق هذا، يصبح صانعاً للمعجزات!

النفحة الأولى

أهل الجمع والتفرقة في كربلاء

ينبغي على كل من يودّ التحرّك في إطار معنى كربلاء ومفهومها وتحصيل المعرفة الخاصّة بها، أن يتبع طريق الجمع[(١)]. فكربلاء هي طريق الجمع، أما أولئك الذين أتوا لقتال أهل البيت عليهم السلام فطريقهم طريق التفرقة. وبالتالي، فإنّ الجمع هو الأصل المُلاحظ في كربلاء، في حين أنّ التفرقة هي الهدف الذي سعى الأعداءُ لتحقيقه.

ألا ترون أنّ مراسم العزاء واللطم تجمع؟

وفي أيام عاشوراء[(٢)]، يتضاعف نشاط الأمّهات والأخوات

---

(١) يد الله مع الجماعة كما ورد، والجمع إنما يكون على الولاية، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لو اجتمع الناس على حبّ علي بن أبي طالب لَما خلق الله تعالى النار»، المناقب، ص٦٧.

(٢) يستحبّ في يوم عاشوراء الإمساك عن الطعام، فقد روي عن جعفر بن محمد عليهما السلام قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كثيراً ما يتفل يوم عاشوراء في أفواه الأطفال المراضع من ولد فاطمة عليها السلام من ريقه، فيقول: ما نطعمهم شيئاً إلى=

ويتّشحنَ بالسّواد كما يزداد نشاط الشبّان الذين ينظمون الأشعار والقصائد (اللطمية)، ذلك لأنّ الكلّ يتحرّك في سياق الجمع. وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على ظهور سرّ كربلاء، المتمثل بالجمع، في مقام الأفعال. وفي المقابل، يُطلِق الأعداء الهتافات والنداءات العدائية ويبثّون الإشاعات ويتفوهون بكلمات ويأتون بأفعال بهدف إيجاد الفرقة بين الجموع. ومن هنا، ينبغي على الإنسان، في طريق كربلاء، أن يمتنع نهائياً عن الإتيان بأي عمل يرمي إلى التفرقة.

لقد تواجد المفرّقون في داخل كربلاء لا خارجها، وفي المكان نفسه الذي تواجد فيه أهل الجمع، على قلّة عددهم. وللمفارقة، فقد كان الشّمر(لعنه الله) هو الأكثر قُرباً من الإمام الحسين عليه السلام، حيث جلس على صدره الشريف(١)، فهل هناك مكان أقرب من

=الليل، وكانوا يروون من ريق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: وكانت الوحش تصوم يوم عاشوراء على عهد داود عليه السلام»، التهذيب ج٣، حديث ١٣٨٤٠.

(١) بغية قتله وقطع رأسه ـ ورُبّ قريبٍ بعيد - فقد كانت عائشة وحفصة، لعنهما الله، أقرب الناس إلى النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم. عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «تدرون مات النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو قتل إن الله يقول: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾ (آل عمران، آية ١٤٤)، فسُمّ قبل الموت إنهما سقتاه (وفي البحار: أنهما سمّتاه) قبل الموت، فقلنا: إنهما وأبوهما شرّ خلق الله»، (تفسير العياشي، ج١ ص٢٠٠؛ البرهان، ج١ ص٣٢٠).وفي تفسير الصافي أنه قال: «... إنهما سقتاه قبل الموت يعني الإمرأتين لعنهما الله وأبويهما»، (تفسير الصافي، ج١ ص٣٠٥). **وإن أمير المؤمنين عليه السلام طلقهما وكالة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم**، ففي رواية طويلة أوردها الشيخ الصدوق رحمه الله، أن سعد بن عبد الله القمي سأل مولانا القائم عجل الله فرجه»... فقلت له: «مولانا وابن=

هذا؟ غير أنّ ذلك لم يكن إلا بهدف التفرقة. وعند زيارتك للإمام الحسين عليه السلام، لا تجعل زيارتك شمريّة بل عليك أن تكون عارفاً بحقه، إذ يأتي البعض ويجلس تحت منبر الحسين عليه السلام ويستمع للمجالس، إلا أنه ينكر الروايات والفضائل الخاصة بأهل البيت عليهم السلام. فأمثال هؤلاء يُلعنون مع الشمر لعنه الله.

وثمّة روايات تفيد بأن الله يلعن قاتلي[1] الحسين عليه السلام ومن فرح

=مولانا إنا روينا عنكم ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم **جعل طلاق نسائه بيد أمير المؤمنين** عليه السلام **حتى قال يوم الجمل لعائشة: انك قد أرهجت على الاسلام وأهله بفتنتك، وأوردت بنيك حياض الهلاك بجهلك، فإن كففتِ عنى غربك وإلا طلقتك؟** ونساء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طلاقهن وفاته، قال: ما الطلاق؟ قلت: تخلية السبيل، قال: فإذا كان (كانت) وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خلت لهن السبيل فلم لا تحل لهن الأزواج؟ قلت: لأن الله تبارك وتعالى حرم الأزواج عليهن، قال: وكيف وقد خلى الموت سبيلهن؟ قلت: فأخبرني يا ابن مولاي عن معنى الطلاق الذي فوّض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حكمه إلى أمير المؤمنين عليه السلام؟ قال: إن الله تقدس اسمه عظم شأن نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فخصهن بشرف الأمهات، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **يا أبا الحسن، إن هذا الشرف باق لهن ما دمن لله على الطاعة، فأيتهن عصت الله بعدي بالخروج عليك فأطلق لها في الأزواج وأسقطها من تشرف الأمهات ومن شرف أمومة المؤمنين...**»، (كمال الدين وتمام النعمة، ص ٤٥٨). وتقول الآية الكريمة: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ * عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾، (سورة التحريم، آية ٤ و٥)، وعائشة وحفصة وأم حبيبة بنت أبي سفيان، لعنهنّ الله، هنّ من النساء المقصودات بالآية الأخيرة.

(١) ورد في الزيارة: «لعن الله أمة قتلتكَ»، كما ورد: «قتل الله أمة قتلتكم بالأيدي والألسن»، فالقتل أنواع، بالسيف وباللسان وباليد.

بمقتله، وحتى من شارك في تجهيز الأحصنة وإسراجها، «لعن الله أمة أسرجت وألجمت»، فكلّ مَن شارك بعمل يتعلّق بالحرب على الحسين عليه السلام هو ملعون. وكذلك فإنّ منكري فضائل أهل البيت ومناقبهم، بل وكل من تقع في قلبه شبهة[١] عند سماع فضيلة من فضائل آل محمّد، هو ملعون أيضاً، من قِبَل الله والأنبياء والملائكة. ولا يتأثّمنَّ أحد في اللعن[٢]، فإنّ اللعن هو أفضل برنامج للسير والسلوك، بل هو أفضل عملٍ يمكن للموالي أن يأتي به[٣]. وليفعل منكرو الروايات كل ما يشاؤون فعله، ولكن عليهم أن لا ينسوا بأن هناك وعداً من الله بأنه متمّ نوره.

(١) «إنما سميت الشبهة شبهة لأنها تشبه الحق»، نهج البلاغة، الخطبة رقم ٣٨.

(٢) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من تأثّم أن يلعن من لعنه الله فعليه لعنة الله»، رجال الكشي، ج٢ ص٨١١.

(٣) اللعن في اللغة يعني الطرد والإبعاد من الخير. نقل الشيخ أبو الحسن المرندي عن خط محمد بن الحسن الحرّ العاملي: «أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يطوف بالكعبة فرأى رجلاً متعلقاً بأستار الكعبة وهو يصلي على محمد وآله فسلم عليه ومرّ به ثانياً ولم يسلم عليه. فقال: يا أمير المؤمنين، لمَ لمْ تسلم علي هذه المرة؟ فقال عليه السلام: خفتُ أن أشغلك عن اللعن وهو أفضل من السلام وردّ السلام ومن الصلاة على محمد وآل محمد»، (مجمع النورين وملتقى البحرين، ج٢ ص٢٠٨). وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: «**حبّ أولياء الله والولاية لهم واجبة والبراءة من أعدائهم واجبة ومن الذين ظلموا آل محمد عليهم السلام وهتكوا حجابه وأخذوا من فاطمة عليها السلام فدك ومنعوها ميراثها وغصبوها وزوجها حقوقهما وهمّوا بإحراق بيتها وأسّسوا الظلم وغيّروا سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والبراءة من الناكثين والقاسطين والمارقين واجبة والبراءة من الأنصاب والأزلام وأئمة الضلال وقادة الجور كلهم أوّلهم وآخرهم واجبة، والبراءة من أشقى الأولين والآخرين شقيق عاقر ناقة ثمود قاتل أمير المؤمنين عليه السلام واجبة،**=

في كل محرمٍ وفي كل يومٍ من أيام عاشوراء، نصبح كربلائيين وحسينيين. وينبغي الإلتفات جيداً إلى الكلام الهامّ الذي سأقوله لكم: يا من تجلسون في عزاء سيّد الشهداء عليه السلام وتطلقون نداءات «يا حسين»، إنكم فرداً فرداً تشكّلون أجزاء(١) جسد الحسين(٢) عليه السلام الذي تفرّق إرباً إرباً في كربلاء، ولكنكم لا

=**والبراءة من جميع قتلة أهل البيت عليهم السلام واجبة...**»، خصال الشيخ الصدوق، ج٢ ص٦٠٧.

(١) محمد بن الحسن الصفار في بصائر الدرجات: حدّثنا محمد بن عيسى عن أبي الحاج قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: «يا أبا الحجاج، **إن الله خلق محمداً وآل محمد من طينة عليين وخلق قلوبهم من طينة فوق ذلك وخلق شيعتنا من طينة دون عليين وخلق قلوبهم من طينة عليين فقلوب شيعتنا من أبدان آل محمد**. وإن الله خلق عدو آل محمد من طين سجين وخلق قلوبهم من طين أخبث من ذلك وخلق شيعتهم من طين دون طين سجين وخلق قلوبهم من طين سجين فقلوبهم من أبدان أولئك وكل قلب يحن إلى بدنه»، بصائر الدرجات ص٣٤؛ عنه بحار الأنوار ج٢٥ ص٨؛ ج٦٤ ص١٢٦؛ المحاسن ج١ ص١٣٥.

(٢) عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «**ما من نبي ولا وصي نبي يبقى في الأرض بعد موته أكثر من ثلاثة أيام حتى ترفع روحه وعظمه ولحمه إلى السماء، وإنما تؤتى مواضع آثارهم ويبلغهم السلام من بعيد ويسمعونه في مواضع آثارهم من قريب**»، (الكافي، ج٤ ص٥٦٧) وفي رواية أخرى أكثر من أربعين يوم. وأما بالنسبة للنبي والأئمة عليهم السلام فالمراد من عدم بقائهم في القبر، وأنه يصعد بهم إلى السماء، أمر آخر، وهو أنهم عليهم السلام «**لما ظهروا في الدنيا، ما ظهروا بالصورة التي خلقهم الله عليها، لأن الرعيّة لا يمكنهم النظر إليهم، وهم عليهم السلام إنما أتوا لانتفاع الخلق منهم. فتلبّسوا بلباس الرعيّة، وتصوروا بالصورة اللائقة لمشاعرهم وعقولهم**، حتى يتمكن الرعية من الاستفادة بنورهم، فهم عليهم السلام ما داموا في هذه الدنيا، متلبسين ذلك اللباس ومتصورين بتلك الصورة العرضية المناسبة لأهل الأرض. فلما ارتحلوا وانتقلوا من هذه الدار، فلا فائدة لتلك=

تعلمون ذلك. فقد جُمِعت[(١)] أوصال الأبدان المطهّرة في النهاية، وهذا هو سرّ كربلاء، فهي أتت لكي تجمع.

تجلي كفي العباس عليه السلام بكفوف اللاطمين

لقد ترنّم أبو الفضل العباس عليه السلام في يوم عاشوراء قائلاً: «والله لئن قطعتم يميني، إني أحامي أبداً عن ديني»، إستخدم أبو الفضل كلمة «أبداً» مع أنّ كلتا يديه قد قُطعتا، فمتى تتحقق هذه الكلمة؟ والإمام الصادق عليه السلام قال بحقه: «كان عمّنا العباس بن علي عليه السلام نافذ البصيرة»[(٢)]. فكيف تحامي، إذاً، هذه اليد وإلى الأبد عن دينه[(٣)]؟ إنّ

=الصورة، والتلبس بذلك اللّباس، لأنها أمر عَرَضي للغير، **فلما صاروا في القبر، خلعوا ذلك اللّباس عنهم، وارتفعوا عمّا كانوا ظاهرين به للناس. وذلك الارتفاع - بنزع ذلك اللّباس- هو السماء، التي ورد أنهم يصعدون إليها، وإلا فهم في قبورهم وحفرهم، لكنهم لا تشاهدهم أبصار أهل الدنيا، لارتفاعهم عن مداركهم وأبصارهم**، إلا في بعض المقامات، لإظهارهم المعجزات والكرامات، فإنهم يظهرون لهم، إما بتقوية أبصار الناظرين، أو بتصوّرهم عليهم السلام بصورهم»، **رؤى حول الأسرار الحسينية، ص١٤٨ و١٤٩.**

(١) والجامع لها كان الإمام السجاد عليه السلام، فهو الذي جمع قلوب الموالين وما زال. وإن تجلي وانعكاس ذلك الجمع إنما يكون بمجالس العزاء. ولا يتحقق الجمع إلا بالجامع وبالتالي، فإن كل اجتماع للشيعة أصله ومأواه ومنتهاه هو الإمام زين العابدين عليه السلام.

(٢) أعيان الشيعة، ج٧ ص٤٣٠.

(٣) كان يحامي عن الحسين وعياله (فدينُه الحسين). **ومعنى ذلك أن الذي يحفظ الإسلام ويحامي عن دين الله إلى الأبد وإلى يوم القيامة هو حضرة أبي الفضل العباس** عليه السلام، **وذلك باللطم على الحسين** عليه السلام. فكلما ازداد اللطم، كلما حُفِظ الدين ونُشِر. وذلك أن الدين حسين واللطم إحياء لغايات الحسين وأمره.=

هذه اليد هي اليد التي تلطم(١) على الصدر وينادي صاحبها: «يا حسين، يا حسين». فلو لم تقطع يدا أبي الفضل عليه السلام، لمَاَ استطاع أحدٌ منكم اللطم على صدره في عزاء الحسين عليه السلام. وإنّ لله بيتاً هو «بيت الله»، ولله يوماً هو «يوم الله»، ولله شهراً هو «شهر الله»، ولله يداً هي «يد الله»، ولله عيناً هي «عين الله»، ولله الكثير من الإضافات التشريفية التي تُبيّنها آيات الجوارح. وإلى جانب كلّ ما ذُكِر، فإنّ لله يداً يضعها كمتكأ(٢) تحت رأسه، وتلك هي يد أبي الفضل العباس عليه السلام.

يذكر أحدهم في كتابٍ له أنه ذهب في إحدى المرات إلى بلاد الهند، ووصل إلى منطقة يعيش فيها أناسٌ يعتنقون الهندوسية ويعمدون إلى حرق جثث موتاهم. يقول الراوي إنه اقترب من إحدى الساحات، حيث كان يجتمع حشدٌ من الناس. وفي وسط تلك الساحة، كانت هناك نيران مستعرة. سأل عما يجري، فأخبروه

=«وهل الدين إلا الحب؟» كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام، بحار الأنوار، ج٢٧ ص٩٥.

(١) ورد في حديث عن الإمام زين العابدين عليه السلام: «رحم الله عمي العباس فلقد آثر وأبلى وفدى أخاه بنفسه حتى قطعت يداه فأبدله الله بهما بجناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة كما جعل لجعفر بن أبي طالب...» (بلاغة الامام علي بن الحسين عليه السلام، ص ٢٣٥). ولعلّ المقصود بالجنة هنا هي الجنة المذكورة في حديث «مَن كان في ولايتنا فهو في الجنة» (شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار عليهم السلام، ج٣ ص٤٩٤) وعزاؤهم عليهم السلام هو من أتم مصاديق الولاية، وإنما يطير أبو الفضل بهذين الجناحين حين يلطم بهما في عزاء الحسين عليه السلام، أي حين يتجلى بأيدي الموالين الذين يلطمون على الحسين بن عليّ عليهما السلام.

(٢) ورد في الدعاء: «ولا اتكاء إلا عليك»، دعاء القاموس، مفاتيح الجنان.

بأن ابنة أحد كبار الشخصيات في الهند قد توفيت والناس مجتمعون لمشاهدة مراسم إحراق الجثة. فوقف بدوره يتفرّج، وإذا بهم يُحضرون تلك الفتاة الشابة ويرمون بجثتها في النار، بحضور أمّها وأبيها وكلّ أسرتها. وبحسب التقاليد الهندية، فإن عدم احتراق جسد الميّت، دليل على أنّه من أصحاب الذنوب والمعاصي، ولهذا لا يقبل الله بإحراقه. وبعد برهة، تقدّم المسؤول عن إحراق الجثة بفكرٍ مشغول ووجه عبوس وأصدر أمره بتسعير النيران أكثر. ثم بعد ذلك، تقدّم أحد المأمورين وهمس بكلمات في أذن والد الفتاة، ومن ثم همس الوالد في أذن الوالدة التي بدورها همست في أذن أخت الفتاة الميّتة. وكان ذلك المأمور قد أبلغهم بأن جسد الفتاة قد احترق بالكامل واستحال رماداً ولكنّ النار لم تفلح في إحراق يدها وصدرها. وحين وصل هذا الكلام إلى مسامع أخت الفتاة، إنفجرت بالبكاء وبدأت تلطم بيدها على صدرها وتقول: يا حسين، يا حسين، يا حسين، لقد ارتكبتُ الذنب نفسه الذي ارتكبَته شقيقتي. وبدأت الأخت تروي القصة وتقول: في أحد الأيام، مَرَرنا بجماعة من الشيعة كانوا يقيمون شعائر خاصة بعاشوراء، فكانوا جميعاً يلطمون على الصدور ويهتفون: «يا حسين، يا حسين، يا حسين»، ففعلنا نحن الأمر نفسه. وعندها، دخل الجميع في النار وهم يلطمون مُنادين: «يا حسين، يا حسين»[١]. ويقولون إنّ منشأ فكرة دخول الهندوس في

(١) «ثم اعلم إنّ بعض من أثق بخبرهم حدّثني أنه كان في بعض بلاد الهند مسافراً من بلاد آذربيجان إليها، وقد رأى في يوم من أيام كونه في ذلك البلد أن جموعاً كثيرة من أهله ومن غيرهم يسارعون ويركضون إلى نحو ميدان عظيم=

النار ومبدأها هو هذه القصة. فهل علمتم لِمَ لم تأتِ النار على صدرها ويدها؟ لأن تلك اليد التي كانت تلطم هي يد أبي الفضل عليه السلام. وإنّ طريق الإمام الحسين عليه السلام لا يقبل الدين ولا المذهب(١)، ولو لم يكن كذلك، لَمَا كان الحسين عليه السلام قد قبِل

=فيه... قال: فسألتُ بعض الناس عن سبب ذلك. فقال لي: **إن طائفة الهنود من المشركين عندهم نعش ميّت ويريدون أن يلقوه في النار ويحرقوه**، فإن ذلك هو ديدنهم في أمواتهم. قال: فركضت مع الراكضين نحو الميدان فرأينا أنهم قد هيّأوا وقوداً وأحطاباً كثيرة، **فوضعوا الميّت في وسطها وكان الميت نعش امرأة بكر، ثم أضرموا النار في الوقود والأحطاب**، فصارت قطعة كبيرة من الميدان كالجحيم، فأحرقت النيران الملتهبة جسد الإمرأة وصيّرته رماداً، **إلا الصّدر منها فإنه لم تؤثر النار فيه أصلاً**. فتعجّب الحاضرون من ذلك، فسعى المؤيدان - أي عالميهم - بإلقاء الأحطاب والوقود الكثيرة مرة ثانية وإضرام النار فيها وقراءة جملة من الكلمات. ولم تؤثر أيضاً فيه النار... **فاغتاظ المؤيّدان وقالا: إنها صاحبة جريمة [كبيرة] وخطيئة عظيمة، فإن ذلك دليل على أنها قد أتت بها في حياتها، فتغيرت ألوان أقربائها واصفرّت وجوههم ونظر بعضهم إلى بعض**... فقال جمع منهم لامرأة كانت أختها: إنك عالمة بأفعالها وسرائرها، أية جريمة كبيرة وخطيئة عظيمة صدرت عنها... فحلفت أنها لا تعلم منها إلا خيراً، وإنها كانت زاهدة عن الدنيا، ناسكة على طريقة المذهب... ثم قالت: نعم، **حضرتُ معها في يوم من أيام شهر المحرّم في مجلس المسلمين وكان مجلس تعزية الحسين عليه السلام وذكر مصائبه**، وكان القارئ يقرأ ويدق الحاضرون من المسلمين من الرجال والنساء الصّدور، **فغلبت الرّقة علينا، ففعلت أنا وأختي ما يفعله المسلمون من دقّ الصدور**... فقال المؤيدان: هذه هي الجريمة التي صارت سبباً لعدم إحراق النار صدرها»، إكسير العبادات في أسرار الشهادات، ج١ ص٧٦.

(١) «وفي المقام حكاية لطيفة وهي ما حدّثني به الشيخ الأجل الشيخ جواد عن أبيه الفاضل الأتقى الأورع الشيخ حسين أنه قال: كان في زماننا رجلٌ نصراني في=

=البصرة، وكان ذا أموال كثيرة وثروة وفيرة، وكان في كثرة أمواله بمرتبة لا يحاذيه فيها أحد، لا من تجار البصرة ولا من تجّار بغداد فجمع أمواله وكلّ ما كان له من الأشياء النفيسة وغيرها، فوضعها في سفينة وركبها مع من كان معه من خدّامه وغلمانه، وأراد المجيء إلى بغداد. فلما جرت السفينة في الشطّ مدة ثلاثة أيام أو أزيد، خرجت من جانب البر جماعة من اللصوص وقُطّاع الطريق من أشرار الأعراب، فأخذوا السفينة ونهبوا ما فيها من الأموال، وقتلوا جمعاً من أهل السفينة، **ونجّى الله تعالى ذلك التاجر النصراني من القتل**، إلاّ أنه كان بما أُصيب به مسلوب الفؤاد ومنزوع العقل، وواقعاً على وجهه في ناحية من البرّ فلما جنّ الليل مرّ به واحد من أهل الحي الساكنين في قريب من ذلك الموضع، فحرّكه من ذلك المكان، ورفعه إلى الحي، وأنزله في مضيف شيخ أهل تلك القبيلة، فلمّا اطلعوا على حاله وما جرى عليه ترحّموا عليه، فكان الشيخ يُكرمه ويُعزّيه ويصبِّره حتى بعد الإطلاع على كونه نصرانياً؛ وذلك بالنظر إلى ما تقتضيه الغيرة والحميّة، وبملاحظة قول النّبي ﷺ: «أكرموا الضيف ولو كان كافراً» فكان النصراني يُصبِّر نفسه ويعزِّيها بالائتلاف والاستئناس بذلك الشيخ وجماعة من أهل تلك القبيلة. ثمّ انه لما قرُبَ وقتْ زيارة الغدير عزم الشيخ وجماعة من رجال الحي ونساء القبيلة أن يروحوا إلى النجف الأشرف للتشرّف بزيارة أمير المؤمنين عليه السلام فكان رواحهم إلى النجف على نمط المشاة والحفاة، وقد جرت عادات أهل القبائل على ذلك: أي على مسافرتهم إلى زيارة العتبات العاليات في أوقات الوقفات والزيارات المخصوصة على حالة كونهم مشاة حفاة، والركبان منهم في سفر الزيارات في غاية القلّة بالنسبة إلى المشاة الحفاة وذلك أن أفواجهم في سفر الزيارات في غاية الكثرة وإنّ أكثرهم فاقدو الإستطاعة للركوب على الخيول أو البغال أو الحمير. كيف كان، فإنّ ذلك الرجل النصراني لمّا إطّلع على ما أراده الشيخ وجماعة من أهل القبيلة، هاجتْ أحزانه وتحركت غمومه وزادت همومه، فقال له الشيخ: لا تحزن، فإنّك تكون في المضيف، والباقون منّا في الحي أكثر من المسافرين للزيارة. قال النصراني: **إنّي كنتُ مستأنساً بك، ومزيلاً أحزاني بمصاحبتك، وأخشى أن أهلكَ بعد فراقك، من هيجان أحزاني ومراجعة همومي وغمومي، فإنْ كنتَ**=

=**تترحّم علي فارضَ بمصاحبتي معك في هذا السفر.** قال الشيخ: لا وجه لسفرك معنا، فإنّ الطريق بعيد، ونحن مشاة حفاة فنرضى بما نتحمّله من التعب والنصب وارتكاب الشدائد لأجل ما نرجو من مثوبات جزيلة ودرجات عظيمة في الآخرة، **وأنت رجلُ نصراني غير معتقد بما نحن عليه. فلما ألحّ النصراني في السؤال، رضي الشيخ بما يريد،** ثم صاروا إلى النجف الأشرف - زاد الله تعالى شرافته - فلما وصلوا إلى تلك البقعة المباركة أسكنوا النصراني في بيت من البيوت ومنعوه من الدخول في الصحن الشريف. فلمّا زاروا الإمام عليه السلام في يوم الغدير، وبقوا بعده مدةً من الأيام في ذلك البلد الأمين، قسّم الشيخ أهل القبيلة على قسمين: فأنفذَ جماعةً منهم، من الرجال والنساء، إلى القبيلة، وعزم أن يسافر مع جماعة منهم إلى كربلاء. فقال النصراني للشيخ: أنا لا أفارقك، وأكون معك حيثما كنت. ثم عَرض لهم جملة من العوائق - في الطريق - فلم يصلوا إلى كربلاء إلاّ قبيل غروب الشمس في التاسع من المحرم، أي بعد دخول ليلة عاشوراء. فقال الشيخ للنصراني: قد قضت الضرورة والحاجة بأنْ تدخل الصحن وتجلس عند المسرجة الكبرى لتحرس ما نضع في ذلك المكان من أوعية زادنا ونفقتنا ورماحنا وعصّينا. وجملة أخرى من الحلس والعباء واللباس، ونحو ذلك. فإنّا لا ننام في هذهِ الليلة أصلاً، بل نكون مع الطائفين والصارخين والضاربين رؤوسهم والدّاقين صدورهم، في الحرم الشريف وفي حرم العباس، وفي الصحنين الشريفين. فجلس النصراني عند هذهِ الأشياء الموضوعة قُدّام المسرجة الكبرى، **فلما شاهد النصراني -بعد مضي ساعة من الليل- ما حضر في الصحن الشريف، زعم أنّ القيامة قد قامتْ، ونُفخ في الصُور: حيث رُفعتْ من كربلاء مرة واحدة صيحة واحدة وضجّة عالية تُذهل بها العقول وتُدهش لها الألباب،** فكأن أرض كربلاء وما فيها من الأبنية والدور والقلعة والسور، والجدران والحيطان، والفضاء والهواء، تضجّ وتبكي! فكم من مشاعل نُصبت فيها! وكم من أفواج من الشيوخ والشبّان والكهول والصبيان، في مقدَّمهم شبيه جواد الإمام عليه السلام مُلطّخاً بالدماء، مشبّهاً من كثرة النبال الواقعة به القنفذ أو الطيرْ الفاتح الجناح. والناس مكشوفو الرؤوس يدقّون رؤوسهم ويضربون صدورهم بالأكفّ والأيادي، =

=ويصيحون صيحة الثكلى. وكمْ من أناس بينهم أشباه الأسارى والسبايا النادبات الصارخات، وهم يحثون التراب والرماد على الرؤوس، ويأنّون أنّة مَن قطّعتْ أعضاؤه إرباً إرباً، ويقولون في صيحتهم: وا إماماه واقتيلاه واحسيناه واشهيداه! وكمْ من معشر من أهل بلاد الهند والبربر ينوحون وينحبون نوحةً فيها ذوبان شحوم الأمعاء والحوايا! وكمْ من جمع عُراة حُفاة، منهم من يضربون رؤوسهم وصدورهم ومناكبهم بسلاسل من الحديد. وكمْ من نساء العرب قد حَلّقن حلقة الإستدارة، فيصرخن ويندُبن ندبة الثكلى على السبايا. فكان الناس على ذلك المنوال حتى مضى ثُلثا الليل، بل أزيد، فشرع الناس إلى التضرّع وبادروا إلى الرجوع إلى منازلهم. ففي قريب من طلوع الفجر لم يبق في الصحن الشريف أحد، ولا سراج ولا مشعل. فبينما النصراني في الحيرة والتفكّر فيما شاهد ورأى، **فإذا برجل عظيم الشأن، جليل الرتبة قد خرج من الحرم الشريف، فمُلِئ الصحن الشريف بنور وجهه، وسطع نوره إلى السماء**. فجاء إلى أن وقف في آخر الإيوان في قبال المسرجة الكبرى، وقد حضر معه شخصان قائمان بغاية الخضوع والخشوع، ونهاية التأدب، وماثلان مثول العبد الذليل بين يدي المولى الجليل. فقال لهما: إئتيا بدفتركما - فأتيا بما عندهما من الطرس والدفتر - فلما نظر إليه قال: ما أجدكما، حيث لم تستوفيا في الكتابة! فارتعدت فرائصهما، **فقالا: بحقّك وبحق من فضّلكم أهل البيت على العالمين، إنّا كتبنا كلّ من كان في الحرم والرواق والإيوان والصحن**، وهكذا **كلّ من كان في حرم العبّاس ورواقه وإيوانه وصحنه، وفوق الحجرات وسطحها**. فقال لهما ثانياً: أنظرا لي الطرس! فناولاه الدفتر فنظر إليه، **وقال: الأمر كما ذكرتُ لكما، فأنتما ما استوفيتما**. فحلفا كما سبق وقالا: ما قصّرنا حتى أنّا كتبنا حتى الطفل الرضيع! وقال أحدهما بعد التدبّر والتفكّر: **نعم إنّا ما كتبنا هذا الرجل النصراني. فقال** عليه السلام: **فلماذا؟ قالا: لكونه كافراً. فقال** عليه السلام: **سبحان الله! أما حلّ بساحتنا؟** فلمّا رأى النصراني تلك الحالة، **وسمع هذه المقالة من سيد الشهداء أُغمي عليه**، فلمّا استُفيق من غشوته، وقد حضر عنده شيخ القبيلة والجماعة الّذين كانوا معه، قالوا له: ماذا الذي عرض لك؟ **قال: أقسمكم بالله تعالى لقنوني كلمة الإسلام**، فعلّموه=

بوهب النصراني وأمّه وزوجته، ولكان قال لهم: إذهبوا أولاً وتعلموا تعاليم الإسلام.

غبار حوافر الخيول ينجي!

ينقل العلامة الأميني في كتابه «الغدير» أنّه في منطقة الموصل بالعراق، كان رجلٌ وامرأةٌ ناصبيّيْن لا أولاد لديهما. فنذرا نذراً وعاهدا الله على أنهما إذا رُزِقا بولد، سيُرسلانه حتى يقطع الطريق على زوّار الإمام الحسين عليه السلام ويتعدّى على أموالهم وأرواحهم، وكل ذلك ابتغاءً لمرضاة الله. بعد مدة من الزمن، رزقهما الله بولد. ومع مرور الوقت، اشتدّ عضده وأصبح شاباً قوياً ومعروفاً لكلّ أهل المحلّة التي عاش فيها. وفي يوم من الأيام، قال له أبواه: عليك أن توفي بذلك النذر وإلا ستموت شاباً. فسأل الشاب والديه: ولكن، ما نذركما؟ قالا: لقد عاهدنا الله تعالى على أنه حين تبلغ سنّ الرشد وتصبح شاباً شجاعاً، ستذهب لتقطع الطريق على زوّار كربلاء وتُغِير على أموالهم وتسلب أرواحهم، ابتغاء لمرضاته. فأجاب الإبن قائلاً: أخشى أن أموت شابّاً، ولذا سأنجز هذا العمل.

دخلت قافلة الزوّار إلى كربلاء عن طريق المسيب. فجمع الشاب رفاقه وانتشروا في واحة النخيل يحملون أسلحتهم ويترقبون الليل حتى تصل القافلة ويُغيروا على مَن فيها. ولكن حين كمَنوا

=كلمتي الشهادتين، فلما أسلمَ حدّثهم بما رأى وسمع»، إكسير العبادات في أسرار الشهادات، ج١ ص٢١٦.

بين أشجار النخيل، غلب عليهم النعاس وناموا لشدّة تعبهم. وصلت القافلة وعَبَرَت الطريق ثم غادرت. فرأى الشاب في منامه أن يوم القيامة قد حلّ واصطُحِب كل محبّي أهل البيت عليهم السلام إلى الجنة في حين اقتيد أعداؤهم إلى جهنم زمراً وكان هو في مقدّمتهم.

وهنا، ثمة كلام غاية في الدقة: لم يكن ذلك مناماً وهذا يُعلم من الكلام الدقيق عن الحساب والكتاب وصولاً إلى سوق المجرمين إلى جهنم. رأى الشاب فزعَ وجزع المُساقين إلى النار وهو من بينهم. وفجأة، نادى منادٍ قائلاً: أعيدوا هذا الشاب، فهو ليس من أهل جهنم، بل من أهل الجنة وأصحاب المقامات فيها، بحيث يغبطه الآخرون على مقامه. أعيدوه مع رفاقه.

سأل الشاب ذلك المنادي: ولكن بحسب الأصول، ينبغي أن أدخل جهنم، فأنا ناصبيّ، كيف تصطحبني إلى الجنة إذاً؟ أجاب قائلاً: أنا لا أدري، عليك أن تسأل مَن أصدر هذا الأمر. أتى والتقى بسيّدٍ نوره ساطعٌ على كل أهل المحشر، فسأله السؤال نفسه. أجاب السيّد قائلاً: ذلك لأنّ غبار حوافر الخيول والنياق التي تحمل زوّار الحسين عليه السلام قد اعتلت وجهك. ولهذا، فإن جهنّم لن تحرقك وهي محرّمة عليك. فسأله الشاب: مَن أنت حتى تبشّرني بهذه البشارة؟ فقال: أنا رسول الله، جدّ أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

استيقظ الشاب فزعاً ورأى القافلة تقترب من كربلاء. فترك رفاقه وراح يعدو خلفها. وعندما وصل إلى كربلاء، دخل مباشرة إلى

الصحن الشريف لأبي عبد الله الحسين عليه السلام واقترب من الضريح بخشوع كبير. ومَن كان لا يعرف كيف يتكلم، أصبح في تلك اللحظات شاعراً، حيث بدأ كلامه بالشعر وقال ما يلي:

إذا شئتَ النجاة فزر حسيناً ... لكي تلقى الإله قرير العين
فإن النار ليس تمسّ جسماً ... عليه غبار زوّار الحسين

وما إن تلا الشاب شِعرَه بحرقة ومسكنة، حتى رأى الجميعُ قطعةَ القماشِ الثمينة الملقاة على القبر الطاهر لأبي عبد الله الحسين عليه السلام تسقط وتستقرّ على كتفيه. ومنذ تلك اللحظة، لقّبه الناس بلقب «الخليعي»، أي الآخذِ خلعته من الإمام الحسين عليه السلام.

كربلاء أقصر الطرق إلى الله

قصد الخليعي النجف الأشرف، مباشرةً، لزيارة أمير المؤمنين عليه السلام. وكان كلّ الشعراء هناك من المحبّين القدامى الذين سمعوا أن هناك ناصبيّاً وصل إلى هذا المقام الرفيع عن طريق الإمام الحسين عليه السلام، فأتوا جميعاً لرؤيته. وكان من بين هؤلاء الشعراء، شاعر قد أمضى أربعين سنة وهو يتلو الشعر للمولى عليه السلام.

خاطب هذا الشاعر الخليعي مستنكراً: أجئتَ لتأخذ منصبنا؟ واقترح عليه أن يكتبا قصيدتين من الشعر ويرميا بهما في الضريح الشريف ليريا أيّهما سيقبلُ أمير المؤمنين عليه السلام. فكتب الشاعر القديم قصيدة وكذلك فعل الخليعي ثم رمى كلُ واحدٍ منهما قصيدته في ضريح الإمام. قدِم كلاهما في الصباح والتقطا القصيدتين من داخل الضريح. وإذا بهما يريان أن قصيدة الخليعي

مذيّلة بكلمات من ذهب تقول: «أحسنتَ، أنت وليّنا» في حين ذُيّلت قصيدة الشاعر القديم بكلمة من فضة تقول: «أحسنتَ».

إغتمّ الشاعر القديم وقال: يا عليّ، لمْ أعهدك تُكرم عبيدك بهذا الشكل ولم أدرِ أنك لا تحفظ حقهم. لقد أمضيتُ أربعين سنة عند أعتابك، ولكنك تفضّل عليّ من وصل لتوّه. ثم خرج من عند الإمام مقهوراً مكسوراً.

إن هذا الشعور مفيد لمن يتجرّأ عليه، لأنه ليس قهراً، بل هو عبارة عن اتصالٍ شديدٍ يظهر بهذه الصورة، إذ يحمل هذا القهر معنى الصلح والتصالح في لغة العشق التي تختلف عن غيرها من اللغات.

وبعد ذلك، رأى الشاعر أمير المؤمنين عليه السلام في منامه، فقال له عليه السلام: أتعاتبنا؟ هل تريد أن نبوح لك بسرّه؟ لقد جاء عن طريق الإمام الحسين عليه السلام. ألا تعلم أنّ هذا الطريق هو أقصر من باقي الطرق؟[١].

عشق الحسين يقلب المعايير

في حضوره، لا وجود لإيمانٍ أو كفر، فعن أيّ جنة وأيّ جهنم وأيّ طاعة وأيّ معصية يتحدّثون؟ إن الحسين عليه السلام يضرب قواعد العالم والوجود بعضها ببعض، وطريقه طريق جمع لا طريق تفرقة[٢].

(١) القصة مذكورة في الغدير، ج٦ ص١٢.

(٢) راجع قصة النصراني والهندية والخليعي.

كنون كه صاحب مژگان شوخ و چشم سياهي

نـگـاه دار دلـي را كـه بـردهـاي بـه نـگـاهـي

چـو در حـضـور تـو ايـمـان وكـفـر راه نـدارد

چه دوزخي، چه بهشتي، چه طاعتي، چه گناهي

دست من گير كه اين دست همان است كه من

سـال هـا از غـم هـجـران تـو بـر سـر زده ام

يـا صـاحـب الـرموش الـسـاحـرة والـعـيـون الـسـود

رفـقـاً بـالـقـلـب الـذي اسـتـعـبـدتـه بـنـظـرة

فـي حـضـورك، لا سـبـيـل لإيـمـانٍ أو كـفـر

فأيّ جهنم وأيّ نعيم وأيّ طاعة وأيّ معصية

خذ بيدي، فهذه اليد هي نفسها التي لطمتُ

بها على رأسي لسنوات حزناً على هجرانك

تنطوي كلّ أنواع العشق في العالم على الغيرة وهذا ما قد يفسح المجال لاقتلاع جذورها من قِبل طرفٍ ما. غير أنه ما من عشق في العالم كلِّه شبيه بعشق أمير المؤمنين والحسين عليهما السلام، ذلك لأن هذا

العشق يقبل التعدد وهو لا نهائي، ولأن أصحاب هذا العشق يصبحون واحداً مع معشوقهم. فالإمام الحسين عليه السلام هو طريق الرحمة، رحمة الله الواسعة[١].

وبحسب الأصول العسكرية، لا يُعلم متى يُنهي الجندي معركته ويرجع إلى أسرته، وتبقى الأسرة على أمل أن يعود ابنها سالماً غانماً. غير أن الحسين عليه السلام أكّد لأصحابه بأن كلّ من سيأتي معه لن يلقى مصيراً غير القتل.

(١) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن الذي يلي حساب الناس قبل يوم القيامة الحسين بن علي عليهما السلام، فأما يوم القيامة فإنما هو بعثٌ إلى الجنة وبعث إلى النار»، بحار الأنوار، ج٥٣ ص٤٣.

النفحة الثانية

«كأن الدنيا لم تكن»، شهودها بكربلاء

لمّا ورد سيّدنا ومولانا أبو الشهداء أبو عبد الله الحسين عليه السلام نينوى، قال مخاطباً أصحابه: «الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم، فإذا مُحّصوا بالبلاء[1] قلّ الديانون»[2]. وردت هذه الكلمات النورانية على لسان الوجود المقدس لأبي عبد الله الحسين عليه السلام عند دخوله أرض نينوى. وقبل إلقاء هذه الخطبة أو

---

(١) ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾، (سورة العنكبوت، آية ٢). عن الإمام الصادق عليه السلام: «**أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الذين يلونهم ثم الأمثل فالأمثل**»، (ميزان الحكمة، الحديث ١٨٩٨). وقال الله تعالى: ﴿وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ﴾، (سورة آل عمران، آية ١٥٤). وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**إن البلاء للظالم أدب وللمؤمن امتحان وللأنبياء درجة وللأولياء كرامة**»، (مستدرك الوسائل، ج٢ ص٤٣٨). وعنه عليه السلام: «...**ولكن الله يختبر عباده بأنواع الشدائد ويتعبدهم بأنواع المجاهد ويبتليهم بضروب المكاره** إخراجاً للتكبر من قلوبهم وإسكاناً للتذلل في قلوبهم ولجعل ذلك أبواباً فتحاً إلى فضله وأسباباً ذللاً لعفوه»، نهج البلاغة، الخطبة رقم ١٩٢، المسمّاة بالقاصعة.

(٢) تحف العقول، ص٢٤٥.

بعدها - إذ لم يكن هناك فاصل كبير بين الأمرين - كتب رسالة وبعث بها إلى أخيه العزيز الجليل محمّد بن الحنفية في المدينة. ونصّت الرسالة على الآتي: بسم الله الرحمن الرحيم[1]، من

---

(١) «بسم الله الرحمن الرحيم»، **عدد حروفها تسعة عشر بحسب علم الحروف. ويتوافق عدد حروفها مع مجموع عدد حروف كلمة «واحد» وذلك الواحد هو الحسين** عليه السلام **لأنه اسم الله «الرحمن الرحيم»**. وإنه اسم الله الدالّ عليه بشهادته وإنه الذي أظهر الربوبية ونشر أعلام الهداية وقد ذكره الله تعالى بعد الحمد (فاتحة الكتاب) لأن ذلك في بيان البيعة الأولى والنداء الأول والخطاب الأول (أي عندما أخذ الله من بني آدم الميثاق وأشهدهم على أنفسهم). ويجتمع في حكم تلك السورة، أي الحمد، كل الأئمة. وأما السورة الثانية فشرحٌ وبيانٌ وتفصيلٌ للنداء الثاني والخطاب الثاني في أرض كربلاء يوم الجمعة ولذا كانت سورة البقرة التي ذُبحت لإحياء الميّت والتي خُلقت من زعفران الجنة، وهي حاملة أحد أركان العرش. والحروف المقطعة فيها إشارة إلى عدد أصحاب الحسين عليه السلام المستشهدين بين يديه يوم عاشوراء (آلم). فالألف عددها واحد، بحسب علم الحروف، واللام ثلاثون والميم أربعون ومجموعها واحد وسبعون، فيكون معه عليه السلام اثنان وسبعون وهو عدد الاسم الأعظم الذي عند الأئمة عليهم السلام. وكل واحد من هؤلاء يحكمون اسماً من تلك الأسماء والحسين هو أعظم الأسماء العظام. وقد قال الرضا عليه السلام: «**إنّ بسم الله الرحمن الرحيم أقرب إلى اسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها**»، (عيون أخبار الرضا، ٢: ٩، ح١١ الباب ٣٠). كما أنه إذا حُذِف المكرّر من الحروف المقطّعة في القرآن، يبقى أربعة عشر حرفاً تؤدي إلى الجملة المتداولة وهي: «**صراط علي حق نمسكه**». وإذا جمعنا هذه الحروف بطريقة أخرى، فإنها تؤلف الجملة التالية: «**قم حسين طهر كل عاصٍ**». وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «﴿الم﴾ **هو حرف من حروف اسم الله الأعظم المقطّع في القرآن الذي يولفه النبيّ** صلى الله عليه وآله **أو الإمام، فإذا دعا به أجيب**، ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾، قال: بيان لشيعتنا، ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾، قال: **ممّا علمناهم يبثون، وممّا علمناهم من القرآن يتلون**»، بحار الأنوار، ج٨٩ ص ٣٧٥.

حسين بن عليّ إلى أخيه محمد بن الحنفية، «أما بعد، فكأنّ الدنيا لم تكن وكأن الآخرة لم تزل، والسلام»[١]. كانت الرسالة بهذا الإختصار والإيجاز، وكان الكلام بمثابة القوت لمحمّد بن الحنفية وللخلق أجمع. وثمّة ربط دقيق جداً بين هذين المطلبين، فقد قال عليه السلام: «الناس عبيد الدنيا»، في حين أورد عليه السلام في تلك الرسالة تفصيلاً دقيقاً عن هذه الدنيا. لقد كان لمحمّد بن الحنفية تجربة عظيمة في الحروب واستكشاف البلدان والقتال فيها، ولكنه قال للإمام الحسين عليه السلام حين عزم على التوجّه إلى كربلاء: لا تذهب. وإذا عزمتَ على ذلك، فلا تصحب معك العيال والأطفال. وقد كان أمير المؤمنين عليه السلام أمر ولده في إحدى المعارك قائلاً له: تقدّم يا محمد، أدخل في قلب الجيش. غير أنَ محمّداً قال: انتظروا ريثما تقلّ أسهم العدوّ، فهي تنزل الآن كالمطر. عندئذ توجّه إليه أمير المؤمنين عليه السلام بالقول: أدركك عرق من أمّك. فابن عليّ لا يكون هكذا ولا يقول كقوله الذي قاله ولا يتريّث ويفكّر في تلك المسائل. وصحيح أن والدة محمّد كانت من الأشراف، ولكنْ أين شرف الشرفاء من الشرف الهاشميّ؟ قال أمير المؤمنين عليه السلام هذا الكلام لابنه محمّد بن الحنفية، وقد تخلف الأخير عن ركب كربلاء، ولم يكن مع الجمع.

قال الله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَٱلْعَصْرِ ① إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾[٢]، أي أنّ عبيد الدنيا لفي خسر. ولذا، يسعى الناس

(١) كامل الزيارات، ص٧٥.
(٢) سورة العصر، آية ١ و٢.

المتعلقون بالدّنيا وراء الباطل. وهنا ثمة مفهومان يجب الإلتفات إليهما بعناية: إنّ من الناس من يأخذ جانباً معيّناً من الدنيا، فتتكوّن لديه حيثيّة خاصّة في فهمها وإدراكها ورؤيتها ومعرفتها. وهكذا، يبتعد مثل هذا الإنسان عن العبثية ولا يُعير لها بالاً على الإطلاق. وفي سياق هذا التشخيص، تظهر الدنيا بصبغة معيّنة وتمثُلٍ محدّد يتنافى معه المفهوم والمعنى الذي سبق تقديمهما. وعلى المقلب الآخر، يلهث عبيد الدنيا وراءها فيضيّعونها ويجعلونها بائسة نتيجة سلوكهم هذا. وبناءً عليه، فإنه حينما تكتسب الدنيا مفهوماً معيّناً، يتجلى الإنسان فيها بزخرفة معنوية تسقط معها دنيا العبيد بكل حيثياتها.

ما سبب قباحة الدنيا؟

في هذا السياق، ثمّة مفهومان أيضاً: دنيا وعبادة دنيا. وإنّ القباحة الباطنية التي يتّصف بها عبد الدنيا لَهيَ أشدّ سوءاً من دونيّة الدنيا نفسها. فذلك الذي يَعبُر هذه الخرابة والمزبلة ذات الجدران والأسقف المهدومة والخالية من أيّ ماءٍ أو نور، لا يضرّه شيء. أما مَن يُقبِل على تلك الخرابة المليئة بالحشرات والأفاعي والفئران، فإنّه يرى قُبحَها جمالاً. ولو لم يقصد ذلك المكان بنفسه ويختاره سكناً ومأوى له، لمَا كان بهذا القدر من القباحة. فليست الدنيا هي مَن يُقبّح الناس، بل إنّ عبيدها هم مَن يقبّحونها[١].

(١) الإنسان هو الذي يتصوّر ويتفكر بالقبيح ويُظهره إلى الخارج فيصبح له تعيّنٌ وإلا فليس له وجود أصلاً.

ألا ترون كم كانت الدنيا مكاناً حميداً لأولياء الله وأنبيائه وكيف استطاعوا أن يصنعوا منها مدينةً فاضلة؟ يعتبر الجميع أنّ الدنيا هي التي تصنع من الناس عبيداً لها، ولكنّ الحقيقة أنّ الناس هم الذين يصنعون دنياهم ويكونون عبيداً لها، ومردّ ذلك إلى أن الإنسان هو الأصل في البُعدَيْن السلبي والإيجابي على السواء. ولأنه الأصل، فهو الذي يجعل وجه الدنيا إمّا جميلاً أو قبيحاً. وبالتالي، لا يمكن لنا أن نعتبر الدنيا مذنبةً إنما المذنب هو عبدها. والحسين عليه السلام قال: «الناس عبيد الدنيا»، ما يعني أنهم يعبدون الدنيا بدلاً من الله، ولذا هم عبيدٌ للدنيا وليس لله. وبالنتيجة، فإنّ التقصير لا يأتي من جانب الدنيا، ودليله أنها لن تكون هي مَن سيدخل جهنّم في نهاية المطاف، بل إن جهنم والخُلود في العذاب الإلهي سيكونان من نصيب عبدها.

الدنيا مشتقّة من الدنيّ

ما هي الدنيا؟ هل هي تلك الخريطة الجغرافية المتمثلة بالسوق والشارع والزقاق والمنزل والمسكن والمأوى والرفيق والصديق والعمل؟ كلا، ليست هذه هي الدنيا التي نتحدّث عنها. من الواجب علينا أولاً معرفة الله ومعرفة القيامة ومعرفة الوليّ ومعرفة الحقيقة ومعرفة الشهيد ومعرفة كل الحقائق المرتبطة بالوجود المقدس للإمام عليه السلام ومن جملة هذه المعارف كلها، يتعيّن علينا معرفة الدنيا. وتأتي أهميّة العمل على معرفة الدنيا وماهيّتها من باب أن لا يسعى المرء وراءها. أفهل إذا ارتدينا ثوباً قديماً نخرج من عداد أهل الدنيا؟

ثمّة مَن يجد في بعض كتب الأخلاق(١) قدوة له، وهي كتبٌ استندت في مضمونها على زهد شخصين اثنين. فعلى سبيل المثال، هناك من بين هذه الكتب واحدٌ يُفردُ باباً في زهد عمر وآخر في زهد الحجاج بن يوسف الثقفي (لعنة الله عليهما). أما في الواقع، فلا يمكن للأخلاقيات والحقائق والفضائل كلّها أن تُسْتَمَدّ إلا من الرّوح الشفافة لأهل البيت عليهم السلام(٢).

وبناءً عليه، فلنأتِ إلى أخلاق الرّسول والأئمة عليهم السلام. كلها دعت إلى الحرب والجهاد والنزول إلى ميادين المعارك، حيث يمكن

---

(١) مثل كتاب «إحياء علوم الدين» للغزالي.

(٢) عن الإمام الباقر عليه السلام: «**كل ما لم يخرج من هذا البيت فهو باطل**»، (مختصربصائر الدرجات، ص٦٢). وفي رواية أخرى، «عبد الله بن سليمان: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول وعنده رجل من أهل البصرة يقال له عثمان الأعمى وهو يقول: إن الحسن البصري يزعم أن الذين يكتمون العلم يؤذي ريح بطونهم أهل النار. فقال أبو جعفر عليه السلام: فهلك إذن مؤمن آل فرعون! ما زال العلم مكتوماً منذ بعث الله نوحاً عليه السلام، فليذهب الحسن يميناً وشمالاً، **فوالله ما يوجد العلم إلا ها هنا**»، (الكافي، ج١ ص٥١). وعن الإمام موسى الكاظم عليه السلام أنه قال: «**اعرفوا منازل شيعتنا بقدر ما يحسنون من رواياتهم عنّا**»،(رجال الكشّي ج١ ص٦). ومن وصيّة أمير المؤمنين عليه السلام لكميل بن زياد: «**يا كميل، لا تأخذ إلا عنا تكن منا**»، (بحار الأنوار، ج ٧٤ ص٢٦٦). وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام في حديثٍ طويل: «إن الله تبارك وتعالى لو شاء لعرف العباد نفسه ولكن جعلنا أبوابه وصراطه وسبيله والوجه الذي يؤتى منه، فمن عدل عن ولايتنا أو فضّل علينا غيرنا، فإنهم عن الصراط لناكبون، **فلا سواء من اعتصم الناس به ولا سواء حيث ذهب الناس إلى عيون كدرة يفرغ بعضها في بعض، وذهب من ذهب إلينا إلى عيون صافية تجري بأمر ربها، لا نفاد لها ولا انقطاع**»، الكافي، ج١ ص١٨٣.

للناس تعلّم الأخلاق هناك. ففي ميدان الجهاد ذاك، تمكّن مالك الأشترمن أن يصبح مالك الأشتر[1]. ومن خلال باب الحرب والجهاد، راح الإمام الحسن عليه السلام يعلّم الأخلاق للناس. وأما سيّد الشهداء عليه السلام، فقد قدّم خلاصته في ساحة الحرب والقتال.

تشتقّ كلمة «دنيا» من كلمة «دنيّ». وأمام الإنسان خياران اثنان، أحدهما يرفعه إلى الأعلى ويصحبه إلى العلوّ، حيث يتجلى عليّ عليه السلام فيُسارع إلى الإمساك بذيل عباءته، والآخر هو النقيض تماماً، حيث يتمثّل بالدنيا[2] التي تشكّل ضدّاً للعلوّ، وثمة أمثلة محسوسة على ذلك.

ترك الدنيا مشروط بمعرفتها

إذا كان لديك صديقان أحدهما من أصحاب الكمالات الأخلاقية والآخر من أصحاب الرذائل، فآثرتَ صاحب الخُلُق

(١) من كلام لآية الله السيد أحمد النجفي دام ظله: مالك الأشتر إنّما بلغ ما بلغ من الرتبة المعنويّة عندما وضع سيفه في غمده، وأمّا عندما كان يضرب بسيفه فقد كان أمر وليّه مخلوطاً بما تريده نفسه، بل وبنفس المقدار الذي كان فيه يضرب بالسيف كان مكان أمير المؤمنين عليه السلام خالياً في وجوده، وأمّا في ذاك الموضع الذي رفع فيه يده عن سيفه، أي حين أمره أمير المؤمنين عليه السلام بالتوقف عن قتال معاوية حيث كان مالك مشرفاً على هزيمة الأمويين وقتل معاوية، قال فيه أمير المؤمنين عليه السلام: «لقد كان لي كما كنت لرسول الله» (وسائل الشيعة، ج٣٠ ص٤٥٣)، وهذا هو التّوحيد مع الولي لا مع الذات الربوبية.

(٢) إن أي عملٍ نختاره ونقوم به في قبالة التوحيد أو الولاية بأي شأنٍ من شؤونها إنما يكون عملاً دنياً، ونعدّ حينها من أهل الدنيا.

السيّئة على صاحب الخُلق الحميدة، عندها تكون من أهل الدنيا. فقد اخترتَ، بذلك، «الدنيا الدنيّة»، بحسب التوصيف الذي ورد في دعاء النّدبة: «في هذه الدنيا الدنية وزخرفها وزبرجها»(١).

وفي هذه الحالة، تتجلى الدنيا في الصديق، فإنّ ترْكَكَ للصالح المؤمن وتمسُّكَكَ بالطّالح غير المؤمن، هو بمثابة طلبٍ للدنيا. وقد تجد أنّ هناك مَن يذهب إلى السوق وينأى بنفسه عن الثمار الجيّدة، فمثل هذا الرجل ليس طالباً للدنيا بفطرته. ذلك أنّ الإنسان، بفطرته الأولية الذاتية، لا يختار الجيّد من أجل منفعته الشخصية. ولا يصبح الإنسان رجلاً إلا عندما يُفلح في الابتعاد عن طلب المنفعة وترْك الدنيا لنفع المجتمع وغيره من الناس. وبالتالي، فإن الابتعاد عن الدنيا هو الخيار الأفضل بينما لا يعدو طلب المنفعة سوى كونه أمراً دنيوياً. ومن خلال هذه المسألة، يتّضح لنا معنى الأنانية.

وثمّة من يُمارس الزّهد ويترك لذّات الدنيا ولكن من أجل الدنيا نفسها. فهذا يخادع نفسه والآخرين معه، وما ترْكه للدنيا إلا من أجل حبّها(٢). ولا شكّ بأن تشخيص هذا الأمر صعب للغاية، فمن

---

(١) دعاء النّدبة، مفاتيح الجنان.

(٢) ويقول الشيخ البهائي في الأربعين: والعجب منك أنك تنكر على عبّاد الأصنام عبادتهم لها! **ولو كُشِف الغطاء عنك وكوشفتَ بحقيقة حالك ومُثِّل لك ما يُمَثَّل للمكاشفين إما في النوم أو اليقظة، لرأيتَ نفسك قائماً بين يدي خنزير مشمّراً ذيلك في خدمته، ساجداً له مرة وراكعاً أخرى، منتظراً لإشارته وأمره،** فمهما طلب الخنزير شيئاً من شهواته توجّهتَ على الفور إلى تحصيل مطلوبه=

ذا الذي يستطيع ذلك؟ ما من أحد يستطيع تمييز مَن هو دنيوي ممّن هو غير ذلك إلا من تمكّن من قتل نفسه(١) والتخلص منها وصقلها بـ«ذو الفقار أمير المؤمنين»(٢). وفي حين قد تجدُ أكبر أهل الدنيا

=وإحضار مشتهياته ولأبصرتَ نفسك جاثياً بين يدي كلبٍ عقور عابداً له مطيعاً لما يلتمسه، مدقّقاً للفكر في الحيل الموصلة إلى طاعته، وأنت بذلك ساعٍ فيما يُرضي الشيطان ويسرّه فإنه هو الذي يهيّج الخنزير والكلب ويبعثهما على استخدامك؛ **فأنت عن هذا الوجه عابد للشيطان وجنوده ومندرج في المخاطبين المعاتَبين يوم القيامة بقوله:** ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾، (سورة يس، آية ٦٠). «**في قرارة كل شخص مائة خنزير... ولكنه لا يظهر إلا إذا بدأ في السفر**، فإن لم تكن حذراً من نفسك الشبيهة بالخنزير، فأنت جدّ معذور لأنك لست رجلاً لائقاً بالمسير فإن تضع قدمك في الطريق يا خليقاً بالأعمال، فسترى العديد من الأصنام ومن الخنازير، **فلتقتل الخنزير ولتحرق الصنم في بيداء العشق**»، منطق الطير، ص٢٤٦.

(١) **قتل النفس يعني قتل الإنية والأنانية** وقد قال الله تعالى: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ (سورة البقرة، آية ٥٤). وقد ورد في الرواية: «**اقتلوا أنفسكم فإنها لا تدرك مقاماتها إلا بالقهر**»، (بحار الأنوار، ج٦٠ ص٢٩٤). وقتلها كونها «**أعدى عدوّك نفسك التي بين جنبيك**»، (بحار الأنوار، ج٧٠ ص٣٦). ومما ورد في الحديث القدسي عن أهل الخير وأهل الآخرة: «الناس عندهم موتى، والله عندهم حي قيوم كريم، يدعون المدبرين كرماً، ويريدون المقبلين تلطفاً، قد صارت الدنيا والآخرة عندهم واحدة، **يموت الناس مرة ويموت أحدهم في كل يوم سبعين مرة من مجاهدة أنفسهم ومخالفة هواهم، والشيطان الذي يجري في عروقهم**...»، (بحار الأنوار، ج٧٤ ص٢٤).

(٢) في الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: انطلق بي رسول الله صلى الله عليه وآله حتى أتى بي إلى الكعبة فقال لي اجلس فجلست إلى جنب الكعبة فصعد رسول الله صلى الله عليه وآله بمنكبي ثم قال: انهض فنهضت فلما رأى ضعفي تحته قال لي: إجلس فنزلت وجلست ثم قال لي: **يا علي، إصعد على منكبي فصعدت على منكبيه ثم**=

داخل المساجد، فإنك قد تعثر على شخص في مكان لا تصل إليه رائحة العبادة، غير أنّ الله حباه، مع ذلك، بأعلى الدرجات في طريق ترك الدنيا. ولذا، ينبغي أن نعرف الدنيا حتى لا نركض خلفها، ففي بعض الأحيان قد يترك الإنسان الدنيا ولكن من أجل حبّها ليس إلّا. ولا يمكن إيجاد كتابٍ في الأخلاق أعظم من الروايات والكلمات النورانية الصادرة عن المعصومين عليهم السلام في هذا الشأن.

كيف هي أخلاق أهل كربلاء؟

لنتحدث عن أخلاق كربلاء، فكربلاء تعلّمُنا. «الناس عبيد الدنيا»، إنّ كل من يجلس في مجلس الحسين عليه السلام ليس من أهل الدنيا، والسّبب في ذلك أنّه لا يمكن للدنيا خداع أمثال هؤلاء في أيّ وقت من الأوقات. وقد كتب الحسين عليه السلام إلى ابن الحنفية كلاماً مفاده: لم تأتِ، فكنتَ من أهل الدنيا[1]، أي أنك اخترتَ

=نهض بي فخيّل إلي لو شئت نلت أفق السماء فصعدت فوق الكعبة وتنحى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لي: ألق صنمهم الأكبر صنم قريش وكان من نحاس موتداً بأوتاد من حديد إلى الأرض فقال لي: **عالجه** ورسول الله يقول لي: **ايه ايه جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً فلم أزل أعالجه حتى استمكنت منه فقال لي: اقذفه فقذفته فتكسر وترديت من فوق الكعبة** فانطلقت أنا والنبي صلى الله عليه وآله وسلم نسعى وخشينا أن يرانا أحد من قريش وغيرهم. قال علي: فما صعد به حتى الساعة. أعيان الشيعة، ج١ ص٣٥٨. **وهذه إشارة إلى أن تكسير أصنام القلب لا يمكن أن يتم إلا بتجلّي وظهور الولاية العلوية.**

(١) بناءً على أن كل شيء في مقابل الإمام يصبح دنيّاً فيكون دنيا. وكذا عندما=

عدم المجيء على المجيء. نعم، فمن يكون محمد بن الحنفية[(١)] في مقابل الحسين عليه السلام؟

وصل خبر شهادة مسلم بن عقيل إلى الإمام عليه السلام، وكان مسلم ابن عمّه ووكيله ونائبه وصهره أيضاً، حيث كان زوج إحدى أخواته. فنادى ابنة مسلم وأجلَسَها في حجره وأخذ يقبّلها ويمسح

=خاطب ابن عباس الإمام الحسين عليه السلام قائلاً: «جعلت فداك يا حسين، إن كان لا بدّ لك من المسير إلى الكوفة فلا تسري بأهلك ونسائك...» ويقول بعض الرواة: إنّ حفيدة الرسول صلى الله عليه وآله السيدة زينب قالت لابن عباس وهي باكية العين: يا ابن عباس «**تشير على شيخنا وسيّدنا أن يخلفنا هاهنا ويمضي وحده؟ لا والله بل نحيا معه ونموت معه، وهل أبقى الزمان لنا غيره...**»، زينب الكبرى، ص٩٤.

(١) عن حمزة بن حمران، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **ذَكَرْنا خروج الحسين** عليه السلام **وتخلف ابن الحنفية عنه.** قال أبو عبد الله عليه السلام: «يا حمزة، إني سأحدّثك في هذا الحديث، ولا تسأل عنه بعد مجلسنا هذا، **إن الحسين** عليه السلام **لمّا فصل متوجّهاً، دعا بقرطاس وكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن علي إلى بني هاشم: أما بعد:... فإنه من لحق بي منكم، استشهد معي، ومن تخلف، لم يبلغ الفتح، والسلام**»، (بحار الأنوار، ج٤٢ ص٨١)، في حين تنقل رواية أخرى أنه «**دخل بعض موالي عبد الله بن جعفر بن أبي طالب** عليه السلام (زوج السيدة زينب عليها السلام)، **فنُعي إليه ابنيه، فاسترجع. فقال أبو السّلاسل مولى عبد الله: هذا ما لقينا من الحسين بن عليّ** عليهما السلام. **فحذفه عبد الله بن جعفر بنعله ثم قال: يا ابن اللّخناء! للحسين تقول هذا؟! والله لو شهدتُه لأحببتُ ألا أفارقه حتى أُقتل معه**، والله إنه لمِمّا يسخي بنفسي عنهما، ويعزيني عن مصابهما؛ أنهما أصيبا مع أخي وابن عمّي، مواسين له، صابرين معه. ثم أقبل على جلسائه، فقال: الحمد لله، عزّ علي مصرع الحسين عليه السلام، إنْ لا (لم) أكن آسيتُ حسيناً بيدي، فقد آساه ولديّ»، الإرشاد، ج٢ ص١٢٤.

على رأسها وهو يكفكف دموعه الجارية بصمت. وكان يتامى مُسلم محطّ اعتناءٍ من قبل السيدة زينب وليلى وأم كلثوم وسَكينة عليهم السلام.

انظروا إلى هذه الأخلاق التي تجلّت في كربلاء، فحين جاءت السيّدة سَكينة لتكلم أباها الحسين عليه السلام، ترجّل عن ظهر جواده. ولهذا العمل معنىً كبير، فالإمام الحسين عليه السلام يعرف ابنته حقّ المعرفة. وكانت جماعةٌ من الناس قد جاءت لخطبة السيدة سَكينة في وقتٍ سابق، غير أنّ الحسين عليه السلام رفض طلبهم. فما كان منهم إلا أن سألوه: مولانا، لِمَ لمْ تزوّجها حتى الآن وهي أفهم الناس وأعقلهم؟ فقال: «لأنها تستغرق في ذات الله»[(١)]. إنها ليست من أهل السماء ولا من أهل الأرض، فقلبُها متعلق بالملأ الأعلى وقد وصلت إلى مرتبة الشهود التوحيدي، ولذا لم يكن بمقدورها إبعاد قلبها عن الله[(٢)]، وليس الكمال إلا هذا.

نزل الإمام عليه السلام عن جواده وجلس على التراب مخاطباً ابنته: تكلمي يا ابنتي، وبوحي بما يختلج في قلبك. هكذا يتصرف الكبار عندما يرتقون إلى مقام الإدراك الكامل، فإذا تحدّث إليهم أصغر

(١) «... وأما سَكينة فغالب عليها الاستغراق مع الله تعالى فلا تصلح لرجل»، إسعاف الراغبين، ص ٢١٠.

(٢) عن الصّادق عليه السلام قال: «**العارف شخصه مع الخلق، وقلبه مع الله لو سها قلبه عن الله طرفة عين لمات شوقاً إليه**، والعارف أمين ودائع الله، وكنز أسراره، ومعدن نوره، ودليل رحمته على خلقه، ومطية علومه، وميزان فضله وعدله، قد غني عن الخلق والمراد والدنيا ولا مؤنس له سوى الله، ولا نطق ولا إشارة ولا نفس إلا بالله لله من الله مع الله»، بحار الأنوار، ج٣ ص١٤.

فرد في عالم الدنيا، يتنزلون إليه ويتحدثون معه بكل لطفٍ ومحبة، ويبدون إعجابهم بكلامه ويكبّرون من شأنه، فهم الحائزون على العلم الإلهي الذي هو «نور يقذفه الله في قلب من يشاء»[١]، وما هذا التصرّف إلا دليل على وصولهم إلى الحقيقة. أما إذا رأيتم مَن يُحدّث قاصديه ببضع كلماتٍ تعلّمها وطالَعها ويتعالى في إجاباته لهم، فهو ممّن لا علم لهم ولا أثر للنور في وجودهم، ولو حتى بمقدار ذرّة واحدة[٢]. ولذا، أعرِضوا عنه، فأمثال هؤلاء يمثلون جانباً من جوانب الدنيا. وإنّ الأستاذ الذي يتحبّب إلى تلميذه أكثر، ينجح في نيل قلب ذلك التلميذ فيبقى مورد حبّه واعتماده مدةً أطول. «إنَّا معاشر الأنبياء أُمرنا أن نُكلّم الناس على قدر عقولهم»[٣]، ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾[٤]، هكذا كان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**العِلمُ نورٌ وضياءٌ يَقذِفُهُ اللهُ في قُلوبِ أوليائِهِ، وينطقَ بِهِ عَلى لِسانِهِم**»، (قرّة العيون للفيض الكاشاني، ص ٤٣٨). وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**لَيسَ العِلمُ بِكَثرَةِ التَّعَلُّم، إنَّما هُوَ نورٌ يَقَعُ في قَلبِ مَن يُريدُ اللهُ أن يَهدِيَهُ، فَإذا أرَدتَ العِلمَ فَاطلُب أوَّلًا في نَفسِكَ حَقيقَةَ العُبودِيَّةِ، واطلُبِ العِلمَ بِاستِعمالِهِ واستَفهِمِ اللهَ يُفهِمكَ**»، (منية المريد، ص ١٤٩ وص١٦٧) وفيه «يقذفه الله تعالى» بدل «يقع» وليس فيه ذيل «فإذا...»..

(٢) عن الإمام الكاظم عليه السلام: «إن الزرع ينبت في السهل ولا ينبت في الصفا، **فكذلك الحكمة تعمر في قلب المتواضع، ولا تعمر في قلب المتكبر الجبّار،** لأن الله جعل التواضع آلة العقل»، ميزان الحكمة، ج١ ص٦٧٤.

(٣) الكافي الشريف، ج١ ص٢٣.

(٤) سورة آل عمران، آية ١٥٩.

بالعودة إلى الموقف الكربلائي، إستمع الحسين عليه السلام لكلام ابنته ولم يقل لها: إني أنا الإمام وحجة الله. فهؤلاء هم الأئمة عليهم السلام[(١)]، وهؤلاء هم حجج الله، وهؤلاء هم من أسّسوا عاشوراء، وهؤلاء هم الدّاخلون في وجودكم[(٢)] والذين قبورهم في صدوركم[(٣)]. هكذا كانوا يتصرفون مع الخلق، فقد زرعوا بذرة المحبة في وجود كل العالم، وكان الحسين عليه السلام هو الفاتح[(٤)] له.

---

(١) عن أبي حمزة الثمالي، عن علي بن الحسين عليهما السلام، قال: «**قلت: الأئمة يحيون الموتى ويبرئون الأكمه والأبرص ويمشون على الماء؟ قال: ما أعطى الله نبياً شيئاً قط إلا وقد أعطاه محمداً** صلى الله عليه وآله وسلم، **وأعطاه ما لم يكن عندهم**. قلت: وكل ما كان عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أعطاه أمير المؤمنين عليه السلام؟ قال نعم، ثم الحسن والحسين عليهما السلام، **ثم من بعد كل إمام إماماً إلى يوم القيامة، مع الزيادة التي تحدث في كل سنة وفي كل شهر. ثم قال: إي والله في كل ساعة**»، بصائر الدرجات، ص٢٠٥.

(٢) «أنفسكم في النفوس وأرواحكم في الأرواح»، الزيارة الجامعة، مفاتيح الجنان.

(٣) «قبورنا قلوب شيعتنا وموالينا»، بحار الانوار، ج٣٢ ص٣٧٧.

(٤) «**بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن علي إلى بني هاشم، أما بعد، فإنه من لحق بي منكم استشهد ومن تخلف عني لم يبلغ الفتح والسلام**»، (اللهوف في قتلى الطفوف، ص٢٨). وقد ورد عنهم عليهم السلام: «**بنا يفتح الله وبنا يختم**»، (تحف العقول، ص١١٥)، **فالفتح ثلاث: «الفتح القريب**، هو ما انفتح على العبد من «مقام القلب» وظهور صفاته وكمالاته عند قطع «منازل النفس»، وهو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ (سورة الصف، آية ١٣). **والفتح المبين**، وهو ما انفتح على العبد من مقام الولاية وتجليات أنوار الأسماء الإلهية المُفنية لصفات القلب وكمالاته، وهو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ (سورة الفتح، آية ١)، يعني من الصفات النفسية والقلبية. **والفتح المطلق**، وهو أعلى الفتوحات وأكملها وهو ما انفتح على العبد من=

خاطب الإمام عليه السلام ابنته قائلاً: بُنيّة، قولي ما تريدين. قالت: أجلسني في حجرك. أجسلها في حجره وبدأ يلاطفها بيده، فأبعدت السيّدة سَكينة عليها السلام يدَ أبيها عنها. ثم كرّرت هذا التصرف ثانيةً. ولكن، في المرة الثالثة، سألها الحسين عليه السلام: لمَ تفعلين هذا يا ابنتي؟ أجابَت: أبتاه يا حبيبي، أنظر هناك، إنهم يتامى مُسلم، وقد يتبادر إلى ذهنهم أنك تحبّني أكثر مما تحبهم[(١)]. هذه هي أخلاق كربلاء! في تلك اللحظة، احتضن الحسين عليه السلام ابنته وراح يقبّلها ويشمّها قائلاً لها: بنيَّة سكينة، إنك لَتَمْلكين قابليّة الاستغراق في ذات الله.

ولمَ لا تأخذون درساً من جواد الحسين عليه السلام الذي جثا عند قدمَيه المباركتين؟ ولنتمعّن في هذا المطلب جيداً. إننا لسنا بأقلّ من تلك الحيوانات، فحين وصلت الجياد إلى كربلاء لم تتزحزح من مكانها، وكان من بينها جواد الحسين عليه السلام «ذي الجناح». فَلْتَشعُروا بذلك الإحساس حتى لا تميلوا عن كربلاء ولا تحيدوا عنها، فالحسين عليه السلام يسكن قلوبكم[(٢)]، وهو الذي قد بذل سرّه في

=تجلي الذات الأحدية والاستغراق في عين الجمع بفناء الرسوم كلها وهو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ (سورة النصر، آية ١)»، شرح الأسماء وشرح دعاء الجوشن الكبير، ص١٢٩ و١٣٠.

(١) هذا العمل هو عبارة عن ترك الأنا وعدم التفكير بالذات بل بالغير.

(٢) ورد في الحديث: «إن قلب المؤمن عرش الرحمن»، (بحار الأنوار، ج ٥٥ ص٣٩). وقد ورد في القرآن الكريم: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾، (سورة طه، آية ٥). **والرحمن هو اسم من أسماء الله الحسنى**، وأبو عبد الله عليه السلام يقول: «**نحن والله الأسماء الحسنى**»، (الكافي، ج١ ص١٤٤).

العالم. لا تقبل بأن تكون أقلّ من ذلك الحيوان، ولا تقبل بأن تكون عُرضةً للاهتزاز والحسين عليه السلام يسكن وجودك ويمتطي منزلة قلبك وروحك. فإنْ كنتَ تشعر بذلك الثقل الأكبر في وجودك، إحرص على أن تبقى في كربلاء ولا تحيد عنها أبداً.

أتحسب أنك تعرف كربلاء؟

لقد اختار الحسين عليه السلام كربلاء[(١)] لتكون المصداق النهائي للهجرة إلى الله تعالى[(٢)]، فكربلاء ليست نقطة جغرافية كما أنها ليست موطناً، وإنما هي حقيقة كالنبوّة والرّسالة والإمامة والولاية. وكذلك الحال بالنسبة لعاشوراء، فهي ليست زماناً بل حقيقة كبقيّة الحقائق المعنوية. كربلاءُ هي حقيقةٌ هاجر الحسين عليه السلام إلى الله من خلالها، وقد صدحت بهتاف الوحدوية حين زأرت قائلةً: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾[(٣)]، فأتى ظهور الألوهية منها، ولهذا السبب ينبغي السجود

---

(١) قال أبو عبد الله الحسين عليه السلام: «إذا قام القائم عليه السلام، وافوا فيها بينهم الحسين عليه السلام **حتى يأتي كربلاء فلا يبقى أحد سماوي ولا أرضي من المؤمنين إلا حفوا بالحسين عليه السلام، حتى أن الله تعالى يزور الحسين عليه السلام ويصافحه ويقعد معه على سرير. يا مفضل: هذه والله الرفعة، التي ليس فوقها شيء ولا لوارثها مطلب»**، (صحيفة الأبرار، حديث ٩٢). «**وإن الذي حصل له صلى الله عليه وآله في عروجه إلى السماء هو الذي حصل للحسين عليه السلام في نزوله إلى الأرض وكذا لسائر الأئمة في إدبارهم عن** الخلق وإقبالهم إلى الحق»، معركة النور والظلام، ص٢٠٤.

(٢) قال الحسين عليه السلام لما بلغ أرض كربلاء: «ها هنا محطّ رحالنا»، ومحطّ الرحال هو المكان المقصود أي الغاية.

(٣) ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ (سورة القصص، آية ٣٠). وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام =

على تربتها. لا يجوز السجود إلا لله، فأنتَ يا مَن تسجد على تراب كربلاء إنما تفعل ذلك بسبب ظهور الله، أي أن تربة الحسين عليه السلام ليست إلا ظهوراً لله[(١)]، ومن أجل ذلك هاجر الحسين عليه السلام إلى

=أنه قال: «**شاطئُ الوادي الأيمن الذي ذكره الله تعالى في القرآن هو الفراتُ، والبقعة المباركة هي كربلاء**»، (التهذيب للطوسي، ج٦ ص٣٨). وسُئل الإمام الباقر عليه السلام عن خصوصية أرض كربلاء، فقال عليه السلام: «**الغاضرية هي البقعة التي كلم الله فيها موسى بن عمران، وناجى نوحاً فيها، وهي أكرم أرض الله عليه، ولولا ذلك ما استودع الله فيها أولياءه وأبناء نبيّه، فزوروا قبورنا بالغاضرية**»، (بشارة الزائرين، ص٢٦). كما ورد عن الرضا عن آبائه عليهم السلام: «إن موسى عليه السلام نظر ليلة الخطاب إلى كل شجرة في الطور وكل حجر ونبات ينطق بذكر محمد واثني عشر وصياً له من بعده، فقال موسى: **إلهي لا أرى شيئاً خلقته إلا وهو ناطق بذكر محمد وأوصيائه الإثني عشر، فما منزلة هؤلاء عندك؟ قال: يا ابن عمران، إني خلقتهم قبل أن أخلق الأنوار خلقتهم في خزانة قدسي ترتع في رياض مشيتي**، وتتنسم من روح جبروتي، وتشاهد أقطار ملكوتي حتى شئت بمشيتي أنفذت قضائي وقدري»، (بحار الأنوار، ج٢٦ ص٣٠٨ و٣٠٩). **والعجب كل العجب أنّ أرباب الظاهر يجوّزون تكليم الله من الشجرة بـ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ ولا يجوّزونه من الشجرة الإنسانية والتي هي أولى بذلك.** ولكن، ﴿ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ﴾ (سورة النجم، آية ٣٠). وفي رواية العارف الشيخ البهائي طيّب الله ثراه في كتابه «مفتاح الفلاح» في تفسير سورة الحمد المقدسة روى أنه **كان الإمام الصادق عليه السلام يصلي فخرّ مغشياً عليه أثناء الصلاة فسُئل بعدها عن سبب غشيته فقال: ما زلتُ أردّد هذه الآية حتى سمعتها من قائلها**... وتأويل ذلك عند العرفاء أن لسان جعفر الصادق عليه السلام كان ذلك الوقت كشجرة الطور في قول الحق: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾، سورة القصص، آية ٣٠.

(١) لم يكن لظهور وتجلي الله تعالى في كربلاء نظيرٌ من الظهور وهو الذي يظهر بكل شيء، «فرأيتك ظاهراً في كل شيء»، (دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عرفة، مفاتيح الجنان)، إلا أن ظهوره في كربلاء كان تاماً.

الله. ولذا، ينبغي عليك أنتَ أيها الموجود في عالم الجسد، أن تتنزل باتجاه تلك التربة. «ليس غيري، ليس غيري في الوجود، أسجُدوني، أسجُدوني في السجود»(١). ولكنّ الواقع أنك غير

---

(١) لقد ذُكر موضوع السجود في القرآن الكريم في موارد عدة، فتارة يصدر الأمر بالسجود لله بشكل مباشر: ﴿فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعْبُدُواْ﴾ (سورة النجم، آية ٦٢). وتارة يصدر بالسجود لآدم: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ﴾ (سورة البقرة، آية ٤٣) وتارة بالسجود لاسم الرحمن ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ (سورة الفرقان، آية ٦٠) ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ (سورة مريم، آية ٥٨) كما يذكر القرآن سجود إخوة يوسف وأبويه له حيث يقول: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا﴾ (سورة يوسف، آية ١٠٠). **والسجود بمعناه اللغوي هو الخضوع، وهو إما يكون باستقلالية عن الله، فلا يعدّ ذلك سجوداً له عزّ وجل بل يعدّ شركاً بالله تعالى، وإما يكون من غير استقلالية عنه جلّ جلاله حين يكون هو المقصود من وراء السجود لآياته وأسمائه، وهذا السجود يكون لله، فالمعرفة ضرورية في هذه المسألة**. وعليه، فإن السجود لآدم، إذا لم يكن باستقلالية ولا بمنأى عن الله لا يكون إلا له تبارك وتعالى. **وانطلاقاً من هذا الأساس، كان سجود الملائكة لآدم وسجود إخوة يوسف وأبويه له** عليه السلام. **واستناداً إلى هذا الأساس نفسه، أمرنا الله عز وجل بالسجود لاسمه الرحمن، وهذا كله بالحقيقة سجودٌ لله عز وجل وتنفيذٌ لأمره تبارك وتعالى**. وقد ورد في الروايات: «لو كنتُ آمر أحداً أن يسجد لأحد لأمرتُ المرأة أن تسجد لزوجها» (مكارم الأخلاق، ص٢١٥).

إذاً، السجود على نوعين، فتارة يكون من الله وفي الله وإلى الله، وتارة يكون من غير الله فلا يمكن أن يكون في الله ولن يوصل إلى الله أبداً. وإنّ منشأ اسم الرحمن من الرحمة، فحين تتلى آيات الرحمن، ينكسر لها القلب ويخضع ويخشع كما تدمع العين تأثراً بها، ﴿تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ (سورة المائدة، آية ٨٣). **ومن المعلوم أن تعيّن اسم الرحمن وظهوره الأتمّ هو في الحسين** عليه السلام، **حيث إنه رحمة الله الواسعة وباب نجاة الأمة**،=

عارفٍ بهذه التربة التي تضعها أمامك في الصلاة، «اللهم عرّفنا كربلاء»[(١)].

=ومن هنا كان **السجود على تربته سجوداً لاسم الرحمن ولآية من آياته وتجلياً من تجلياته وبالنتيجة سجوداً لله وحده لا غير**. وقد دلّت على شرف تربة كربلاء وقداستها روايات كثيرة نذكر بعضاً منها: ورد أن «**السجود على تربة الحسين** عليه السلام **يخرق السماوات السبع**» (وسائل الشيعة، ج٥ ص٣٦٦)، كما ورد أن «**الشفاء في تربته**» (وسائل الشيعة، ج١٤ ص٤٢٣). وتقول إحدى الروايات: «**اتّخذ الله تعالى كربلاء حرماً آمناً مباركاً قبل أن يخلق الله أرض الكعبة ويتخذها حرماً بأربعة وعشرين ألف عام**» (بشارة الزائرين ص٢٦). وفي رواية أخرى: «...فلمّا **قيل للحسين** عليه السلام **هذه أرض كربلا شمّها** (وفي رواية: قبض منها قبضة فشمّها) وقال: هذه واللّه هي الأرض التي أخبر بها جبرائيل رسول اللّه، وإنّني أُقتل فيها»، (تذكرة الخواص، ص٢٢٥). كما ورد في إحدى الروايات: «عن هرثمة بن سليم قال: غزونا مع علي بن أبي طالب عليه السلام غزوة صفين، فلما نزلنا بكربلاء صلّى بنا صلاة، **فلما سلّم رفع إليه من تربتها فشمّها**»، (صفين، ص١٤٠ و١٤١). وعن الإمام الباقر عليه السلام: «خلق الله تبارك وتعالى أرض كربلاء قبل أن يخلق الكعبة بأربعة وعشرين ألف عام، وقدّسها وبارك عليها، **فما زالت قبل خلق الله الخلق مقدّسة مباركة ولا تزال كذلك حتّى يجعلها الله أفضل أرض في الجنّة، وأفضل منزل ومسكن يسكّن الله فيه أولياءه في الجنة**»، (بشارة الزائرين، ص٢٨). ومن كلام لعلي بن الحسين عليه السلام: «اتّخذ الله أرض كربلاء حرماً آمناً مباركاً قبل أن يخلق الله أرض الكعبة ويتّخذها حرماً بأربعة وعشرين ألف عام، **وإنه إذا زلزل الله تبارك وتعالى الأرض وسيَّرها رفعت كما هي بتربتها نورانية صافية، فجعلت في أفضل روضة من رياض الجنة، وأفضل مسكن في الجنة**». (كامل الزيارات، ص٤٥١ ح٥).

(١) ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**قيمة كل امرئ ما يعلم**»، (غرر الحكم، ص٤٢). ويقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾، (سورة النجم، آية ٣٠). وقد سئل الإمام الصادق عليه السلام: «ما لنا ندعو فلا يستجاب لنا؟ فقال: **لأنكم تدعون من لا تعرفون**، وتسألون ما لا تفهمون»، (كتاب التوحيد،=

لقد بقيت المسائل المرتبطة بكربلاء وعاشوراء والحسين عليه السلام سرّاً لم يفهمه أحد من المخلوقات الإلهية، لا ملك مقرّب ولا نبيّ ولا وليّ ولا أيٌ من المخلوقات الأخرى.فكلهم لم يتمكنوا من فهم ماهية تلك المسائل وعجزوا عن الوصول إلى الحقيقة في كل ما يرتبط بالإمام الحسين عليه السلام. أما بالنسبة لما كُتِب وقيل عن هذه المسائل والحقائق، فلا يدلّ إلا على ضعف الإدراك ونقص الاستعداد لجهة تقبّلها. وقد كان جبرائيل يتلو مجالس الحسين ومصائبه والحقائق المرتبطة بهجرته إلى الله على الأنبياء، كآدم وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، غير أن ذلكَ لم يكن يتمّ إلا بحسب الظرفية والسعة الوجودية لكلٍّ من هؤلاء الأنبياء. كما تتجلّى هذه الحقائق لأهل المعرفة بحدود معيّنة، بل تلمع في وجودهم للحظات، إن صحّ التعبير، مما يؤدي إلى فنائهم، بحيث لا يبقون بعدها.

قدسيّة تربة كربلاء

في اللحظات الأخيرة، كان الحسين عليه السلام يأخذ بتراب كربلاء ويشمّه(١) ويضعه على رأسه الشريف، وما كان الحسين عليه السلام ليأتي

=ص٢٠٩). كما ورد عن الإمام الحسين عليه السلام: «**المعروف بقدر المعرفة**»، (مقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص١٥٧)، وورد عنهم عليهم السلام: «**إنا لا نخاطب الناس إلا على ما يعرفون**»، وفي رواية أخرى: «**لو زدتم في السؤال حرفاً لزدنا في الجواب حرفاً**»، كشف الحق في مسائل المعراج، ص٣٤.

(١) في رواية: «... ثمّ قال الحسين عليه السلام: ما يُقال لهذه الأرض؟ فقالوا: كربلاء ويُقال لها أرض نينوى قرية بها. فبكي وقال: كرب وبلاء! أخبرتني أمّ سلمة=

بهذا الفعل لو لم يكن في ذلك التراب ظهور للرّبوبية والألوهية. فكربلاء هي الأرض التي أعطاها الحسين عليه السلام اعتبار الظهور الرّبوبيّ. تلك الأرض التي وصل إليها جواد أمير المؤمنين عليه السلام ووقف دون حراك، فنظر أمير المؤمنين عليه السلام إلى فضائها عن يمينه

=قالت: كان جبرئيل عند رسول اللّه صلى الله عليه وآله وأنت معي، فبكيتَ، فقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: دعي ابني. فتركتك، فأخذك وضعك في حجره، فقال جبرئيل: أتحبّه؟ قال: نعم. قال: فإنّ أُمّتك ستقتله. قال: وإنْ شئتَ أُريك تربة أرضه التي يُقتل فيها. قال: نعم. قالت: فبسط جبرائيل جناحه على أرض كربلاء فأراه إيّاها. **فلمّا قيل للحسين عليه السلام هذه أرض كربلا شمّها (وفي رواية: قبض منها قبضة فشمّها)** وقال: هذه واللّه هي الأرض التي أخبر بها جبرائيل رسول اللّه، وإنّني أُقتل فيها»، (تذكرة الخواص ص٢٢٥). وفي رواية أخرى: عن هرثمة بن سليم قال: «غزونا مع علي بن أبي طالب عليه السلام غزوة صفين، **فلما نزلنا بكربلاء صلّى بنا صلاة، فلما سلّم رفع إليه من تربتها فشمّها** ثم قال: واهاً لك أيتها التربة، ليحشرن منك قوم يدخلون الجنة بغير حساب...» (صفين لابن مزاحم ص١٤٠ و١٤١). وعن إحدى زوجات رسول الله صلى الله عليه وآله: «كان النبي صلى الله عليه وآله إذا قدم من سفر قبّل نحر فاطمة عليها السلام وقال: منها أشم رائحة الجنة»، (إحقاق الحق، ج١٠ ص١٨٥-١٨٦). «إن **الشمّ هو الطريق الأسمى للإرتباط بالحقيقة**. وقد شملت رحمة الله كل شيء في هذا العالم بمحبّة محمد وآل محمد عليهم السلام والارتباط بهم، **ويتحقق هذا الارتباط عن طريق الشمّ**. وبإمكان كلّ من يمتلك حاسّة الشمّ هذه أن يميّز عشاق الحسين عليه السلام من خلال شمّ رائحة تربته في باطنهم. **ولا يحتاج صاحب هذه الحاسّة إلى الدليل أو البرهان، لأنّها مرتبطة بالقلب والقلب ليس بحاجة إلى العلم**. فحين عَلِمَ أويس القرني بأنّ معاوية يقاتل علياً عليه السلام، قال فوراً: إنّ الحقّ مع عليّ. فسأله الناس: كيف عرفت أنّ الحق مع علي من دون أي تحقيق؟ فأجاب قائلاً: إنّي أشمّ. وليس العشق إلّا هذا. فحاسة الشمّ هذه تمنح الإنسان القدرة على معرفة الولي»، مُقتبَس من كتاب «رائحة الوصال»، آية الله السيد أحمد النجفي، ص ١٣ و١٤ و١٥.

وعن شماله، (وهذه الإلتفاتات التي نتلفتها في الصلاة عند التسليم راجعة لالتفات أمير المؤمنين عليه السلام)، ثم قال: «السلام عليك يا أبا عبد الله»، وبعدها راح يضحك ويضحك. وإنّ هذا لهو جنون العاشقين. وليس في ذلك عيب، فأمير المؤمنين عليه السلام هو عقل عالم الوجود، ومعذرةً من ساحته المقدسة حيث نقول إن عشق الحسين عليه السلام أجنّه. لم يتجرّأ أحد على سؤاله عن حاله في تلك اللحظة، حيث تجلّت الهيبة العلوية. ولكن لدى عودتهم، سألوه فقال عليه السلام لهم: عندما وصلت إلى تلك الأرض، شاهدت بحراً من الدماء، وفي ذلك البحر كان يسبح دم ولدي الحسين[1] عليه السلام.

(١) عن ابن عباس قال: «كنت مع أمير المؤمنين عليه السلام في خرجته إلى صفين فلما نزل بنينوى وهو بشط الفرات قال بأعلى صوته: يا ابن عباس أتعرف هذا الموضع؟ قلت له: ما أعرفه يا أمير المؤمنين فقال عليه السلام: لو عرفته كمعرفتي لم تكن تجوزه حتى تبكي كبكائي. قال: فبكى طويلاً حتى أخضلت لحيته، وسالت الدموع على صدره، وبكينا معاً وهو يقول: أوه أوه ما لي ولآل أبي سفيان؟ ما لي ولآل حرب حزب الشيطان؟ وأولياء الكفر؟ صبراً يا أبا عبد الله فقد لقي أبوك مثل الذي تلقى منهم. ثم دعا بماء فتوضأ وضوء الصلاة فصلى ما شاء الله أن يصلي ثم ذكر نحو كلامه الأول إلا أنه نعس عند انقضاء صلاته وكلامه ساعة ثم انتبه فقال: يا ابن عباس فقلت: ها أنا ذا، فقال: ألا أحدثك بما رأيت في منامي آنفا عند رقدتي؟ فقلت: نامت عيناك ورأيت خيراً يا أمير المؤمنين. قال: رأيت كأني برجال قد نزلوا من السماء معهم أعلام بيض قد تقلدوا سيوفهم وهي بيض تلمع، وقد خطوا حول هذه الأرض خطة **ثم رأيت كأن هذه النخيل قد ضربت بأغصانها الأرض تضطرب بدم عبيط وكأني بالحسين سخلي وفرخي ومضغتي ومخي قد غرق فيه يستغيث فيه فلا يغاث،** وكأن الرجال البيض قد نزلوا من السماء ينادونه ويقولون: صبراً آل الرسول، فإنكم تقتلون على أيدي شرار الناس، وهذه الجنة يا أبا عبد الله إليك مشتاقة، =

حين وصل الحسين عليه السلام إلى كربلاء، توقف الجواد هناك ولم يحرّك ساكناً. فللجياد القدرة على تحديد أمكنة الخطر، ولذلك عرف الجواد أن المكان خطير على عزيز الله وابن فاطمة الزهراء عليها السلام. أنظروا كيف تمكّنت الحيوانات من الفهم والوصول بينما لا نزال نحن في أماكننا.

عندما تصرّف الجواد على ذلك النحو، سأل الحسين عليه السلام عن اسم تلك الأرض، فقالوا له: الغاضرية. وفي الأزمنة الغابرة، كان يأتي الناس المصابون بالأمراض إلى هذه الأرض ويتمسّحون بوحولها فيجدون الشفاء فيها. وبالتالي، كانت تعدّ هذه الأرض دار شفاءٍ(١) بالنسبة للمنطقة وسكّانها. وبعد أن أتاه الجواب، كرّر الإمام سؤاله: هل لها اسم آخر؟ أجابوه: نعم، نينوى. ثم أعاد عليه السلام السؤال مرة ثالثة: هل لها اسم آخر؟ قالوا: شاطئ

=ثم يعزونني ويقولون: يا أبا الحسن أبشر، فقد أقرّ الله به عينك يوم يقوم الناس لرب العالمين»، بحار الأنوار، ج٤٤ ص٢٥٢.

(١) عن الصادق عليه السلام: «إنّ اللهَ تبارَك وتعالى فضّل الأرضين والمياه بعضها على بضع، فمنها ما تفاخَرَتْ ومنها ما بَغَتْ، فما مِنْ ماءٍ ولا أرض إلاّ عوقبت لتركها التَّواضع لله حتّى سلّط اللهُ المشركينَ على الكَعبة، وأرسل إلى زَمزم ماءً مالحاً حتّى أفسد طعمَه، وإنَّ أرض كربلاء وماء الفُرات أوَّلُ أرض وأوَّلُ ماء قدَّس اللهُ تبارك وتعالى، فبارَكَ الله عليهما فقال لها: تكلّمي بما فضّلك الله تعالى فقد تفاخرتِ الأرضون والمياه بعضها على بعض؟ قالت: **أنا أرض الله المقدَّسة المباركة؛ الشِّفاء في تُربتي ومائي، ولا فخر، بل خاضعة ذليلة لمن فعل بي ذلك، ولا فخر على مَن دوني، بل شُكراً لله. فأكرمها وزاد في تواضعها وشكرها الله بالحسين** عليه السلام **وأصحابه**»، كامل الزيارات، ص٢٧٩.

الفرات. وفي المرّة الأخيرة، قالوا بأنّ اسمها كربلاء. وكان الإمام عليه السلام يقول: «سأساق إلى العراق فأنزل أرضاً يقال لها عَمُورا»[(١)]، وحين سأل عن هذه الأرض، علم بأن أهل إحدى

(١) إثبات الرجعة، للفضل بن شاذان. وفي رواية أخرى: قال الحسين عليه السلام لأصحابه قبل أن يقتل: إنّ رسول الله قال لي: **يا بني إنك ستساق إلى العراق، وهي أرض قد التقى بها النبيون وأوصياء النبيين، وهي أرض تدعى عمورا، وإنك تستشهد بها، ويستشهد معك جماعة من أصحابك لا يجدون ألم مس الحديد**، وتلا: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ (سورة إبراهيم، آية ٦٩)، يكون الحرب برداً وسلاماً عليك وعليهم. فأبشروا، فوالله لئن قتلونا فإنا نرد على نبينا، قال: **ثم أمكث ما شاء الله فأكون أول من ينشق الأرض عنه، فأخرج خرجة يوافق ذلك خرجة أمير المؤمنين وقيام قائمنا**، ثم لينزلنّ علي وفد من السماء من عند الله، لم ينزلوا إلى الأرض قطّ ولينزلنّ إلي جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، وجنود من الملائكة، **ولينزلنّ محمّد وعلي وأنا وأخي وجميع من منّ الله عليه، في حمولات من حمولات الربّ خيل بلق من نور لم يركبها مخلوق، ثم ليهزنّ محمد لواءه وليدفعنّه إلى قائمنا مع سيفه**، ثم إنا نمكث من بعد ذلك ما شاء الله، ثم إن الله يخرج من مسجد الكوفة عيناً من دهن وعيناً من ماء وعيناً من لبن. **ثم إن أمير المؤمنين** عليه السلام **يدفع إلي سيف رسول الله، ويبعثني إلى المشرق والمغرب، فلا آتي على عدو لله إلا أهرقت دمه ولا أدع صنماً إلا أحرقته حتى أقع إلى الهند فأفتحها**. وإن دانيال ويوشع يخرجان إلى أمير المؤمنين يقولان صدق الله ورسوله ويبعث الله معهما إلى البصرة سبعين رجلاً فيقتلون مقاتليهم ويبعث بعثاً إلى الروم فيفتح الله لهم. ثم لأقتلنّ كل دابّة حرّم الله لحمها حتى لا يكون على وجه الأرض إلا الطيب وأعرض على اليهود والنصارى وسائر الملل: ولأخيّرنهم بين الاسلام والسيف فمن أسلم مننتُ عليه، ومن كره الإسلام أهرق الله دمه، **ولا يبقى رجل من شيعتنا إلا أنزل الله إليه ملكاً يمسح عن وجهه التراب ويعرفه أزواجه ومنزلته في الجنة ولا يبقى على وجه الأرض أعمى ولا مقعد ولا مبتلى، إلا كشف الله**=

القرى المجاورة يسمّونها أرض عَمُورا. وعمورا من العامرة، أي الأرض التي تبقى عامرة من الأزل إلى الأبد(١). «سأساق إلى العراق، فأنزل أرضاً يقال لها عمورا»، وهنا سأنزل.

قبره في قلوب من والاه

تُظهر كربلاء التوحيد إلى درجة أن الحسين عليه السلام ينزل على قدميه

=**عنه بلاءه بنا أهل البيت**. ولينزلن البركة من السماء إلى الأرض حتى أن الشجرة لتقصف بما يريد الله فيها من الثمرة، ولتأكلن ثمرة الشتاء في الصيف، وثمرة الصيف في الشتاء، وذلك قوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ (سورة الأعراف، آية ٩٦). ثم إن الله ليهب لشيعتنا كرامة لا يخفى عليهم شيء في الأرض وما كان فيها حتى أن الرجل منهم يريد أن يعلم علم أهل بيته فيخبرهم بعلم ما يعملون»، الخرائج والجرائح، ص٨٥١.

(١) «عن أبي الجارود، قال: قال علي بن الحسين عليه السلام: إتخذ الله أرض كربلاء حرماً آمناً مباركاً قبل أن يخلق أرض الكعبة بأربعة وعشرين ألف عام وإنها إذا بدل الله الأرضين **رفعها الله كما هي برمتها نورانية صافية فجعلت في أفضل روض من رياض الجنة**، وأفضل مسكن في الجنة لا يسكنها إلا النبيون والمرسلون، أو قال: أولو العزم من الرسل، وانها لتزهر من رياض الجنة كما يزهر الكوكب الدري من بين الكواكب لأهل الأرض يغشى نورها نور أبصار أهل الجنة جميعاً، وهي تنادي أنا أرض الله المقدسة، والطينة المباركة التي تضمنت سيد الشهداء وشباب أهل الجنة»، (الوسائل للحر العاملي، ج ١٠ ص٤٠٣). و عن الصادق عليه السلام: «زوروا كربلاء ولا تقطعوه، فإنّ خير أولاد الأنبياء ضمنته، **ألا وإن الملائكة زارَتْ كربلاء ألف عام من قبل أن يسكنه جَدِّي الحسين** عليه السلام، **وما مِن ليلة تمضي إلاّ وجبرئيل وميكائيل يزورانه**»، كامل الزيارات ص٢٧٩.

إليها. وكربلاء[١] توصل الإنسان إلى الغنى المطلق، حيث يقول الإمام زين العابدين عليه السلام: «من أتى قبر أبي عليه السلام فقد وَصَل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووَصَلنا وحَرُمَت غيبته وحَرُم لحمه على النار وأعطاه الله بكل درهم أنفقه عشر آلاف مدينة له في كتاب محفوظ وكان الله له من وراء حوائجه وحفظ في كل ما خلف ولم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه وأجابه فيه وإما أن يعجّله إما أن يؤخّره له»[٢]. كما ورد عن الإمام موسى الكاظم عليه السلام: «أدنى ما يُثاب به زائر الحسين عليه السلام بشطّ الفُرات إذا عَرَفَ بحقّه وحُرمَتِهِ ووِلايتِهِ أن يُغْفرَ له ما تَقَدّم من ذَنْبِهِ وما تأخّر»[٣]. وأمّا بالنسبة لصحّة هذه الروايات فهي مؤكدة، والدليل الذي يثبت صحّتها هو نفسه الدليل الذي

(١) عن إسحاق بن عمار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «**إن لموضع قبر الحسين** عليه السلام **حرمة معلومة من عرفها واستجار بها أجير**. قلت: فصف لي موضعها جعلت فداك، قال: إمسح من موضع قبره اليوم، فامسح خمسة وعشرين ذراعاً من ناحيةِ رجليه، وخمسة وعشرين ذراعاً من خلفه، وخمسة وعشرين ذراعاً مما يلي وجهه، وخمسة وعشرين ذراعاً من ناحية رأسه، **وموضع قبره منذ يوم دفن روضة من رياض الجنة، ومنه معراج يعرج فيه بأعمال زوّاره إلى السماء**، فليس ملك ولا نبي في السموات إلاّ وهم يسألون الله أن يأذن لهم في زيارة قبر الحسين عليه السلام وفوج ينزل وفوج يعرج»، كامل الزيارات، ص٢٧٢.

(٢) نور العين في المشي إلى زيارة قبر الحسين عليه السلام، ص٣٨؛ كامل الزيارات، ص١٢٧.

(٣) كامل الزيارات، الباب الرابع والخمسون (ثواب من زار الحسين عليه السلام عارفاً بحقه) ص١٤٩. وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «مَن زارَه - والله - عارفاً بحقِّه غُفِرَ له ما تَقَدَّم مِن ذَنبه وما تأخَّر»، المصدر نفسه.

يُثبت صحّة الروايات القائلة بأنّ صلاة الصبح من ركعتين. ولدى عودة زائر(١) الحسين عليه السلام من كربلاء، فإن أوّل من يزوره هو الله تعالى(٢).

«وقبره في قلوب من والاه»(٣)، إنّ كل واحد منكم هو قطعة من كربلاء، ولكنكم تفتقرون إلى اليقين(٤) بذلك. وما إنْ يتوفر ذلك

(١) عن المفضل بن عمر قال: «قال أبوعبد الله عليه السلام: **كأني والله بالملائكة قد زاحموا المؤمنين على قبر الحسين** عليه السلام **قال: قلت فيتراؤون له؟ قال: هيهات هيهات قد لزموا والله المؤمنين حتى أنهم ليمسحون وجوههم بأيديهم**، قال: **ويُنزل الله على زوار الحسين غدوة وعشية من طعام الجنة وخدامهم الملائكة لا يسأل اللهَ عبدٌ حاجةً من حوائج الدنيا والآخرة إلا أعطاها إياه.** قال: قلت: هذه والله الكرامة، قال: يا مفضل أزيدك؟ قلت: نعم سيدي! قال: **كأني بسرير من نور قد وضع وقد ضربت عليه قبة من ياقوتة حمراء مكللة بالجوهر وكأني بالحسين بن علي** عليه السلام **جالس على ذلك السرير وحوله تسعون ألف قبة خضراء وكأني بالمؤمنين يزورونه ويسلمون عليه** فيقول الله عز وجل لهم: **أوليائي سلوني فطالما أوذيتم وذللتم واضطهدتم فهذا يوم لا تسألوني حاجة من حوائج الدنيا والآخرة إلا قضيتها لكم**، فيكون أكلهم وشربهم من الجنة، فهذه والله الكرامة التي لا يشبهها شيء»، كامل الزيارات، ص١٣٥ بتفاوت يسير.

(٢) عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «**يعيّر الله عزوجل عبداً من عباده يوم القيامة، فيقول: عبدي ما منعك إذا مرضتُ أن تعودني؟ فيقول: سبحانك سبحانك أنت ربّ العباد لا تألم ولا تمرض، فيقول: مرض أخوك المؤمن فلم تعُده، وعزتي وجلالي لو عدته لوجدتني عنده**، ثم لتكفلت بحوائجك فقضيتها لك، وذلك من كرامة عبدي المؤمن، وأنا الرحمن الرحيم»، أمالي الطوسى، ج٢ ص٢٤٢. **إذا كان هذا حال المؤمن المريض، فكيف بزائر الحسين** عليه السلام؟

(٣) «قبورنا قلوب شيعتنا و موالينا»، بحار الأنوار، ج٣٢ ص٣٧٧.

(٤) عن أبي الحسن عليه السلام: «الإيمان فوق الإسلام بدرجة، والتقوى فوق الإيمان بدرجة، واليقين فوق التقوى بدرجة، **وما قسم في الناس شيء أقل من**=

اليقين حتى تصبح كل أرض كربلاء، حيث هناك محبّ للحسين عليه السلام في كل مكان فيها.

=اليقين»، (الكافي، ج٢ ص٥١). واليقين هبة من الله ودليله قول مولانا صاحب الزمان عجل الله فرجه في رسالته للشيخ المفيد: «...ووهب لنا ولكم روح اليقين...»، الاحتجاج، ج٢ ص٤٦٦.

النفحة الثالثة

الفاصل بين حسن العمل وقبحه

إنّ طالب الدنيا هو الذي يُسيء إليها ويُظهر القُبح فيها، وليس العكس. والدليل أنّ هذه الدنيا نفسها تُظهر أطيب الوجوه لأولياء الله. يمكن الوصول إلى إحدى الحقائق من خلال هذا البحث، وفي سبيل تحقيق هذه الغاية، نطرح الأسئلة الآتية: هل الأعمال السيّئة هي التي تقبّح السيرة؟ أم أن أصحاب السيرة السيّئة هم الذين يقبّحون الأعمال ويجعلونها على هذه الصورة؟ وفي المقابل، هل الأعمال الحميدة هي التي تجعل الناس خيّرين وصلاّحاً؟ أم أن الخيّرين والصلاّح هم مَن يجعلون الأعمال حميدة[1]؟

إنّ هذا بحث عميق وأساسي، وإذا تمّ فهمه[2]، تُحل الكثير من

(١) فهل الخلافة زيّنت أمير المؤمنين أم أنها تزيّنت به؟

(٢) **الحسن و القبح عقليان وهما تابعان لملاكاتهما عند العقل الأول وهو محمّد وآل محمد ﷺ. فقد يظهر من المطلع على الملاك أمر أو سلوك أو فعل يعتبر=**

المسائل. فالسرقة مذمومة تَبعاً للإنسان الذي يجعلها كذلك، والكذب مذموم تبعاً للكاذب نفسه مثلما أنّ الصدق محمود تبعاً للصادق. وبناءً عليه، فإن كل الأعمال الحَسَنة قد اكتسبت هذه الصفة لأنّ فاعلها حَسَن. وينبغي التفكير بهذا الكلام مليّاً لأنّ لهذا البحث علاقة بكربلاء.

كانت معرفة أولئك الذين أخطأوا في كربلاء ووقفوا في قبالة رَكب الحسين عليه السلام والأصحاب، معرفةً فاسدة. غير أنّ ما قيل هو أنّ العمل قد أفسد العامل. ولذلك، فإنّ معرفة الناس اليوم مقتصرة على هذا الكلام بعينه. أمّا الواقع فهو أنّ العمل الذي يقوم به الإنسان الطيّب لا يكون إلا طيباً، والعكس بالعكس. فإبراهيم الخليل عليه السلام تولّى بنفسه تكسير الأصنام في يوم العيد بعد أن غادر

=من قِبل من لم يطلع على الملاك أنه قبيح و لكنه حسن بحقيقته وواقعه، وعلى ذلك الكثير من الشواهد من حياة الأنبياء والأئمة والأولياء وحتى العلماء، منها ما جرى مع الخضر وموسى عليهما السلام. **فقد كان الخضر مطلعاً على ملاك الفعل الذي يريد أن يقوم به بخرق السفينة ويراه حسناً بينما موسى ولأنه لم يكن مطلعاً على الملاك، اعتبر فعل الخضر قبيحاً .أو كخروج الإمام الحسين من مكة و قوله لمحمد بن الحنفية: شاء الله أن يراني قتيلاً ويراهن سبايا. ففعل الإمام بإخراج النساء معه إلى العراق كان قبيحاً لمن لم يطلع على ملاك الفعل من الإمام الحسين بينما نرى السيدة زينب تقول: ما رأيت إلا جميلاً، لأنها كانت مطلعة على ملاك الفعل و تراه حسناً. بالتالي، الحسن والقبح يتبعان العقل الواقعي والحقيقي و ليس الظاهري** وهذا بيد الإمام وتحت علمه وولايته ومن هذا الباب ظهر فعل الإتهام من يوسف عليه السلام الذي رآه إخوته أنه قبيح لأنهم لم يعرفوا ملاك حسن فعل يوسف فاعتقدوا بقبحه وهو عليه السلام تصرّف هكذا معهم من أجل أمر حسن عقلاً وهو إظهار الحق و جمعه بيعقوب.

الجميع إلى الصحراء، ثم علّق الفأس على الصنم الكبير. وعند عودتهم سألوه عن ذلك، فقال: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾[(١)]، ألا ترون أنّ الفأس معه؟ ولو قام بمثل هذا العمل إنسان سيّء، لكان عملاً يُقصد به الكذب ورمْيَ التهم على الآخرين.

وبدوره، أصدر يوسف الصديق عليه السلام أمراً، ولربّما قام هو بنفسه، بوضع الصّواع الذهبي الذي يُكال به القمح في رحل أخيه ومن ثم أعلن قائلاً: ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ﴾[(٢)]. ولأنّ مَن قام بهذا العمل هو إنسان طيّب، كان العمل طيّباً.

من جهة أخرى، فإنّ كل عمل يصدر عن الإنسان السيّء يكون سيّئاً، حتى وإن كان ذلك العمل هو الصلاة بحدّ ذاتها. أليست الصلاة أفضل الأعمال، «إنْ قُبِلت قُبِل ما سواها وإن رُدّت رُدّ ما سواها»[(٣)]؟ ولكنها مع ذلك تعدّ عملاً سيئاً[(٤)] إذا أدّاها الإنسان السيّء. ثمّ، ألا يعتبر استخدام الأواني المصنوعة من الذهب والفضة حراماً؟ إنّه حرام وفقاً للأحكام الواردة في الرسالات

(١) سورة الأنبياء، آية ٦٣.
(٢) سورة يوسف، آية ٧٠.
(٣) قال الإمام الباقر عليه السلام: «أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ العَبدُ عَلَيهِ الصَّلاةُ فَإِن قُبِلت قُبِلَ مَا سِوَاهَا وَإِن رُدَّت رُدَّ مَا سِوَاهَا»، فلاح السائل، ص ١٢٧.
(٤) عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «كم من قارئ للقرآن والقرآن يلعنه»، (بحار الأنوار، ج٨٩ ص١٨٥). وعن الإمام الصادق عليه السلام: «العَامل على غير بصيرةٍ كالسّائر على غير الطّريقِ فلا تَزِيدُه سُرعَة السَّير من الطريق إلَّا بعداً»، من لا يحضره الفقيه، ج٤ ص٤٠٢.

الفقهية. غير أنّ الله تبارك وتعالى يقدّم لأهل الجنة أوانٍ من ذهب وفضة ﴿بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ﴾(١).

ومن المفيد في هذا السياق ذكر المقاربة الآتية. حين يقوم رجل مسنّ بممازحة صبيّ صغير، ينظر الصبيّ إلى هذا العمل بعين الفخر والمباهاة ويستمرّ في التحدث عنه طيلة عمره، ومردّ ذلك إلى أنّ صاحب هذا العمل هو رجل جليل محاطٌ بالاحترام. أما إذا قام إنسان رديء الخلق وسيّء الطباع بتقديم جائزة لأحد الأفراد، فسيبقى هذا الأخير يذكر، حتى آخر لحظة في حياته، أنّ من أعطاه تلك الجائزة هو رجل فاسد ذو ملفٍ أسود. وبهذا يتبيّن لنا أنّ الأصل في الأحوال جميعها هو الإنسان(٢)، ثم يأتي العمل من بعد ذلك.

الدين بل الوجود تابع للإمام

ليس كل ما تقدّم إلّا من أجل الوصول إلى السؤال الآتي: هل الإمام هو التابع للدين والشريعة؟ أم أنّ الشريعة والدين هما التابعان للإمام(٣)؟ وهنا يُعلَم الفرق بين الشيعي وغيره. فالشيعي

(١) سورة الإنسان، آية ١٥.

(٢) «يا أحمد لولاك لما خلقت الأفلاك، ولولا علي لما خلقتك، ولولا فاطمة لما خلقتكما»، (العلامة المرندي في «ملتقى البحرين»، ص١٤؛ مستدرك سفينة البحار، ج٣ ص٣٣٤)، فالأصل هو الإنسان.

(٣) من المسائل التي تثير جدلاً كبيراً بين العلماء هي: هل أن الدين تابع للإمام أم أن الإمام تابع للدين، على نحو العليّة والترتّب الوجودي لا الترتّب الزماني فحسب؟ =

= **من المسلّم أن الله سبحانه وتعالى أول ما أوجد وخلق نور النبي المصطفى وأهل البيت** عليهم السلام ويدل على ذلك العديد من الروايات منها: رواه جابر بن عبد الله قال: «قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله: أول شيء خلق الله تعالى ما هو؟ فقال: **نور نبيك يا جابر خلقه الله ثم خلق منه كل خير...**»، (بحار الأنوار، ج٢٥ ص٢١-٢٢).

ومن المعلوم أيضاً أن الدين هو من الخلق لأنه يضاف إلى الله، فيقال «دين الله» وهو من الخير. **فالدين، بالدرجة الأولى، هو خير مخلوق من نور محمد وآل محمد** صلى الله عليه وآله. **وبالتالي هو تابع لهم ومُرَتَّبٌ وجوده على وجودهم** عليهم السلام. ولكن قد يسأل سائل: هل المراد من مفهوم الدين أصول الدين أم فروعه؟

إن منطوق الآيات والروايات يشير إلى أنّ كلمة الدين هي مشترك لفظي يطلق تارة على الاعتقاد العام بالأصول والفروع وأخرى على فروع الدين خاصة من عبادات ومعاملات. **فلو كان المراد من كلمة الدين الأصول والفروع، فالإمام نفسها، إذ إن الإمامة من الأصول فلا يصحّ أن يكون تابعه لنفسه لأنه لا يمكن توقف الشيء على نفسه ولو كان المراد من كلمة الدين الفروع فالفروع قائمة بالإمام وتابعة لقوله وفعله وتقريره** كما بيّن علماؤنا وكما دلّت الروايات. وبالتالي، لا يمكن أن يقول قائل إن الإمام تابع للدين بهذا المعنى ولا أن يقول آخر أن الهدف الوحيد من وجود النبي والإمام هو الهداية وتبليغ الفروع، إنما **الصحيح أن يقال إن من ملازمات وجود الإمام إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف، فحركة الإمام ينتج عنها الصلاة والصيام والحجّ. والتشريع بالمعنى الخاص محكوم للإمام لا أن الإمام محكوم للتشريع**. وكما ذكرنا فقد دلّ على ذلك الكثير من الروايات منها:

أ ـ عن أبي إسحاق النحوي قال: «دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فسمعته يقول: إن الله عز وجل أدّب نبيّه على محبّته فقال: وإنك لعلى خلق عظيم، ثم فوّض إليه فقال عز وجل: وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا. وقال عز وجل: من يطع الرسول فقد أطاع الله، ثم قال: وإن النبي فوّض إلى علي وائتمنه، فسلّمتم وجحد الناس **فوالله لنحبكم أن تقولوا إذا قلنا وأن تصمتوا إذا صمتنا ونحن فيما بينكم وبين الله عز وجل. ما جعل الله لأحد خيراً في خلاف=**

=**أمرنا**» الكافي، ج٢ حديث ١/٦٨٦.
ب - محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن محمد بن سنان عن إسحق بن عمّار عن أبي عبد الله عليه السلام: قال: إن الله تبارك وتعالى أدّب نبيّه صلى الله عليه وآله فلما انتهى به إلى ما أراد، قال له: «إنك لعلى خلق عظيم» **ففوّض إليه دينه فقال**: «**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**» وإن الله عز وجل فرض الفرائض ولم يقسم للجدّ شيئاً وإن رسول الله صلى الله عليه وآله أطعمه السُّدْس فأجاز الله جلّ ذكره له ذلك وذلك قول الله عز وجل: «**هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب**»، الكافي ج٢ الحديث ٦/٦٩٠.
ج - الحسين بن محمد، عن معلّى بن محمد عن الوشّاء عن حمّاد بن عثمان عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: «وضع رسول الله صلى الله عليه وآله دية العين ودية النفس وحرّم النبيذ وكلّ مسكر فقال له رجل: **وضع رسول الله** صلى الله عليه وآله **من غير أن يكون جاء فيه شيء؟ قال: نعم، ليعلم من يطع الرسول ممّن يعصيه**»، الكافي، ج٢ الحديث ٧/٦٩٠.
د - محمد بن يحيى عن محمد بن الحسن عن يعقوب بن يزيد عن الحسن بن زياد عن محمد بن الحسن الميثمي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: «إن الله عز وجل أدّب رسوله حتى قوّمه على ما أراد، ثم فوّض إليه فقال عزّ ذكره: «ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا» **فما فوّض الله إلى رسوله** صلى الله عليه وآله **فقد فوّضه إلينا**»، الكافي ٢ الحديث ٩/٦٩٠.
هـ - عن الإمام أبو جعفر الجواد عليه السلام عندما أتاه محمد بن سنان وذكر له الاختلافات العقيدية عند بعض الشيعة إذ قال: «كنت عند أبي جعفر الثاني عليه السلام فأجريتُ اختلاف الشيعة فقال يا محمد: إن الله تبارك وتعالى لم يزل متفرداً بوحدانيته ثم خلق محمداً وعلياً وفاطمة عليهم السلام فمكثوا ألف دهر **ثم خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها وأجرى طاعتهم عليها وفوض أمورها إليهم فهم يُحِلّون ما يشاؤون ويُحَرّمون ما يشاؤون ولن يشاؤوا إلا أن يشاء الله تبارك وتعالى. يا محمد، هذه الديانة من (تقدّمها) مرق ومن تخلّف عنها محق ومن لزمها لحق**، خذها إليك يا محمّد»، الكافي، ج١ ص٤٤١.

الخالص يعتقد بأنّ الدين يتبع الإمام[١]. أما أولئك الذين لا يعرفون الإمام[٢] ولا يدركون الحقائق، فيعتقدون بأن الإمام هو مَن يتبع الدين وكلّ ما يأمر به هذا الأخير.

هنا يطرح السؤال نفسه، هل أتى النبيّ ﷺ ووجد الدين قائماً

(١) في رواية عن الإمام الباقر عليه السلام: «...ونحن من نعم الله على خلقه ونحن المنهاج ونحن معدن النبوة ونحن موضع الرسالة **ونحن أصول الدين وإلينا تختلف الملائكة ونحن السراج لمن استضاء بنا، ونحن السبيل لمن اقتدى بنا ونحن الهداة إلى الجنة ونحن عرى الإسلام**، ونحن الجسور ونحن القناطر من مضى علينا سبق ومن تخلف عنا محق، ونحن السّنام الأعظم ونحن الذين بنا تنزل الرحمة وبنا تسقون الغيث، ونحن الذين بنا يصرف الله عز وجل عنكم العذاب من أبصرنا وعرفنا وعرف حقنا وأخذ بأمرنا فهو من أوليائنا»، (آمالي الطوسي ص٦٥٤ ح٤). وعن سلمان الفارسي عن رسول الله ﷺ قال: هبط جبرائيل يوم أحد وقد انهزم المسلمون ولم يبق غير علي وقد قتل الله على يده يومئذ من المشركين من قتل فقال: جبرائيل: يا محمد إن الله يقرأ عليك السلام ويقول لك: أخبر علياً أني عنه راض، وأني آليت على نفسي أن لا يحبه عبد إلا أحببته ومن أحببته لم أعذبه بناري، ولا يبغضه عبد إلا أبغضته ومن أبغضته ما له في الجنة من نصيب. قال: وهبط علي جبرائيل يوم الأحزاب لما قتل علي بن أبي طالب عمراً فأرسهم (فارسهم) فقال: يا محمد إن الله يقرأ عليك السلام ويقول لك: **إني افترضت الصلاة على عبادي فوضعتها عن العليل الذي لا يستطيعها، وافترضت الزكاة فوضعتها عن المقل، وافترضت الصيام فوضعته عن المسافر، وافترضت الحج فوضعته عن المعدم ومن لا يجد السبيل إليه، وافترضت حبّ علي بن أبي طالب ومودته على أهل السماوات وأهل الأرض فلم أعذر فيه أحدا، فمر أمتك بحبه، فمن أحبه فبحبي وحبك أحبه، ومن أبغضه فببغضي وبغضك أبغضه**»، الجواهر السنيّة، ص٣٠٣.

(٢) إن معرفة الإمام هي رزق ومنّة من الله تعالى: «وأسأل الله الذي رزقني معرفتكم ومعرفة أوليائكم»، زيارة عاشوراء، مفاتيح الجنان.

حتى يتّبعه؟ أم أن مجيئه سبق مجيء الدين[١]؟ وهل قدِم النبي ﷺ بعد قدوم القرآن؟ أم أنّ القرآن ظهر بعد قدومه؟ كلنا تُهنا عن هذا الطريق وأضعناه، حيث تقول الولاية وتابِعُها بأن مجيء رسول الله ﷺ قد سبَق ومن ثم لحق به القرآن الذي كان عبارة عن مجموعةِ أحكامٍ أتت لتقول إنه ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[٢]. وقد نزل القرآن كله من رسول الله ﷺ، إذ كان لا بدّ للإنسان الكامل أن يأتي أولاً ثم يأتي الدين في ما بعد بصورة قرآن.

أَوَهَل حضر الحسين عليه السلام إلى كربلاء حتى يفدي الدين والصلاة[٣]؟! كل من يقول بأنّ الحسين عليه السلام قُتل من أجل صلاتنا، يقوم بقتل الحسين عليه السلام مجدداً. ولو كان القائلون بهذه المقالة في كربلاء، لكانوا من أنصار المعسكر المعادي للحسين وأهل بيته عليهم السلام. هل يؤدي هؤلاء الصلاة[٤] في أول وقتها؟

---

(١) عن النبي الأكرم ﷺ: «الشريعة أقوالي، والطريقة أفعالي، والحقيقة أحوالي»، (ميزان الحكمة، ج٢ ص١٤٢٨). فمثلما أنّ الله فوق كلّ شيء، هم أيضاً عليهم السلام فوق كل شيء ولهم الإحاطة بكل شيء، لأنّهم ظل الله.

(٢) سورة النجم، آية ٣و٤.

(٣) قال أعداء الإمام الحسين بكربلاء إنهم يقاتلونه من أجل الصلاة وقد أدّوا صلاتهم وبعد ذلك انطلقوا بمعركتهم ضد الحسين عليه السلام.

(٤) عن عليّ عليه السلام: «أنا صلاة المؤمن»، (الفضائل لشاذان بن جبرئيل القمي، ص٨٣ و٨٥). ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾، (سورة الماعون، آية ٥) والصلاة في هذه الآية هي بمعنى الحقيقة التي هي ولاية علي بن أبي طالب وأولاده المعصومين عليهم السلام.

يُستحبّ الصلاة في أوّل الوقت على نحوِ التأكيد إلا أنّ إقامة عزاء الحسين عليه السلام والبكاء[١] عليه هو أكثر استحباباً. وصحيحٌ أنّ ذلك لا يعدّ من بين الواجبات، إلا أننا نعلم بأنه واجب، فديننا يقول بوجوب البكاء على الحسين[٢] عليه السلام، ونحن من المؤيدين

(١) عن الإمام الرضا عليه السلام: «**فعلى مثل الحسين فليبكِ الباكون، فإنّ البكاء يحطّ الذنوب العظام**»، (أمالي الصدوق، ص١٩٠). **فحتى الكافر أو المشرك أو الناصبي إذا بكى لأي شيء متعلق بما جرى على الحسين** عليه السلام، **فإن الله يوفيه أجر بكائه في الدنيا فحسب، وليس له نصيب في الآخرة لأن قلبه مظلم .وفي هذا السياق، نشير إلى قصة مروان بن الحكم لعنه الله مع الإمام زين العابدين** عليه السلام. فقد كان مروان يكنّ العداوة الشديدة لأهل البيت عليهم السلام،وأثناء واقعة كربلاء كان لعنه الله والياً على المدينة،فشنّ آنذاك حملة شرسة على محبي أهل البيت عليهم السلام. ولكن، حين أصبحت حياة مروان وأسرته مهدّدة، أتت إليه زوجته في إحدى الليالي وطلبت منه التماس الأمان لهم من الإمام زين العابدين عليه السلام. رفض مروان ذلك في البداية لعلمه بجرائمه وتجاوزاته بحق أهل البيت عليهم السلام، خصوصاً وأنه لم يكن قد مرّ وقت طويل على أحداث كربلاء. ولكنه بعد ذلك وافق على أن يُرسل أفراد أسرته إلى الإمام ليضعهم تحت كنفه وحمايته. وبالفعل، اصطحب مروان زوجته وأولاده إلى باب منزل علي بن الحسين عليهما السلام وأمرهم بإكمال المسير وحدهم لأنه سيعود أدراجه. إلا أن باب منزل علي بن الحسين عليهما السلام كان مفتوحاً، **فقال الإمام: يا مروان، إرجع، إننا لا نردّ من يأتي إلى بابنا طالباً للأمان. وبعد ذلك، أخذه مع عائلته إلى بستان له** عليه السلام **وهيأ لهم كل ما يحتاجون إليه من رعاية .ويقول آية الله السيّد أحمد النجفي دام ظله إن مردّ ذلك إلى أنه حين رأى السيدة أم البنين** عليها السلام **بعد استشهاد الحسين** عليه السلام، **وقد تورّمت قدماها وهي تسأل عن الحسين باكيةً ناحبةً مُتفجّعةً جازعةً، فدمعت عينه على حالها. ولذا، كان أجره على ذلك، ما فعله الإمام زين العابدين** عليه السلام **معه ومع أسرته.**

(٢) من كلامٍ للعارف المرحوم الشيخ محمد تقي بهجت: «أخال أنا العبد الفقير أن البكاء على سيّد الشهداء عليه السلام أفضل من صلاة الليل». =

لهذا الدين. وإنّ واجب إقامة عزاء الحسين عليه السلام لَهو أوجب من الصلاة[١] والصيام. ولسائلٍ أن يسأل: ما منشأ هذا الدين؟ ونحن نجيبه بالقول إنّ منشأه الإمام الصادق والإمام الرضا وبقية المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام وحتى القرآن نفسه. أترون كم أصبحنا أذلّاء وصغاراً؟

وللإشارة، فإنّ استحباب العزاء والبكاء على الحسين عليه السلام هو أكثر تأكيداً من استحباب الصلاة في أوّل وقتها. ففي الفقه، هناك ما يُسمّى بباب التعارض، أي عندما يتعارض أمران مستحبّان في الوقت نفسه، ينبغي اختيار أحدهما. فعلى سبيل المثال، إذا تعارضت الصلاة في أول وقتها مع حضور مجلس عزاءٍ لأبي عبد الله الحسين عليه السلام، ينبغي الاختيار بين الأمرين. ويُجمع الفقهاء والعلماء على أنّ المجالس هي الأكثر استحباباً[٢]. غير أننا في يوم عاشوراء، نؤدّي الصلاة أولاً وبعد ذلك نذهب لقتل الحسين عليه السلام! أيهودٌ أنتم أم نصارى أم عبّادٌ للنار؟ إنكم مسلمون، إفهموا واعرفوا، فالشيعيّ تلزمه المعرفة. ليس الدين والمذهب والصلاة والصوم والحجّ والكعبة وكل ما يخطر ببالكم من أحكام سوى تلميذٌ وتابعٌ جدّ صغير للإمام عليه السلام.

= ومن كلام له أيضاً: «إن البكاء على مصاب سيد الشهداء عليه السلام ... هو المستحبّ الذي لا يفوقه مستحبّ، بل هو مستحبّ فيه ألف واجب!».

(١) فهو عليه السلام الذي أقام الصلاة وآتى الزكاة وأمر بالمعروف، وإنّ الذي حفظ الدين والإسلام هو هذه المجالس.

(٢) فحضور عزاء الحسين بن علي قبل الصلاة يساعد على حضور القلب عند الموالي حين يُقبِل على صلاته بعد ذلك.

وإنّ هذا الوليّ هو من الوَلاية وليس من الوِلاية[١]، فكلُ فعلٍ يصدر عنه قانونيّ، لأنّ الدين يستقيم به، وليس هو من يستقيم بالدين. فهو غير محكوم بالدين، بل إنّ الدين محكوم به. كما أنّ كل ما يصدر عنه يُصوِّب الدين، في حين ليس عليه تأدية كل ما يقوله هذا الدين. ومن هنا، أمَر أمير المؤمنين عليه السلام، باعتباره الوليّ المطلق، برمي القرآن الذي رُفع على أسنّة الرماح بالسهام[٢]. ولكن حذارِ من أن يأتي أحدٌ بادّعاء فارغ ويزعم بأنّ كل ما يصدر عنه صحيح، فليس في الوجود أولياء مطلقون غير الأربعة عشر معصوماً عليهم السلام فحسب. ويصل تصرّف الوَلاية التكوينية في الخلق إلى حدّ يستطيع فيه الوليّ بإشارة منه تغيير كل الأكوان[٣]. ومن الأمثلة المصغّرة التي استطاع بعض البشر تحمّلها، حادثة شقّ القمر التي حصلت على يد رسول الله خاتم الأنبياء محمد بن

---

(١) **تجدر الإشارة إلى أن هناك فرقاً كبيراً بين الوَلاية بفتح الواو والوِلاية بكسرها،** إذ تأتي «الوِلاية»، بمعنى تولّي الحكومة والسلطنة والإمارة. أمّا الوَلاية فلا تصحّ هنا لأنها محصورة بالأربعة عشر معصوماً عليهم السلام. فالوَلاية هي منصب إلهي لا دخل فيه لأحد بعالم الوجود في حين تخضع الوِلاية لانتخاب الناس واختيارهم. وعن أبي جعفر عليه السلام: قال: «بُني الإسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم (الصيام) والحج والولاية **ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية فأخذ الناس بأربع وتركوا هذه، يعني الولاية**»، (الكافي، ج٢ ص١٨). ﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾، سورة يس، آية ١٢.

(٢) معركة صفين.

(٣) ما الوجود والعالم بأسره إلا كحلقة ملقاة في قاع، إذ هو عبارة عن خيال المعصوم.

عبد الله ﷺ، حيث انشق القمر بإشارة من يده المباركة[١]. وفي قصة أخرى، كان رسول الله ﷺ يضع رأسه المبارك في حجر أمير المؤمنين عليه السلام ولم يكن حضرته قد صلى صلاة العصر بعد ولكنه لم يَشَأ إيقاظ الرسول ﷺ فانتظره حتى يستيقظ بنفسه، إلى أن غابت الشمس[٢]. وتنطوي هذه القصة على الكثير من المعاني، إلا أنّ عديمي العقل يستعجبون من عدم إيقاظ أمير المؤمنين عليه السلام لرسول الله ﷺ وعدم تأديته للصلاة، وذلك لأنهم لا يعرفون الوليّ.

---

(١) قال الإمام الصادق عليه السلام: «اجتمعوا أربعة عشر رجلاً أصحاب العقبة ليلة أربعة عشر من ذي الحجّة، فقالوا للنبي ﷺ: ما من نبي إلّا وله آية، فلما (فما) آيتك في ليلتك هذه؟ فقال النبي ﷺ: ما الذي تريدون؟ فقالوا: أن يكن لك عند ربّك قدر، فأمر القمر أن ينقطع قطعتين، فهبط جبرائيل عليه السلام وقال: **يا محمّد، إنّ الله يُقرؤك السلام ويقول لك: إنّي قد أمرت كلّ شيء بطاعتك، فرفع رأسه، فأمر القمر أن ينقطع قطعتين، فانقطع قطعتين، فسجد النبي ﷺ شكراً لله. ثمّ قالوا: يعود كما كان؟ فعاد كما كان.** فقالوا: يا محمّد، حين تقدم سفارنا من الشام واليمن فنسألهم ما رأوا في هذه الليلة، فإن يكونوا رأوا مثلما رأينا علمنا أنّه من ربّك، وإنّ لم يروا مثلما رأينا علمنا أنّه سحر سحرتنا به، فأنزل الله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾»، تفسير القمّي، ج٢ ص٣٤١.

(٢) قال الإمام الصادق عليه السلام: «صلّى رسول الله ﷺ العصر، فجاء عليّ عليه السلام ولم يكن صلاّها، فأوحى الله إلى رسوله ﷺ عند ذلك، فوضع رأسه في حجر علي عليه السلام، فقام رسول الله ﷺ عن حجره حين قام وقد غربت الشمس، فقال: يا علي، أما صلّيت العصر؟ فقال: لا يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ: اللّهمّ إنّ علياً كان في طاعتك، فاردد عليه الشمس، فردّت عليه الشمس عند ذلك»، (قرب الإسناد ص١٧٥). كما قال الإمام علي عليه السلام: «إنّ الله تبارك وتعالى ردّ علي الشمس مرّتين، ولم يردّها على أحد من أُمّة محمّد ﷺ غيري»، (الخصال ص٥٨٠). **وعليه، ليس الدين وحده هو التابع للإمام، بل إن الكون والوجود بأسره تابع له بموجب ولايته التكوينية.**

مقررات العالم لا تسري على الإمام

يُروى أنه في أحد الأيام، كان الحسين عليه السلام في المدينة وكان معاوية (لعنة الله عليه) قد توجّه مع أنصاره إلى اليمن لجباية الأموال وحَمْلِها إلى الشام، فقصد شباب بني هاشم الإمام عليه السلام وأطلعوه على ما يجري. عندها، أصدر الإمام عليه السلام الأوامر باتباعهم وأخذ الأموال منهم وتوزيعها على فقراء المدينة والمحتاجين فيها، وهذا ما حصل.

لا يتبع الحسين عليه السلام تلك المقررات، بل إنّ كل مقررات[(١)] العالم تابعة للحسين والمعصومين الأربعة عشر عليهم السلام. وتجدر الإشارة إلى أنّ الفقه الشيعي يختلف عن خلافه من الفقه، ذلك أنه يستند إلى أدلة مستقاة من الأئمة أنفسهم. ومع كل ما تقدّم، يقال إن الحسين عليه السلام قتل من أجل صلاتي وصلاتك؟ «قتل الله أمة قتلتكم بالأيدي والألسن»، أي عن طريق اللسان والشائعات والكتابات.

يُروى أنّ ابن عمير قال للإمام الصادق عليه السلام: إنّ اعتقادي فيك يا سيدي كالآتي: إذا شققتَ هذه الرمّانة نصفين وقلتَ إنّ هذا

(١) عن محمد بن سنان قال: كنت عند أبي جعفر الثاني عليه السلام فأجريت اختلاف الشيعة، فقال: «... ثم خلق محمداً وعليّاً وفاطمة عليهم السلام... **فهم يحلّون ما يشاؤون ويحرمون ما يشاؤون ولن يشاؤوا إلا أن يشاء اللّه تبارك وتعالى...**»، (الكافي المجلد الأول، ص٤٤١). كما ورد في زيارة آل ياسين: «**فالحق ما رضيتموه، والباطل ما أسخطتموه، والمعروف ما أمرتم به، والمنكر ما نهيتم عنه**».

النصف من الرمّانة حلال وذاك حرام، لا أتوانى في القبول بقولك[١]. وذلك لأن الأحكام المتعلقة بالحلال والحرام تتبع رأي الإمام[٢]. ما مصدر هذا الفكر القائل بأن الإمام تابع للدين؟ ينبغي الإنتباه جيداً. لقد صدر هذا الفكر عن معاوية الذي علّمه بدوره لكلبه يزيد، حيث قال له: خذ حذرك ولا تحارب هذه الطائفة أبداً، لأن ذلك سيقضي على جميع حيثياتك ويريق ماء وجهك ويضع حداً لحياتك وشرفك. وإنْ كان لا بدّ من قتالهم «فاقتلوهم بسيف جدّهم». ما معنى ذلك؟ كان أول اتهام كالَه معاوية (لعنه الله) لأمير المؤمنين عليه السلام بأنه «شقّ عصا المسلمين»، فقيل له: «الحكم لله، لا لك يا عليّ ولأصحابك». وقد قتل الأئمة عليهم السلام كلهم، بدءاً بالإمام عليّ عليه السلام حتى آخر إمام قبل إمام الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف[٣]، بسبب التهمة ذاتها، حيث اتُهِمُوا بشقّ عصا المسلمين وإيجاد الخلاف بينهم.

---

(١) عن عبد الله بن أبي يعفور، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «**والله لو فلقت رمّانة بنصفين، فقلت: هذا حرام وهذا حلال، لشهدت أنّ الذي قلت: حلال حلال، وأنّ الذي قلت: حرام حرام**، فقال: رحمك الله رحمك الله، (اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشيّ، ج٢ ص٥١٨)، ذلك أن «**المعروف ما أمرتم به والمنكر ما نهيتم عنه**» كما ورد في زيارة آل يس.

(٢) راجع الرواية التي ينقلها محمد بن سنان عن أبي جعفر الجواد عليه السلام، **الهامش السابق رقم** (١)، الكافي، ج١ ص٤٤١.

(٣) عندما يظهر إمام الزمان عجل الله تعالى فرجه يلقي خطبة يقول فيها: «**بسم الله الرحمن الرحيم، الحمدلله الذي أنجز وعده ونصر عبده وأقدَرَ وليّه على البريّات وأعطاه (آتاه) مقاليد الأرض والسماوات ووَهَبه أزِمّة التدبيرات في البريّات (الكائنات). أيها الناس، قد أُجيبَت دعوة المظلوم، زال الليل وطلع الفجر. ها أنا جئتُ أن**=

ومن المعروف أن الجهاد يجب حين تصبح بيضة الإسلام في خطر. ولكن هل للإسلام بيضة؟ تأتي البيضة بمعنى البياض وإنما نسمّي بيضة الدجاجة كذلك للونها الأبيض. فعندما يتحوّل بياض الإسلام إلى سواد وعندما تنوي أيدي الجناة تمزيق الصفحة البيضاء أو تلطيخها بالسواد، يتوجّب الجهاد حينها. وقد أجمع

=أملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً. أنا من عهِد به آدم فأنا أوْلى بالوفاء (بوفائه). أنا مَن عهِد به نوح فأنا أوْلى بنوح وأنا من عهِد به إبراهيم فأنا أوْلى بإبراهيم وأنا من عهِد به موسى فأنا أوْلى بموسى وأنا من عهِد به عيسى فأنا أوْلى بعيسى وأنا من عهِد به محمّد فأنا أوْلى بمحمّد وأنا من عهِد به أمير المؤمنين فأنا أوْلى بأمير المؤمنين. تعالوا بايعوني وخذوا حقّكم، هذه يد الله ويد محمد ويد عليّ. محمّد أنا وأنا محمّد، علي أنا وأنا عليّ. والله الذي ألبسني خلع الوقار والسّكينة لا أبرح عن مكاني هذا حتى أعطيتُ كل ذي حقٍ حقه ولو كان الظالم في التراب رميماً. أما تعلمون أنا باعث مَن في القبور، أنا القيّم يوم النشور، أنا المُتجلّي لموسى على شاهق الطور، أنا كشفتُ حجابي عن وجهي المستور، أنا مؤنس إبراهيم حين ألقاه في النار أهل الغرور، أنا بقيّة الله في عباده، أنا وديّة الله في بلاده، أنا خازن الأسرار، أنا بقيّة الأطهار، أنا منتهى الأدوار. أنا المُنتقم أنا المُنتظم أنا ابن التسمية البيضاء، أنا ابن الوحدانية الكبرى، أنا حجاب الله الأعظم، أنا سرّ الله الأقدم، أنا السبب المتصل بين الأرض والسماء، أنا وجه الله الذي يتوجّه إليه الأولياء، أنا سراج الأصفياء، ألا يا أعداء الله ورسوله وأعداء أمير المؤمنين وزوجته، حرامٌ عليكم بعد اليوم رزق أمّنا الصّديقة فكلوا من مزابل الدّنيا وخرابها واستعدّوا لجواب المودّة وحسابها. ففرّوا، أين تفرّون؟ أفي السماء تصعدون، أم في الأرض تنزلون، أم في الجبال تتكهّفون؟ فوالله الذي لا إله إلا هو أينما كنتم تجدوني ﴿يَـٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَـٰنٍ﴾ وأنا ذلك السلطان»، لم نعثر على مصدرها إلى الآن، لكنّ ذوي الألباب يعرفون المقال بالرجال لا الرجال بالمقال.

جلّ من كان في ذلك الزمان على أنّ الحسين عليه السلام خارجيّ. والخارجيّ هو الذي يخرج على خليفة زمانه ويتواطأ عليه ويخطّط للإنقلاب ضدّه والإطاحة به، فيكون بذلك خارجاً على خليفة المسلمين وإمام زمانه. وبالتالي، قالوا إنّ الحسين عليه السلام خرج على خليفة زمانه، حيث بات يزيد خليفة على الحسين عليه السلام ومعاوية خليفة على عليّ عليه السلام، وأصبحا عليهما السلام هما الخارجِيّين في ظل قبول جميع الناس في ذاك الزمان بذلك. غير أن أوّل من أظهر غضبه من اتهام أمير المؤمنين والحسين عليهما السلام بالخروج على «خليفة المسلمين» هم اللاطمون على الصدور[١]. وهو اتهام تمّ نشره على منابر المساجد وفي خطب الجمعة وبين المجتمعات كافّة. فرفضه أهل طويريج، التي تبعد مسافة أربعة فراسخ عن كربلاء، حيث وصلهم الخبر في يوم عاشوراء بأنّ ابن بنت النبيّ صلى الله عليه وآله قد قتل بتهمة أنه خارجيّ، فما كان منهم إلا أن انطلقوا لاطمين على الصدور سائرين على الأقدام، عازمين على قطع مسافة أربعة فراسخ للوصول إلى كربلاء. وبقيت شعاراتهم حيّة منذ ذلك الزمان حتى يومنا هذا.

لقد جاء اللاطمون على الصدور وحفظوا حق الإمام الحسين عليه السلام. ولكن في المقابل قد تمثّل مجالس العزاء، أحياناً، منبراً لبثّ دسائسَ مشابهة لتلك التي كانت تُروَّج في زمان معاوية.

(١) لأنه كما تقدّم فإن أيدي اللاطمين هي عبارة عن تجلٍ لِيَدَي أبي الفضل عليه السلام واللتين بهما يحفظ الدين ويحامي عنه إلى الأبد.

كف أبي الفضل عليه السلام تحامي أبداً عن الدين

كان أهل طويريج أوّل من قدّم العزاء ولطم على الصدور، فأطاحوا بكل الشائعات التي تم ترويجها في ذلك الوقت. وعندما وصلوا إلى كربلاء ودخلوا إليها، سألوا عن الحسين عليه السلام قائلين: «الله الله حسين وينه؟ بالنجف أو بالمدينة؟» صَعُبَ عليهم تصديق أنّ المسلمين قاموا بقتله. ثم بعد ذلك سألوا عن خِيَمه: «وين الخيم؟»، فجاء الجواب: «حِرْقوها». ولهذا سارع اليزيديّون إلى نقل الأسرى ليلاً، بعد أن كانت الثورة على وشك الانفجار. وهكذا، فإنّ اللاطمين على الصدور هم من قاموا بتصويب مسار الأمور.

وقد يسأل سائل: ما الفائدة من هذا اللطم، ألا يضرّ ذلك بالنفس[(١)]؟ وأنا أقول لأمثال هؤلاء: إنّ الدين تابع للإمام وليس الإمام تابعاً للدين. فعلى الناس معرفة قيمة هذه المجالس والسّعي للمشاركة في مواكب اللطم والتواجد في مثل هذه المحافل إذا أرادوا للتشيّع أن يبقى في حياتهم ولم يريدوا لأنفسهم الابتعاد عن هذا الجوّ. وإنّ أحداً لا يمكن له أن يجادل في هذه المسائل، لأنها مرتبطة بالقلب[(٢)]. كما يستحيل لقراءة الكتب أن تنجح في

(١) المقصود من ذلك الضرر المعتدّ به عند العقلاء. وإلا، لَمَا تزوّجت امرأة وحمِلت وأنجبت طفلاً لأن في ذلك ضرر على النفس، ولَمَا خضع أحد لعملية جراحية لأنه سيُجرح ويُشَق وفي ذلك ضرر على النفس، ولَمَا خضع أحد للتدريبات الجسدية لأن في ذلك مشقة وتعب وضرر على النفس، والأمثلة على ذلك كثيرة في حياتنا العملية.

(٢) عن الإمام صاحب الزمان عليه السلام: «فليعمل كلُّ امرئ منكم بما يقرِّبه من محبَّتِنا=

صنع البشر، فكل من أصبح رجلاً كاملاً، أصبح كذلك بفضل مجالس الإمام الحسين عليه السلام.

تربة الحسين عليه السلام تغيّر الهوية

ترسم تربة الحسين عليه السلام أدواراً خالدة لكلّ ما يمسّها(١). ويُروى أنّ هناك عالماً كبيراً كان يعيش في زمان الشاه، فقيل له في أحد الأيام: لا تخرج من منزلك، وإلا خلعوا عن رأسك عمامتك. فأجابهم قائلاً: لا أحد يجرؤ على الاقتراب من عمامتي. فاستهجن الناس من كلامه وسألوه: هل أنت مع النظام أم أنّ لديك تصريحاً لوضع العمامة؟ قال: لا، ولكنني أضع بين طيّات عمامتي تربة

=ويتجنَّب ما يدنيه من كراهيتنا وسخطنا...»، الإحتجاج، ج٢ ص٣٢٣.

(١) سئل الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام، أنه من الأفضل؟ أرض مكة أم أرض كربلاء؟ فقال عليه السلام: «إنّ أرض الكعبة قالت: مَن مثلي، وقد بني بيت الله على ظهري...؟ فأوحى الله إليها:... **ولولا تربة كربلاء ما فضّلتك، ولولا من تضمّنت أرض كربلاء ما خلقتك، ولا خلقت البيت الذي به افتخرت...**»، (بشارة الزائرين، ص٢٨). وعن أمير المؤمنين عليه السلام حين مرّ بأرض كربلاء: «**وها هنا تهرق دماؤهم، طوبى لك من تربة عليك تهرق دماء الأحبّة**»، (كامل الزيارات، ص٢٦٩). وروي عن أُمّ المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: «خرج رسول الله صلى الله عليه وآله من عندنا ذات ليلة فغاب عنّا طويلاً، ثمّ جاءنا وهو أشعث أغبر ويده مضمومة... فقال: أُسري بي في هذا الوقت إلى موضع من العراق يقال له كربلا فرأيت فيه مصرع الحسين ابني وجماعة من ولدي وأهل بيتي، **فلم أزل ألقط دماءهم فها هي في يدي، وبسطها إلى فقال: خذيها واحتفظي بها. فأخذتُها فإذا هي شبه تراب أحمر، فوضعته في قارورة وشددت رأسها واحتفظت بها**... فلمّا كان اليوم العاشر من المحرّم... فإذا هي دمٌ عبيطٌ»، (الإرشاد، ج٢ ص٢٥٠).

للحسين عليه السلام، فلا أحد يجرؤ على نزعها. وإنّ هذا هو المذهب الشيعيّ.

وثمة قصة أخرى في هذا الباب، فقد كان المرحوم تَوْلِيَت، من مدينة قم، إنساناً صالحاً للغاية، وكان رجلاً حسينياً. كان لتوْليَت خادم شاب أمين وصادق وعفيف ونزيه حَظِيَ بمحبة سيّده الكبيرة. وعندما أصبح في سنّ الزواج، خاطبه سيّده قائلاً: أريد تزويجك بواحدة من أفضل الخادمات لديّ والتي أكنّ لها محبّة كبيرة. فوافق الشاب، ظناً منه أن خادمة توليت لا بدّ من أن تكون آية من الجمال. فأبرموا عقد الزواج ولم يكن قد رآها بعد. ثم بعد ذلك، أحضروا الشاب إلى غرفة الزفاف فوقعت عيناه على الفتاة ورآها أسود من سواد الليل، فما كان منه إلا أن سارع للهروب من المكان. وبعد أسبوع من الحادثة، أمَر توليت بالبحث عنه. فوجدوه ضعيفاً هزيلاً، يشبه حاله حال المجانين. فقال له: إني أحبك يا بني، فإنْ كنتَ لا تريدها، أتركها وأنا أحضر لك امرأة غيرها أجمل منها. فأجاب الغلام قائلاً: لا، لا أريد، إمّا أن تقطع رأسي أو أن تبعدها عني. فأجابه تَوْليت قائلاً: حسناً، سأبعدها عنك ولكني سأطلب منك طلباً أخيراً. أجاب الخادم: تفضل يا سيدي. فقال توليت: أريد منك أن تنظر إلى المرأة نظرة أخرى من أجلي، ولا بأس إن لم تقْبَلها. فوافق الغلام قائلاً: حسناً، ولكن بشرط أن أنظر إليها من بعيد ولا أدخل إلى الغرفة. وافق توليت وأمَر المرأة بأن تذهب وتتيمّم من الجعبة التي تحتوي على التربة[1] وتأتي بعد

(١) إن موسى بن عيسى العبّاسي لمّا مرض مرضاً شديداً، وسمع ممن يدخل عليه=

ذلك، وهذا ما حصل. ثم أمر الغلام بالذهاب والنظر إليها، وما إنْ رآها حتى قام وذهب عند قدميها وقال: إن هذه امرأة من الجنة وملاك لا وجود له في كل العالم، أين كان هذا الجمال[١]؟ لقد كان المكان مظلماً ولم أرَ كل ذلك، هل كنتُ مجنوناً؟

إنّ لتربة[٢] الإمام الحسين عليه السلام القدرة على تغيير الهوية.

=للعيادة حديث شرف التربة الحسينية، والحثّ على الاستشفاء بها، قال له: هل عندك منها شيء قال: نعم، فأتى بها إليه فعمد إليها **فوضعها في إسته، استهانة لها؛ لما سمع حديث الاستشفاء، والاستهزاء ممن يتداوى بها، وإرغاماً لأنوف الشيعة، واستصغاراً واحتقاراً لصاحبها الحسين** عليه السلام**. فلما استدخلها في دبره حتى صاح: النار النار!! الطشت الطشت!! فنظر فإذا طحاله وكبده وريته وفؤاده خرجت منه في الطشت. فعرض حاله على بعض الأطباء ـ وكان من أئمة النصارى ـ وقال: كيف علاجي؟ فمذ نظر إلى ما في الطشت قال: لو أن المسيح عيسى بن مريم حضر لم يقدر على علاجك.** ثم هلك من وقته وساعته ـ هذا ملخّص القصة. روى الحادثة مفصلاً صاحب كتاب بشارة المصطفى، ص٢٢٣ و٢٢٤، عن محمد بن موسى الربيعي الكاتب، وقال الكاتب في نهايتها ما نصّه: **فكان يوحنّا بن سراقيون (وهو الطبيب النصراني الذي استدعاه موسى بن عيسى) يزور قبر الحسين** عليه السلام **وهو على دينه ثم أسلم بعد هذا فحسن إسلامه.**

(١) ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ﴾، سورة الفرقان، آية ٧٠.

(٢) ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام قوله: «كتاب الله عزّ وجل على أربعة أشياء، على العبارة والإشارة واللطائف والحقائق. فالعبارة للعوام والإشارة للخواص واللطائف للأولياء والحقائق للأنبياء»، (ميزان الحكمة، ج٣ ص٢٥٣١). **ومن هنا، نذكر هذه اللطيفة الولائية: تختزن تربة كربلاء كل ما وقع عليها، ويتخلل النور كل حبّاتها وذراتها. فحين وقع الشهداء لآخر مرة على تلك الأرض وقبل خروجهم من عالم الدنيا، نقلوا كل ما عندهم من قوة وقدرة ومعرفة وولاية إلى التربة التي وقعوا عليها، وارتحلوا إلى الله صفر الأيدي،** «وفدتُ على الكريم=

ومحصّلة هذا البحث أنّ الدين والمذهب والأحكام كلها إنما هي تابعة للإمام والوليّ المطلق، فهي تأخذ وجودها من الإمامِ حجّة الله. وينبغي أن يتم تحصيل المعرفة من هنا، فهذا هو التشيّع العلويّ والجعفري الواقعيّ.

=بغير زاد»، فأعطاهم الله كل شيء وصاروا مظهر الاسم الأعظم. فبعدما قتل الإمام الحسين من قتل من الأعداء وعندما بقي فقط مَن كان في صلبه ذريّة موالية لأهل البيت عليهم السلام، قرّر الرحيل من هذه العالم، فأَذِن للحجر بأن يصكّ جبينه ولضربات الأعداء بأن تأخذ مأخذها منه، فسقط عليه السلام عن جواده على أرض كربلاء، واختزنت تلك التربة كل النور الذي كان في بدنه الشريف، وأمّا دماؤه الزكيّة فالله وحده يعلم ما الذي خلّفته في تلك الأرض، التي كانت قبل ذلك قد حملت كل الحقائق الملكوتية والجبروتية التي امتلكها العباس بعدما اشترط عليه الحسين عليه السلام التخلي عن كل ما لديه، فحين وقعت يُمناه على الأرض، اختزنت تلك الأرض كل ما تستبطنه تلك اليمين، وكذلك حدث حين وقعت يُسراه. وعندما تناثرت أعضاء جسد علي الأكبر على الأرض، اختزنت التربة كل القداسة والنور منها. وكذا حصل مع كل واحد من الأصحاب وأهل البيت عليهم السلام، فحتى لمّا كانت السيّدة زينب عليها السلام والنساء والأطفال، يتعثرون ويقعون على الأرض كان يُلقى عليها ما عندهم وما فيهم من حقائق توحيدية وولائية. فكانت تلك التربة تختزن من الدماء حقائق وخصائص معينة ومن الأجساد حقائق وخصائص أخرى وهكذا الحال مع الآهات والأصوات والأحزان التي كانت تُبثّ عليها وفيها من قبل آل الله عليهم السلام. فصارت كربلاء حاوية للأنوار بل للأسرار، إذ إن كل ما وقع عليها وكل من سقط على تربتها هو أفضل ما في الوجود. ولذا، حين تطأ قدماك تلك الأرض، يخترق النور وجودك ويدخل فيك حتى يسري في كل شرايينك وعروقك وقلبك وعقلك إلا أنك تفتقر إلى اليقين والعين البرزخية لرؤية ذلك ومشاهدته. اللهم ارزقنا بحق محمد وآل محمد.

السيدة رقية عليها السلام باب العروج إلى الله

يضفي علينا ذكر السيّدة رقية عليها السلام عظمة وجلالاً وهيبة، كآية ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[(١)] التي هي آية صغيرة في القرآن ولكنها تحمل معانٍ وحقائق كبيرة. وقد شكّلت هذه الآية حرماً لأهل البيت عليهم السلام والأسارى في كربلاء. وليُحفَظ الكلام الآتي في الأذهان حتى يكون معراجاً يتمّ السير من خلاله.

قال الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾[(٢)]، والسيدة رقية كانت آية من تلك الآيات التي رآها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمعراجه.

تقضي هذه السيدة الكبيرة جميع الحوائج، ولذلك، فليطلب كلّ محتاج حاجتَه منها من دون الرجوع إلى أبيها أو جدّها أو جدّتها عليهم السلام إذ بإمكانها أن تحلّ مشكلته بشكل مباشر (ولكن لم أقل من دون الرجوع إلى الله حتى لا يتم تكفيرنا).

ورقية هي تلك الحقيقة المرتبطة بالارتقاء التام في علوّ المسائل الظاهرية والباطنية للولاية. فإذا أردنا بلوغ ذلك، علينا أن نتعلّق بذيل عباءة هذه السيدة الجليلة وأن نعرج من خلالها. إنها رقيّة، وهذا الاسم يعني الارتقاء إلى المراتب العليا. فليس لدى أهل البيت عليهم السلام صغير وكبير، لأنهم جميعاً متصلون[(٣)] بحقائق الوحي.

---

(١) سورة الإخلاص، آية ١.

(٢) سورة الإسراء، آية ١.

(٣) ورد في الزيارة الجامعة الكبيرة: «وأن أرواحكم ونوركم وطينتكم واحدة، طابت وطهرت بعضها من بعض»، مفاتيح الجنان.

وهكذا حال السيدة رقية، فقد كانت تعرف الأمور والقضايا كما تعرفها عمّتها زينب عليها السلام.

قال النبي عيسى عليه السلام في المهد، ﴿إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا﴾[1]. ولو كان عيسى بن مريم عليه السلام موجوداً في هذا الزمن، لذهب يومياً وتمسّك بقفص الضريح المطهّر للسيّدة رقية عليها السلام طالباً العون منها. وينطبق الأمر نفسه حتى على إبراهيم الخليل وموسى عليهما السلام وبقية الأنبياء[2]. فأهل هذا البيت عليهم السلام هم هكذا، وليسوا كما نتخيّلهم أنا وأنت[3].

ومع ذلك، ثمّة مَن يقوم بإحضار الألعاب إلى ضريح السيدة رقية عليها السلام، فيتّضح أنّ مظلومية هذه السيدة عليها السلام تكمن في عدم

(١) سورة مريم، آية ٣٠.

(٢) في حديثٍ عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن من عباد الله ما هم ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله»، (فصّ حكمة عصمتية في كلمة فاطميّة، ص٢٣). ﴿فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا﴾، (سورة الكهف، آية ٦٥)، فهذا ليس بنبي ولا شهيد.

(٣) يقول الإمام الباقر عليه السلام: «**كلّ ما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم، ولعل النمل الصغار تتوهم أن لله تعالى زبانيتين، فإن ذلك كمالها، ويتوهم أن عدمها نقصان لمن لا يتصف بهما، وهذا حال العقلاء فيما يصفون الله تعالى به**». (بحار الأنوار، ج٦٦ ص٢٩٣). كما يقول الإمام علي بن الحسين عليه السلام: «**إنّ دين الله عز وجل لا يصاب بالعقول الناقصة والآراء الباطلة والمقاييس الفاسدة، ولا يصاب إلا بالتسليم، فمن سَلَّم لنا سَلِم**، ومن اقتدى بنا هدى، ومن كان يعمل بالقياس والرأي هلك، ومن وجد في نفسه شيئاً مما نقوله أو نقضي به حرجاً كفر بالذي أنزل السبع المثاني والقرآن العظيم وهو لا يعلم»، كمال الدين، ص٣٢٤.

معرفتها من قبل الناس[1]. وإذا كان لا بدّ من تقديم شيء ما لتلعب به، فلتُقدَّم لها المنظومة الشمسية وكُرات عالم الوجود. إنها رقيّة، رقية التي ينطلق العروج منها عليها السلام. فهل ما جرى فعلاً أن يزيد انزعج[2] من صوت البكاء الصادر من الخربة فقرر إرسال رأس الحسين عليه السلام إليها؟ لقد حدث كل ذلك بإرادةٍ من السيدة رقية عليها السلام نفسها، وبإرادتها القطعية. فقد ناجَت محبوبها ومعشوقها الذي هو أباها، فتحقّقت هذه الإرادة وفَعَلت فِعْلها. فلا يزيد ولا أيّ ملك آخر باستطاعته فعل أيّ شيء. لقد أرادت أن تزور رأس أبيها، فأُحضِر الرأس إليها. وبعد ذلك جرت الأحداث كما هو معلوم. فعندما أحضروا الرأس، أمْسَكَت السيدة زينب عليها السلام بالطبق الذي كان يحتويه. وتقدّمت رقية عليها السلام بقامتها الصغيرة وتعلقت بالطبق بكلتا يديها لأنها كانت تعلم ما بداخله، فوقع على ثوبها وارتبط العاشق بالمعشوق وتحقق الوصال. وضعت وجنتها على وجنة أبيها ولكن قلبها لم يهدأ، فقد كان هذا قليلاً بالنسبة لها. ثم وضعت وجنتها الأخرى، ولكن قلبها بقي مضطرباً. فقبّلت شفتيه، وفجأة

---

(١) من حديث للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: «ذلك لأن الناس أعداء ما جهلوه، فإذا طلع لهم باب من العلم فقصر دونه أفهامهم كذبوا قائله»، آداب النفس، ج١ ص٩٢.

(٢) لقد كان هناك مسافة كبيرة بين الخربة ومكان مبيت يزيد لعنه الله في القصر فلا يمكن لصوتها أن يصل إليه، ولكنها أعملت ولايتها التكوينية فأوصلت صدى صوتها إليه.

رأوا أنها سَكَنت وما عادت تتنفس، فعرفوا أنها ماتت وحلّقت روحها إلى الملأ الأعلى(١).

(١) إنّ عائلة الحسين عليه السلام وأرامل آل محمّد بعد قتل رجالهنّ يوم الطفّ، وسبيهنّ من بلدٍ إلى بلد كانوا يخفون على صغار الأطفال واليتامى قتل أوليائهم وآبائهم، فإن بكى يتيم أو يتيمة أباه أو أخاه ناغوه باللّطفّ، وأخبروه أنّه في سفر- يقصدون سفر الآخرة - فكانوا بهذا ونحوه يشغلون اليتامى والأطفال عن الشعور بألم اليتم ومرارة المصاب. حتّى إذا جيء بهم إلى الشام، أنزلوهم في خربة إلى جنب قصر يزيد لعنه الله، **وكانت للحسين** عليه السلام **طفلة صغيرة يحبّها وتحبّه، وقيل إنّ اسمها رقيّة، كانت مع الأسرى في خربة الشام، وكانت تبكي ليلاً ونهاراً، وهم يقولون لها هو في السفر، فبينما هي نائمة ذات ليلة في الخربة، إذ انتبهت من نومها مذعورة باكية تقول: ائتوني بوالدي وقرّة عيني، أين أبي؟** الآن قد رأيته، ائتوني بأبي! أريد أبي! وكلّما أرادوا إسكاتها ازدادت حزناً وبكاءً، فعند ذلك تعالى الصراخ من العيال والأطفال، حتّى وصلت الصيحة إلى يزيد فانتبه من نومه فسأل ما الخبر؟ فأخبروه أنّ طفلة للحسين عليه السلام رأت أباها في المنام فانتبهت تطلبه وتبكي. **فقال اللعين: إرفعوا إليها رأس أبيها وحطّوه بين يديها تتسلّى به. فأتوا بالرأس مغطّى بمنديل ووضعوه بين يديها، فقالت: يا هذا إني طلبت أبي ولم أطلب الطعام، فقالوا: إن هنا أبوك، فرفعت المنديل ورأت رأساً، فقالت: ما هذا الرأس قالوا: رأس أبيك، فرفعت الرأس وضمّته إلى صدرها، وهي تقول: يا أبتاه من ذا الذي خضّبك بدمائك؟** يا أبتاه من ذا الذي قطع وريدك؟ يا أبتاه من ذا الذي أيتمني على صغر سنّي؟ يا أبتاه من لليتيمة حتّى تكبر؟ يا أبتاه من للنساء الحاسرات؟ يا أبتاه من للأرامل المسبيّات؟ يا أبتاه من للعيون الباكيات؟ يا أبتاه من للضائعات الغريبات؟ يا أبتاه من بعدك وا خيبتاه! يا أبتاه من بعدك وا غربتاه! يا أبتاه ليتني لك الفداء، يا أبتاه ليتني قبل هذا اليوم كنت عمياء، يا أبتاه ليتني وسّدت التراب ولا أرى شيبتك مخضوبة بالدماء! **ولم تزل تُعوِل وتنوح وتبكي على أبيها، حتّى وضعت فمها على فم الشهيد المظلوم وبكت حتّى غشي عليها، فقال الإمام زين العابدين** عليه السلام**: عمّه زينب ارفعي هذه اليتيمة من على رأس والدي فإنّها قد فارقت الحياة.** فحرّكوها فإذا هي قد فارقت روحها الدنيا، فارتفعت أصوات أهل البيت بالبكاء وتجدّد الحزن والعزاء ومَن سمع من أهل الشام بكاءهم بكى فلم يُرَ في ذلك اليوم إلّا باك وباكية.

النفحة الرابعة

فناء الأصحاب في الحسين عليه السلام

قال سيدنا ومولانا أبو الشهداء حسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام مخاطباً أصحابه: «الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم، يحوطونه ما درّت عليه معايشهم، فإذا مُحّصوا بالبلاء قلّ الديانون»[1]. وقد جاءت هذه الخطبة النورانية الشريفة في اليوم الرابع الذي يسمّى بيوم الأصحاب.

ويمكن تقسيم جميع مَن كانوا مع سيّد الشهداء عليه السلام في كربلاءإلى قسمين. قسم تألّف من أنسبائه وأبنائه من ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهم المقصودون بهذا المقطع من الزيارة: «السلام على الحسين وعلى أولاد الحسين». وقسم ثانٍ تألّف من أفرادٍ لم تربطهم بالحسين عليه السلام صلةَ نسبٍ في الظاهر، وهؤلاء هم أصحابه وأنصاره. وعلى كلا القسمين يُلقى سلام الله وملائكته وأنبيائه ومُرسَليه وأوليائه.

(١) تحف العقول، ص٢٤٥.

وهناك ما يثير الاهتمام ويلفت الانتباه في الزيارة التي يتوجّه بها حضرة بقية الله الحجة بن الحسن عجّل الله تعالى فرجه الشريف، أرواحنا لتراب مقدمه الفداء، إلى الأصحاب، حيث يخاطبهم بالقول: «بأبي أنتم وأمي»[(١)]. فبهذا الكلام يتحدث إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف مع الغلام الأسود وزهير وبُرير وحبيب بن مظاهر ومسلم بن عقيل وهاني بن عروة وبقية الأصحاب. ومعنى هذه العبارة أنه يفديهم بأبيه وأمّه، السيّدة نرجس خاتون والإمام العسكري عليهما السلام.

إنه من غير الممكن في أيّ وقت من الأوقات أن يُجعَل ما هو أعلى فداءً لما هو أدنى، ما يعني أنه يستحيل على الحاظي بمرتبة معنوية إلهية عالية أن يفدي المُتخلّف عنه في المرتبة. والواقع أنّ أصحاب المراتب الدنيا هم الذين يفدون من يفوقونهم قَدْراً ودرجة. وبناءً على ما تقدَّم، يُطرح السؤال الآتي: أيّهما أعلى رتبةً، الإمام أم الأصحاب؟ الإمام بالتأكيد. إذاً، كيف يزور الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف تلك الذوات المقدسة بهذه الكلمات؟ الإجابة هي أنّ هذا الكلام يصدر من باب التوحيد، وهنيئاً لكل من استطاع

(١) يقول الإمام الصادق عليه السلام في الزيارة التي علّمها لصفوان الجمّال: «السّلام عليكم يا أولياء الله وأحبّاءه، السّلام عليكم يا أصفياء الله وأودّاءه، السّلام عليكم يا أنصار دين الله، السّلام عليكم يا أنصار رسول الله، السّلام عليكم يا أنصار أمير المؤمنين، السّلام عليكم يا أنصار فاطمة سيدة نساء العالمين، السّلام عليكم يا أنصار أبي محمّد الحسن بن علي الزكي الناصح، السّلام عليكم يا أنصار أبي عبد الله **بأبي أنتم وأمّي طبتم وطابت الأرض التي فيها دُفنتم**، وفزتم فوزاً عظيماً، فيا ليتني كنت معكم فأفوز معكم»، مفاتيح الجنان، زيارة الحسين في يوم عرفة.

إدراكه. فجميع الأصحاب تمكنوا من الوصول إلى درجة الفناء في الإمام الحسين عليه السلام.

وفي واقع الأمر وحقيقته، فإن توجّه بقية الله عجل الله تعالى فرجه الشريف بقوله، «بأبي أنتم وأمي»، ليس إلا للإمام الحسين عليه السلام. ولكن في عالم البيان والظهور يأتي الكلام بصيغة الجمع، فقد تعلق هؤلاء بالحقيقة التي تعدّ حقيقة الحقائق ألا وهي الوجود المقدّس للإمام الحسين عليه السلام. كانوا جميعاً حسينيين، فظهرت صور هذا الفعل والانفعال في كربلاء، حيث نرى حضور الحسين عليه السلام عند كل شهيد فيحتضنه ويضع رأسه في حِجره الشريف حتى أنه ينام إلى جانبه على الرّمال، بحسب بعض ما يُنقَل. إذاً، فقد تحقّق الفعل والانفعال بهذه الصور. ونجح الأصحاب في التخلص من إنيّة وجودهم، فهذا هو العمل الذي يبني وجود الإنسان في حال تمكّن من إنجازه، وليس الجسم أو الروح.

علاقة الـ«أنا» بآية ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾

ليست هذه الإنيّة الوجودية سوى التشعّب الآتي من عند الحق جلّ وعلا، ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾(١)، وتعبّر كلمة «إنّا» الواردة في الآية الكريمة عن الأنا الوجودية لكل إنسان. إننا وجه ذات الوجود ومزيج مشكاة الوجود، فأنا وأنت أفضل وأسمى من الروح والجسم اللذين ليسا إلا جزءاً من أسرارنا.

(١) سورة البقرة، آية ١٥٦.

نقول جسمي أنا، روحي أنا، عيني أنا، أذني أنا، وكل شيء منسوب إلى هذه الأنا. وبالتالي، ليست الروح هي المنتهى إليه الوجوديّ، فلو كانت كذلك، لكان كل شيء منسوباً إليها، إلا أنه منسوب إلى الأنا في الواقع. ولا يتجاوز الفاصل بين الأنا ونقطة التوحيد مقدار غمضة عين. فما إن نترك هذه الأنا، حتى تتجلى المعرفة التوحيدية.

طلب المنفعة يحجب الولاية

لقد بذل أصحاب الحسين عليه السلام كل حيثيّات وجودهم في هذا الطريق، إذ لا يمكن تحقق الولاية إلا على هذا النحو. وتعدّ هذه المسألة من المفاتيح الرئيسية لمعرفة الولاية وإدراكها جيداً. وعن طريق ما سَيَلي، ستُتاح إمكانيّة معرفة أهل الولاية ممّن هم ليسوا كذلك، فما من طريق أفضل لمعرفة الولاية وأهلها.

إنّ كل من يلجأ إلى الوليّ ويطلب منه ما يصبّ في منفعته الخاصة، سواء كانت دنيوية أو أخروية، لن تكون نتيجة فعله هذا سوى البُعد عن الوليّ. وفي المقابل، يكون طالباً للولاية كلّ من يهدر جميع ما يملكه أمام قدمي الوليّ، من مالٍ(١) ومُلكٍ وماء

(١) عن يحيى بن أم الطويل قال: كنّا عند الحسين عليه السلام إذ دخل عليه شاب يبكي، فقال له الحسين عليه السلام: «ما يبكيك؟ قال: إنّ والدتي توفيت في هذه الساعة ولم توصِ، ولها مال وكانت قد أمرتني أن لا أحدث في أمرها شيئاً حتى أعلمك خبرها. فقال الحسين عليه السلام: قوموا حتى نصير إلى هذه الحرّة. فقمنا معه حتى انتهينا إلى باب البيت الذي توفّيت فيه المرأة مسجّاة. فأشرف على البيت ودعا=

وجه وغيرها من الحيثيات، إلى أن يصل به الأمر لبذل الروح حتى. وهذا الكلام أساسيّ وجوهري.

وعندما نصل إلى المعرفة، ينتابنا شعور بالخجل مما كنّا ندعو به عند ضريح الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام وباقي الأئمة. ولا شكّ في أنّ الدعاء عمل حَسَن، وعليكم بالدعاء لأن هذا مطلوب، ولكنْ يجب معرفة حدودنا في هذه المسألة.

لقد أخبر الحسين عليه السلام أصحابه بأنهم سيُقتلون جميعاً إنْ أتوا معه ورضوا بذلك، فهؤلاء لم يريدوا الحصول على أي شيء من الإمام، لا دنيويّ ولا أخرويّ[(١)]. ولكننا حتى الآن لم نعرف الولاية ولم نفهم أيّ جانب من جوانبها. وحين ينجح فرد ما في الوصول إلى أحد المناصب الظاهريّة المرتبطة بالولاية، يتهافت الأصدقاء والأقرباء عليه طلباً لحاجاتهم الخاصّة. وإنّ مَن كان يقصد أمير المؤمنين عليه السلام طلباً للأمور الدنيوية، أصبح، بعد

=الله ليحييها حتى توصي بما تحبّ من وصيّتها، فأحياها الله وإذا المرأة جلست وهي تتشهد، ثم نظرت إلى الحسين عليه السلام فقالت: أدخل البيت يا مولاي ومرني بأمرك، فدخل وجلس على مخدّة ثم قال لها: وصّي يرحمك الله. فقالت: **يا ابن رسول الله لي من المال كذا وكذا في مكان كذا وكذا فقد جعلت ثلثه إليك لتضعه حيث شئت من أوليائك، والثلثان لابني هذا إن علمت أنّه من مواليك وأوليائك، وإن كان مخالفاً فخذه إليك فلا حقّ للمخالفين في أموال المؤمنين**، ثمّ سألته أن يصلّي عليها وأن يتولّى أمرها، ثمّ صارت المرأة ميتة كما كانت». صحيفة الأبرار، ص١٨١.

(١) عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إلهي، ما عبدتك خوفًا من نارك ولا طمعاً في جنتك ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك»، ميزان الحكمة، ج٦ ص١٨.

استجابة أمير المؤمنين عليه السلام له، جزءاً من الناكثين والقاسطين والمارقين، ولم يتمكّن من تأمين منفعته في نهاية المطاف.

إذن، فطالبو المنفعة، أيّاً كان شكلها، لن يتمكنوا من الحصول على الولاية، بينما تجد أنّ أصحاب الحسين عليه السلام أراقوا كل شيء عند أقدامه ولم يبالوا. وقد بحث الحسين في كل العالم وشقّ عمق الوجود في الغيب والشهود وعاين أصحاب الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأصحاب جميع الأولياء والأنبياء والأوصياء ولكنه حين جال بنظره[1] على من حوله في كربلاء، لم يجد أجمل من غلامه الأسود، وقال: «ما وجدتُ أصحاباً أبرّ وأوفى من أصحابي». فحتى الرسول الأكرم وأمير المؤمنين والإمام الحسن عليهم السلام لم يحظوا بما حظي به الحسين[2] عليه السلام.

---

(١) وعينه عين الله وعندما برق ببصره جال به في كل عالم الوجود من أوّله إلى آخره، فلم يجد خيراً من أصحابه. والإمام هو المظهر الأتمّ لاسم الله البصير، فعندما برق ببصره خرق الزمان والمكان، فكان أبصر الناظرين، ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، (سورة التوبة، آية ١٠٥). ومن كلام لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: «... **إنه كان لله ودائع مؤمنون في أصلاب قوم كافرين ومنافقين فلم يكن علي** عليه السلام **ليقتل الآباء حتى يخرج الودائع، فلمّا خرجت ظهر على من ظهر وقتله، وكذلك قائمنا أهل البيت** لم يظهر أبداً حتى تخرج ودائع الله فإذا خرجت يظهر على من يظهر فيقتله»، (بحار الأنوار، ج٢٩ ص٣٢٨). وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى الملكوت**»، بحار الأنوار، ج ٧٠ ص٥٩.

(٢) «قالت أم سلمة رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يُلبِّس ثوباً للحسين عليه السلام لم أرَ مثله في الدنيا فسألته: فقال: هذه هدية أهداها ربي للحسين وأنا ألبسه إياها، وإن لحمتها من زغب جناح جبرائيل»، الخصائص الحسينية، ص١٣٨.

«ما وجدتُ أصحاباً أبرّ وأوفى من أصحابي»، ذلك لأنهم ما أرادوا منه شيئاً حتى الجنة[١]. ولو أرادوا الجنة لَما كان مكانهم في كربلاء. فالجنة هي المكان الأجمل بنظرك ونظر أولئك الذين يسعون وراء المنفعة من الولاية. فأيّ استغناء هو ذاك الذي اتّصف به أصحاب الحسين عليه السلام! ثم، أيبحث عن الجنة من كان الحسين عليه السلام عنده[٢]؟ أيريد الدنيا والمنصب والمقام والمنزلة والرئاسة، من كان الحسين عليه السلام لديه؟

لقد هيّأهم الحسين عليه السلام وأكّد لهم أنّ كل من سيرافقه، لن يحصل على أيّ مكسب، فهو لن يبقى على قيد الحياة لينال تلك الفرصة. وتجدر الإشارة إلى أنّ بعض أصحاب الحسين عليه السلام كان مِن أصحاب الأملاك. والنتيجة أنّ وجود الولاية أو غيابها عند امرئ ما يتحدّد بمعرفة ما إذا كان هذا المرء هو طالبُ منفعةٍ من الوليّ المطلق أم لا.

يُروى أنه في أحد الأيام، تلا دعبل الخزاعي قصيدة من الشعر في محضر الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام فكافأه الإمام بإعطائه

(١) عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: الجنة تشتاق إليك يا علي وإلى عمار وسلمان وأبي ذر والمقداد»، الخصال، ج١ ص١٤٥.

(٢) بإسناده عن زرارة عن الصادق عليه السلام أنه قال: «... ما من عبد يحشر إلا وعيناه باكية إلا الباكين على جدي الحسين عليه السلام... **يقال لهم ادخلوا الجنة، فيأبون ويختارون حديثه ومجلسه، وإن الحور لترسل إليهم، إنا قد اشتقناكم مع الولدان المخلدين، فما يرفعون رؤوسهم إليهم لما يرون في مجلسهم من السرور والكرامة**»، كامل الزيارات ص٨١؛ مستدرك الوسائل، ج١٠ ص٣١٣.

صرّة من المال. غير أنّ دعبل ردّها وأخبر الإمام بأنه لم يقرأ الشعر حتى يحصل على مال في المقابل، مؤكداً أنه ليس من طالبي الدنيا. وعند ذلك، قال له الإمام: أطلب ما بدا لك. فأجابه دعبل قائلاً: أريد قطعة من ثوبك الذي تضعه على جسدك. فلبّى الإمام طلبه وأعطاه قطعة من الثوب مع صرّة المال كذلك. عندها، قال دعبل: سآخذها، ولكنك تعلم ما في قلبي.

انتظم جميع الأولياء في الصفوف بهدف أداء ذلك العمل(١)،

---

(١) «**إن الله سبحانه وتعالى لما أقام الخلق في عالم الذر (عالم الأظلة والأشباح) وسألهم ألست بربكم؟ كان أول من أجاب رسول الله** ﷺ، **فظهر من نور إجابته نور شعشاني، أضاء أهل العالم كلّاً**، كالصبح الطالع المشرق بنور الشمس على كل الذرّات، بحيث انمحقت الظلمات **ثم أنكر المنكر الأول في مقابلة تلك الأنوار، في كمال العناد، فظهرت من إنكار اللعين الظلمة، أظلمت ذلك العالم، بحيث سرت تلك الظلمة في كل الذرات، في كل المقامات، كالليل الذي يغشى النهار**. ولما كان إبقاء هذه الظلمة يُفسد البنية ويخلّ بالنظام ويورث عدم إيصال التكليف، وكان رفعها بالمرّة ومحوها بالكلية مورثاً للأمر الثاني أي: الإلجاء في (إلى) التكليف، لعدم الداعي للشرّ وعدم تمكن العبد منه، لأن الشرّ له أصل وينبوع، إذا انعدم بالمرّة انعدم وإذا انفصل انفصل. فلم يتم النضج التام لأهل العالم، كما أن النهار لو كان مستمراً دون الليل لفسدت الأشياء، ولو كان الليل كذلك، كان كذلك. فوجب إثبات الأمرين، ولا يكون ذلك إلا بتمكين الظلمة من تأثيرها وإظهار النور لإثبات بيان اجتثاثها وانقطاعها، ليظهر من هذا المزج لون كلون الفجر الصادق الأول، الظاهر بالشفق، ليعقب ذلك ظهور الشمس المضيئة الماحية لكل تلك الظلمات الكاشفة لكل تلك الغشاوات. **ولمّا كان الله سبحانه وتعالى أجرى فعله وخلقه على مقتضى الأسباب وكان هذا الأمر الكلي للعالم الكلي لا يتمّ إلا بالأصل الكلي، كان لا يصلح لهذا الأمر إلا محمد وأهل بيته الطاهرين** عليهم السلام. فنادى=

ولكن لم يُتقبَّل منهم. وحتّى إبراهيم الخليل عليه السلام أراد ذلك عبر ذبح ولده إسماعيل عليه السلام، ولكنّ الله أمره بذبح كبش بدلاً منه - فليس أنت مَن سيؤدي هذا العمل يا إبراهيم، أنظر إلى من سيقوم به. نظر فرأى موجوداً اسمه الحسين بن عليّ، يقوم بتقديم الشباب والأعزاء الواحد تلو الآخر ثم يقدّم نفسه في النهاية.

وقد قال الإمام الصادق عليه السلام إنه كلما كان الوقتُ في يوم عاشوراء يقترب من ساعة الظهر وانتصاف النهار، كان وجه أبي عبد الله عليه السلام يزداد إشراقاً، هذا وعيون الملائكة والأنبياء(١) تحدّق به.

=**منادي الحق سبحانه بلسان الكينونة فيهم** عليهم السلام: **من الذي يرفع هذه الظلمة، ويردّ هذه الليلة الظلماء والطخياء العمياء إلى الفجر الصادق**، على وجه لا يكون فيه إلجاء واضطرار للمكلفين، بل على وجه الخضوع والخشوع والصبر على الشدّة وعضّ النواجذ على عظيم المحنة؟ **فلبّى الحسين** عليه السلام **دونهم ذلك النداء، وقبِل تلك الدعوة فسمّاه الوحي الإلهي للعناية الأزلية سيّد الشهداء.** وإنما لبّى الحسين عليه السلام دون غيره، لأنه مبدأ التفصيل الثاني للفيض الكلي الإجمالي الأولي، فيجب أن يكون ظهوره بالاستيلاء وبغيره مقدماً ولذا كان أول من يرجع في الرجعة، فافهم»، رؤى حول الأسرار الحسينية، ص٧٥.

(١) لقد مرّ الكثير من الأنبياء في كربلاء وكُشِف لهم وتعرضوا لمواقف عرفوا من خلالها ما سيجري على سيّد الشهداء عليه السلام وقدّموا المواساة لآل النبي محمد صلى الله عليه وآله، ونذكر عدداً منها: «روي أن آدم لما هبط إلى الأرض لم ير حواء فصار يطوف الأرض في طلبها فمرّ بكربلاء فاغتمّ، وضاق صدره من غير سبب، وعَثُرَ في الموضع الذي قتل فيه الحسين، حتى سال الدم من رجله، فرفع رأسه إلى السماء **وقال: إلهي هل حدث مني ذنب آخر فعاقبتني به؟** فإني طفت جميع الأرض، وما أصابني سوء مثل ما أصابني في هذه الأرض. **فأوحى الله إليه يا آدم ما حدث منك ذنب، ولكن يقتل في هذه الأرض ولدك الحسين**=

=**ظلما فسال دمك موافقة لدمه**، فقال آدم: يا ربّ أيكون الحسين نبياً قال: لا، ولكنه سبط النبي محمد، **فقال: ومن القاتل له؟ قال: قاتله يزيد لعين أهل السماوات والأرض**، فقال آدم: **فأي شيء أصنع يا جبرئيل؟ فقال: إلعنه يا آدم فلعنه أربع مرات** ومشى خطوات إلى جبل عرفات فوجد حواء هناك»، بحار الأنوار، ج ٤٤ ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣.

«روي أن إبراهيم عليه السلام مرّ في أرض كربلاء وهو راكب فرساً فعثرت به وسقط إبراهيم وشج رأسه وسال دمه، فأخذ في الاستغفار وقال: **إلهي أي شيء حدث مني؟ فنزل إليه جبرئيل وقال: يا إبراهيم، ما حدث منك ذنب، ولكن هنا يقتل سبط خاتم الأنبياء، وابن خاتم الأوصياء، فسال دمك موافقة لدمه. قال: يا جبرئيل، ومن يكون قاتله؟ قال: لعين أهل السماوات والأرضين والقلم جرى على اللوح بلعنه بغير إذن ربه، فأوحى الله تعالى إلى القلم إنك استحققت الثناء بهذا اللعن .فرفع إبراهيم** عليه السلام **يديه ولعن يزيد لعناً كثيراً وأمّن فرسه بلسان فصيح** فقال إبراهيم لفرسه: أي شيء عرفت حتى تؤمن على دعائي؟ فقال: يا إبراهيم أنا أفتخر بركوبك علي فلما عثرت وسقطت عن ظهري عظمت خجلتي وكان سبب ذلك من يزيد لعنه الله تعالى»، بحار الأنوار، ج٤٤ ص٢٤٣.

«روي أن نوحاً لما ركب في السفينة طافت به جميع الدنيا فلما مرت بكربلاء أخذته الأرض، **وخاف نوح الغرق فدعا ربه وقال: إلهي طفت جميع الدنيا وما أصابني فزع مثل ما أصابني في هذه الأرض فنزل جبرئيل وقال: يا نوح في هذا الموضع يقتل الحسين سبط محمد خاتم الأنبياء، وابن خاتم الأوصياء**. فقال: ومن القاتل له يا جبرئيل؟ **قال: قاتله لعين أهل سبع سماوات وسبع أرضين، فلعنه نوح أربع مرات فسارت السفينة** حتى بلغت الجودي واستقرت عليه»، بحار الأنوار، ج٤٤ ص٢٤٣.

«روي أن موسى كان ذات يوم سائراً ومعه يوشع بن نون،فلما جاء إلى أرض كربلاء انخرق نعله، وانقطع شراكه، ودخل الخسك في رجليه، وسال دمه، **فقال: إلهي أي شيء حدث مني؟ فأوحى إليه أن هنا يقتل الحسين** عليه السلام **وهنا يسفك دمه، فسال دمك موافقة لدمه** فقال: ربّ ومن يكون الحسين؟ فقيل له: هو سبط محمد المصطفى، وابن علي المرتضى، فقال: ومن يكون قاتله؟=

عليّ عليه السلام هو المستهدف في كربلاء

انظروا ما السرّ من وراء المطلب الآتي. كان حرملة لعنه الله يرمي بسهامه نحو الهدف بعد تصويبها عليه. وحين وقف أبو عبد الله الحسين عليه السلام يحمل رضيعه بين يديه، سأل هذا اللعين أميره: على من أصوّب سهمي، على الأب أم ابنه؟ فكان الجواب: أنظر أيّهما يحمل اسم عليّ فارمه بسهمك. مما يعني أنّ كل من يتصل بعليّ هو مستهدف. وكل من يرتبط بعليّ هو هدف للرماية ومحطّ اهتمام الرامين. ولكربلاء ظاهر وباطن، فظاهرها قتل الحسين عليه السلام وباطنها قتل علي عليه السلام. ولكن، ما مشكلة هؤلاء الناس مع إنسانٍ يقول: أشهد أنّ عليّاً وليّ الله، حتى يرغبوا في قتله وإضرام النيران فيه؟

وهنا لا بدّ من لفت النظر إلى هذه المسألة: إنّ أحداً من شهداء

=فقيل: هو لعين السمك في البحار، والوحوش في القفار، والطير في الهواء، **فرفع موسى يديه ولعن يزيد ودعا عليه وأمّن يوشع بن نون على دعائه ومضى لشأنه**»، بحار الأنوار، ج٤٤ ص٢٤٤.

«روي أن عيسى كان سائحاً في البراري، ومعه الحواريون، **فمرّوا بكربلاء فرأوا أسداً كاسراً قد أخذ الطريق فتقدم عيسى إلى الأسد، فقال له: لم جلست في هذا الطريق؟ وقال: لا تدعنا نمر فيه؟ فقال الأسد بلسان فصيح: إني لم أدع لكم الطريق حتى تلعنوا يزيد قاتل الحسين** عليه السلام فقال عيسى عليه السلام: ومن يكون الحسين؟ قال: هو سبط محمد النبي الأمي وابن علي الولي قال: ومن قاتله؟ قال: قاتله لعين الوحوش والذباب (الذئاب) والسباع أجمع خصوصاً أيام عاشوراء **فرفع عيسى يديه ولعن يزيد ودعا عليه وأمّن الحواريون على دعائه** فتنحى الأسد عن طريقهم ومضوا لشأنهم»، بحار الأنوار، ج٤٤ ص٢٤٤.

كربلاء البالغ عددهم على الأقل اثنين وسبعين رجلاً لم يحمل اسم عليّ - ويصل عدد الشهداء بحسب بعض الكتابات إلى مئة وخمسٍ وثلاثين، ومئة وخمسٍ وأربعين، ومئة وخمسٍ وسبعين رجلاً. فلقد حال الجوّ الذي كان سائداً في ذلك الزمان دون أن يتجرأ أحد على تسمية ابنه باسم عليّ حتى ضمن أصحاب الحسين أنفسهم، ولتذهبوا وتراجعوا أسماءهم. وقد سمّى أمير المؤمنين وَلَدَيْه باسم عثمان وأبي بكر(١) من أجل حفظ أبنائه من نظرة ذلك المجتمع ومن الهجمة الفكرية الإجتماعية التي كانت سائدة، وحتى لا يعتدي الناس على أهل بيت رسول الله وشيعتهم. ومن بين كل الناس في العالم، نهض رجل واحد وأعلن قائلاً: سأسمّي كل أولادي باسم عليّ ولو حاربني الخلق أجمع، وهذا الرجل هو الحسين بن علي عليه السلام. ففي يوم عاشوراء، وقف قبالة جيش الأعداء وسألهم: لماذا تقاتلونني؟ ألأني حرّمتُ لكم حلالاً؟ قالوا: لا، ألأني جئت ببدعة في دينكم؟ قالوا: لا، إذاً، لماذا تحاربونني وتستحلّون دمي؟ فقالوا له: بغضاً بأبيك(٢). كانوا

---

(١) إن أسماء أبي بكر وعمر وعثمان كانت رائجة قبل وجود هؤلاء الثلاثة وليسوا هم أوّل من تسمّى بها. وعن هبيرة بن مريم، قال: «كنا جلوساً عند عليّ عليه السلام، فدعا ابنه عثمان، فقال له: يا عثمان! ثم قال: إني **لم أسمّه باسم عثمان الشيخ الكافر، إنما سمّيته باسم عثمان بن مظعون**»، بحار الأنوار، ج٣١ ص٣٠٧.

(٢) «ولما قتل جميع أصحاب الإمام الحسين عليه السلام ورجال أهل بيته، ولم يبقَ منهم أحد، عزم الإمام على لقاء القوم بنفسه، فدعى ببردة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فالتحف بها، وأفرغ عليها درعه الشريف، وتقلد سيفه، واستوى على متن جواده، ثم توجه نحو ميدان الحرب والقتال، فوقف أمام القوم وجعل يخاطب أهل=

يريدون محو اسم عليّ بن أبي طالب[١] عليه السلام، وهذا هو سرّ عاشوراء. فهل يُعقل أن لا يكون هناك واحدٌ من أصحاب الحسين يحمل اسم عليّ! إن كربلاء تبكي أمير المؤمنين ويوم عاشوراء هو يوم مصيبة عليّ ويوم الدفاع عنه. فقد قال الحسين عليه السلام: حتى قيام يوم الدين، لن أسمّي أيّ ولدٍ يرزقني الله به إلا باسم عليّ.

إنّ ما تحظون به اليوم هو مِنحة من أولاد الحسين عليه السلام وأصحابه، فما يُدريك أن لا يكون جدّك قد ناصر الحسين عليه السلام ولهذا السبب تدمع عينك ويحترق قلبك؟ والحال مشابه مع أولاد الأعداء الذين لا يتحمّلون سماع هذه المسائل، ولذلك نقول: «اللهم العن أول ظالمٍ ظلم حق محمد وآل محمد وآخر تابع له على ذلك»[٢].

جذبة العشق

ورد في الكثير من الأخبار أنّ زهير بن القين كان عثمانيّ الهوى. ولم يكن هذا العظيم على علمٍ بتجلّي الحبّ في نفسه،

=الكوفة بقوله: «ويلكم علامَ تقاتلونني؟ على حق تركته؟ أم على شريعة بدلتها؟ أم على سنة غيرتها؟ فقالوا: **بل نقاتلك بغضاً منا لأبيك، وما فعل بأشياخنا يوم بدر وحنين**»، معالي السبطين، ج٢ ص٥، الفصل العاشر، المجلس الثاني.

(١) قال أمير المؤمنين عليه السلام: «والذي بعث محمّدا صلى الله عليه وآله إنّ نور أبي طالب يوم القيامة ليطفئ أنوار الخلق إلاّ خمسة أنوار: نور محمّد، ونوري، ونور فاطمة، ونور الحسن والحسين، ومن ولدته من الأئمة، لأن نوره من نورنا الذي خلقه الله تعالى من قبل أن يخلق آدم بألفي عام»، الأمالي، ج١ ص٣١١، ٣١٢.

(٢) زيارة عاشوراء، مفاتيح الجنان.

فتحقق ظهوره بالظلم بدايةً، إلا أن باطنه كان ينطوي على أمرٍ مغاير تماماً. وفي أحد الأيام أفصح لرفاقه عن رغبته بالذهاب إلى مكّة لأداء مناسك الحجّ، ففرحوا لما رأوا من تغيّر قد بدا على زهيرٍ بعد أن كان لا يكترث لمثل هذه المسائل. ولكن، في اليوم الثامن من ذي الحجة المعروف بيوم التروية، تبدّل حال زهير وأخبر رفاقه بأنه يريد الرحيل فقال لهم: إبقوا أنتم إذا شئتم، أما أنا فلا أشعر برغبة في البقاء بمكة ولا بالتوجّه إلى الكعبة ومنى، كما أني لا أرغب بالذهاب إلى عرفات.

تعجّب رفاقه وقالوا له: عملك هذا مخالف للشرع يا زهير، فلا يصحّ لك الخروج من مكة يوم التروية. ولكنه أجابهم قائلاً: لقد ضاق ذرعي ولم أعد أكترث لشيء. ومهما بذلوا من جهدٍ لم يتمكنوا من إقناعه بالبقاء وذهبت كل جهودهم سدى.

إنطلق زهير في اليوم الثامن من ذي الحجة. وبقي رفاقه في مكة حتى لا يخسروا دينهم! «أينما ذهبت الشمس، تحمل معها شعاع نورها». ثم قرّر واحد أو اثنان من أصحابه الإلتحاق به. وبعد أن خرجوا وقطعوا مسافةَ بضعة فراسخ، وصل إليهم خبر خروج الحسين عليه السلام من مكة. فبات كلّ همّ زهير أن لا يلتقي بالحسين عليه السلام في أيّ مكان على الإطلاق. وقال لأصحابه: أتمنى أن لا يراني ويسبّب لي المتاعب في الكوفة. كان يبتعد، ولكنه في الحقيقة قريب.

إقتربوا من الكوفة ووصل الخبر بقرب وصول زهير إليها. وبعيد وصوله، جلس مع زوجته التي كانت في انتظاره إلى مائدة الغداء.

ولم يكد يبدأ بتناول طعامه، حتى وصل فارسٌ ونزل عن جواده وهو يسأل: من هو زهير؟ فعرّف زهير عن نفسه وسأله: ماذا تريد؟ فردّ الفارس قائلاً: أجِبِ الحسين، فأنا قادم من طرفه وهو يطلبك. ولكنّ زهيراً أجاب غاضباً: إذهب وقل له إنّي لن آتي إليه ولا شغل لي معه. ما لي وما للحسين! أنا لا أعرفه أصلاً.

رحل الرسول. ولكنّ زهيراً لم يتمكن من تناول الطعام بعدما أصيب بالغمّ. وبعد مرور دقائق، وما إن مدّ زهير يده مجدداً لتناول الطعام، حتى سمع صوتاً يناديه من خارج الخيمة: يا زهير! عندها، قالت له زوجته: قم وانظر ما يريد ابن فاطمة عليها السلام. هنا، لم يعد بمقدوره التهرّب، فقام رغماً عنه وخرج من خيمته لرؤية الحسين عليه السلام. لم يهمس الإمام بأكثر من كلمة واحدة في أذن زهير، ولا عِلم لأحدٍ بما كانت تلك الكلمة، حتى دخل خيمته وقال لزوجته: قد طلّقتك، وأنا أهب لك كل أملاكي وأموالي، «بأبي أنت وأمي وأهلي ومالي». فقالت له زوجته: أأتركُك؟ وأنا التي أشرتُ عليك بالذهاب إلى ابن فاطمة عليها السلام والاستماع إلى ما يريده. قسماً بالله لا أتركك، حتى تقطع لي وعداً بأنك ستشفع لي عند أمّه الزهراء عليها السلام. فقال لها زهير وهو على عجلة من أمره: قبِلت بذلك. إنطلق زهير في طريقه حتى وصل إلى الإمام عليه السلام وحينذاك قال له: نحن نضمن لك الوفاء بما وعدتَ به زوجتك أمام أمّنا فاطمة عليها السلام.

ألا تريد أن تأتي أنت! إنْ أراد، هو يأتي بك. وقد يكون ارتباط المحبّة هذا كامناً في ذات الإنسان، ثم يأتي حينٌ يُرفع فيه ذلك

الستار من أمام عينيه ويرى أنه هو نفسه لم يكن على دراية بتلك المحبة(١).

لقد خرج زهير من مكة في الثامن من ذي الحجة، فمن هو هذا الذي تحرّك ودفعه هو الآخر إلى التحرّك؟ ألم يخرج الإمام الحسين عليه السلام من مكة في الثامن من ذي الحجة أيضاً؟ لقد قالوا: «شيعتنا منّا، خلقوا من فاضل طينتنا»(٢). وحُسن العاقبة لا يأتي بالزهد بل بتوفيق من الله وعناية منه(٣).

الحسين عليه السلام مُبدع العشق

لماذا بقيت قصة العشق التي جمعت بين ليلى وقيس العامري حيّة على الرغم من كثرة قصص العاشقين؟ ذلك لأنّ الحسين عليه السلام توسّط لقيس في هذه القصة مرتين: الأولى حينما ذهب إلى والد ليلى ليطلب يدها لقيس. والثانية عندما طلب من زوج ليلى أن يتركها لأنها لا تستطيع العيش معه. وبذلك، حصل قيس وليلى على دور في هذه الدنيا، وشكّلا مثالاً وقدوة لكل من يأتِ على ذكر العاشق والمعشوق(٤). فالحسين عليه السلام هو مبدع العشق.

---

(١) «للحسين محبة مكتومة في قلوب المؤمنين»، الخرائج والجرائح، ج٢ ص٨٤١، ٨٤٢.

(٢) بحار الأنوار، ج٥٣ ص٣٠٢.

(٣) هو رزقٌ من الله، ﴿وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾، سورة البقرة، آية ٢١٢.

(٤) «توجّه عاشق إلى معشوقه وذكر له كل الخدمات والتضحيات التي أسداها وتحملها في سبيل العشق الذي يجمعهما ومن جملة ما ذكر قال: لقد تعرضت=

وفي سياق الكلام عن المحبّة، نورد الموقف الآتي: وقف الغلام الأسود يتحدّث مع الحسين عليه السلام فصدر منه كلامٌ جعل الدموع تجري من عينيه الشريفتين. فقد خاطبه قائلاً: سيّدي، ألا تريد أن تجيز لي النزول إلى الميدان؟ إني لم أسمح لنفسي، طوال مدة خدمتي لك ولأولادك، بأن آكل ولو لمرة واحدة من الطعام الذي أعدّه لكم. كنت أصبر حتى تفرغ صحونكم ثم أمسح بقايا الطعام فيها بإصبعي. أما الآن، فإنك تنظر(١) إلى الجميع بعين

=لسهام وأسنّة الرماح وبذلت الأموال والممتلكات وفقدتُ القدرة والمكانة وذقتُ الحرمان والخيبة وقتلني الأرق والسهر وتحملت التشريد والضياع و... وهكذا مضى العاشق بالتعرض لما لقيه في سبيل معشوقه لكن لا بقصد المنّة عليه بل لتشهد تلك المواقف على صدقه وإخلاصه، وبعد حديث طويل قال العاشق: دعنا من الماضي، قل لي الآن ماذا يجب علي أن أفعل، فلو أشرتَ علي بدخول النار كإبراهيم عليه السلام لاقتحمتها أو أردت أن يسيل دمي مثل يحيى أو أن أسكن جوف الحوت مثل يونس، أو أن أُبتلى بظلمة الجبّ مثل يوسف أو أن أعود معدماً لا أمتلك شيئاً مثل عيسى أو... لقلت لبيك بكل لهفة وشوق فقال له المعشوق: صحيح إنك تحمّلت كل هذه الصعاب والتضحيات في سبيل العشق لكن أصغِ إلي جيداً: لقد أدّيت فرع الأمور وغفلتَ عن لبّها وأساسها، سأل العاشق: ما هو ذلك الأصل والأساس؟ قال المعشوق: أصل العشق يكمن في الذوبان في المعشوق والموت في سبيله وهذا الذوبان هو نفس الوجود وذلك الموت هو ذات الحياة التي تضفي الخلود على الحياة أبد الدهر. فحينما سمع العاشق هذا الكلام شهق شهقة وتلفظ أنفاسه الأخيرة»، قصص المثنوي، القصة ١٥٤ (أساس العشق)، ص١٠٥.

(١) يقال إنه عندما سأل أحد الطيور الهدهدَ: لمَ فضّلك الله من بيننا وذكرك في محكم كتابه ولم يذكرنا؟ دُلّنا على العمل الذي قمتَ به؟ فقال الهدهد: «**أيها الطائر، لقد كان سليمان النبي يديم النظر إلي في كل أوان، وما حصلت على**=

الرحمة، ألن تأذن لي بأن أفديك بروحي؟ ألن تقبل هديّتي؟ وفي الأثناء، كان حضرته ملتفتاً إلى حديث الغلام يسمع كلماته الجميلة. ثمّ تابع قائلاً: أعلم أنك لا تحبّني بسبب قبحي، ولأنّي غلام لا حسب ولا نسب ولا عائلة ولا عشيرة لي. سيّدي، إني خادم ورائحة بدني نتنة، أفلهذا لا تريد الترخيص لي؟ هنا، احتضنه الإمام الحسين عليه السلام وألصق رأسه بصدره وقال له باكياً: ستموت شهيداً حتى تكون منّا. ولذا، فإنّ الغلام الأسود هو من ضمن الأصحاب الذين يتوجّه إمام الزمان عجل الله فرجه الشريف إليهم قائلاً: «بأبي أنتم وأمي»، فهو كان عارفاً بالولاية ولم يكن طالباً للمنفعة، بل إن كلّ ما أراده هو أن يفدي الحسين عليه السلام بنفسه. وحين استشهد الغلام، حضر الحسين عنده ودعا له قائلاً: يا الله، بيّض وجهه - ومن المؤكد أنه ما من فرق بين الأبيض والأسود عند الإمام الحسين عليه السلام، ولكنه أراد لقلبه أن يبيضّ - وطيِّب ريحه وانسِب حسبه ونسبه لي[1]. فلو لم يكن حسبه ونسبه راجعاً للإمام

=**ذلك بذهب أو فضة، وإنما تتأتى هذه المكانة من نظرة واحدة**، وإنْ تتحقق لشخص هذه الطاعة، فكم يحاول إبليس عرقلة تلك الطاعة وإن يقل شخص إن الطاعة غير واجبة، فستحل اللعنة عليه كل ساعة، **فلا تتخلّ عن الطاعة لحظة واحدة ولا تقم وزناً لما تأمرك به نفسك من طاعة، فاقضِ العمر كله في طاعة، حتى تحظى من سليمان النبي بنظرة**، فإذا أصبحت مقبولاً لدى سليمان، فقد تحظى بأكثر مما أقول»، منطق الطير، ص٢٤٦.

(١) عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**المودّة في الله أقرَب نسب**»، (غرر الحكم ودرر الكلم، ص٦٥). وعنه عليه السلام: «**المودّة أشبَك الأنساب، والعِلم أشرف الأحساب**»، (الإرشاد، ج١ ص٢٩٨). وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**ولايتي**=

الحسين عليه السلام، لما كانت شملته عبارة: «بأبي أنتم وأمي». وقد أصبح وجه الغلام أبيضَ بعد استشهاده. كما قيل إن رائحة زكيّة فاحت في ميدان كربلاء، وحينما اقتفوا أثرها، وجدوا أنها تفوح من بدن ذلك الغلام الأسود. لقد عطّر عالم الوجود، وليس صحراء كربلاء فحسب، وإنْ كانت هي كل الوجود أصلاً.

ألقِ وجودك تحت قدم الوليّ

إذن، فإن الولاية هي إلقاء كل الوجود أمام قدمَي الوليّ. ولتقريب الفكرة نضرب المثل الآتي: ففي رابط الصداقة، كلما طلبتَ أكثر كلما فشلتَ أكثر في تكوين صداقة ناجحة، وفي المقابل، كلما بذلتَ أكثر كلما كانت صداقتك أكثر متانة.

وتبرز قضية الخمس في هذا السياق. فالموالي يؤدّي هذه الفريضة بهدف وضع ماله أمام قدمي الوليّ. وتحسم عبارة ﴿وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ الواردة في الآية الكريمة: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[(١)] أنّ الولاية هي لهم من دون اختيار أو اكتساب.

=لعلي بن أبي طالب عليه السلام، أحبّ إلي من ولادتي منه لأن ولايتي لعلي بن أبي طالب فرض وولادتي منه فضل». الروضة في فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، لابن شاذان القمي، ص١٠٣.

(١) سورة الأنفال، آية ٤١.

معرفة الولاية والوليّ هبة لا اكتساب

لم يمرّ أصحاب الحسين عليه السلام من دون أن يتركوا أثراً في الخلق والوجود الإنساني. وعلى كل من يريد لتوبته أن تُقبل وتنال موافقة الله والملائكة والأنبياء والرسول والحسين عليهم السلام، أن يُعلن توبته عن طريق الحرّ، وليقل: بعزة الحرّ يا الله، إقبل توبتي. والسّبب في ذلك هو أنّ توبة الحرّ قد قُبِلت، حيث توجّه إلى الإمام الحسين وسأله: سيدي، هل تُقبل توبتي؟، سَكَت الإمام عليه السلام قليلاً، وكأنه يقول: لقد لجأتَ إلينا، فأنت منّا يا حرّ، «أنت حرّ كما سمّتك أمك، حرّ في الدنيا والآخرة».

وفي هذا السياق، تجدر الإشارة إلى أنّ هناك فرقاً كبيراً بين الوَلاية بفتح الواو والوِلاية بكسرها، إذ تأتي «الوِلاية»، بمعنى تولّي الحكومة والسلطنة والإمارة. ولذلك، فإنّه من الصحيح القول: «وِلاية الفقيه» ولكن ليس «وَلاية الفقية»، لأنّ هذه الوِلاية تستند إلى الحكومة والإمارة وإصدار الأحكام والفتاوى. أمّا الوَلاية فلا تصحّ هنا لأنها محصورة بالأربعة عشر معصوماً عليهم السلام. فالوَلاية هي منصب إلهيّ لا دخل فيه لأحد بعالم الوجود في حين تخضع الوِلاية لانتخاب الناس واختيارهم، حيث يحقّ لهم إعطاء الرأي وإبداء وجهات النظر والنفي والإثبات وكل ما شابه ذلك، كبقية المطالب التي يكون للناس دور فيها، ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[1]،

(١) سورة الشورى، آية ٣٨.

﴿وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ﴾(١). غير أنّ كل تلك المسائل لا تسري على الوَلاية، فهي إعطاءٌ من الحق(٢). وكما أنّ الولاية هي عطاءٌ من الحق للوليّ وليست اكتسابية، بحيث لا يمكن لأحد أن يطلب من الله أن يجعله وليّاً أو إماماً مهما تعبّد وأطاع وصلى وأحَسَنَ وأكرم وفَعَلَ من أفعالٍ حسنة، فإنّ معرفة الوليّ والولاية هي عطاءٌ من الله كذلك(٣). وبالتالي، لا يمكن لإنسانٍ أن يصبح عارفاً بالوليّ عبر الصلاة والصوم والعبادة، لا بل إنّ أكثر أولئك الذين يسعون وراء العبادة والعمل(٤) هم من قتلة الأولياء. فإذا رأيتَ قلبك يضطرب في صدرك من أجل محمد وآل محمد عليهم السلام، فاعلم أنّ هذا ليس اكتساباً(٥)، إنما

(١) سورة آل عمران، آية ١٥٩.

(٢) ﴿هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ﴾، سورة الكهف، آية ٤٤.

(٣) «وأسأل الله الذي أكرمني معرفتكم ومعرفة أوليائكم». زيارة عاشوراء، مفاتيح الجنان.

(٤) قال أبو عبد الله عليه السلام: «لا تنظروا إلى طول ركوع الرجل وسجوده؛ فإن ذلك شيء اعتاده، فلو تركه استوحش لذلك، ولكن انظروا إلى صدق حديثه وأداء أمانته»، (الكافي، ج٢ ص١٠٥)، فبماذا انتفع إبليس من عباداته عند الامتحان؟

(٥) ورد عنهم عليهم السلام: «**إن حبّنا أهل البيت ينزله الله من السماء من خزائن تحت العرش كخزائن الذهب والفضة ولا ينزله إلا بقدر، ولا يعطيه إلا خير الخلق،** وإن له غمامة كغمامة القطر، **فإذا أراد الله أن يخصّ به من أحب من خلقه أذن لتلك الغمامة فتهطلت** كما تهطل السحاب فتصيب الجنين في بطن أمه»، (بحار الأنوار، ج٧٥ ص٢٩٢). وقال أبو عبد الله عليه السلام: «**من وجد برد حبنا على قلبه فليكثر الدعاء لأمه، فإنها لم تخن أباه**»، (أمالي الصدوق، ص٤٨٨؛ علل الشرائع ص ٥٨؛ معاني الأخبار، ص٥١). كما قال مولانا صاحب=

هو رحمة. وقد كان الحرّ ممّن نالوا هذه الرحمة ومُنحوا المعرفة[(١)].

هبتهم لا تُسلب

عندما كان أصحاب الحسين عليه السلام يصلون إلى درجة لا يطيقون بعدها الصبر على المبارزة، كانوا يطلبون من السيدة زينب عليها السلام أن تأخذ لهم الإجازة من أخيها الحسين عليه السلام، فقد كانت وجيهة عنده. وفي إحدى المرات، وقفت السيدة زينب عليها السلام إلى جانب الحسين عليه السلام، فخاطبها قائلاً: انظري إلى الصحراء. كان هناك غبار كثيف، فانتظرته لينجلي. وحين نظرت، رأت الحرّ، فقالت متعجّبةً: ماذا أرى يا أخي، أليس هذا الحرّ؟ أليس هذا مَن أساء إلينا من قبل؟ أجابها الحسين عليه السلام: بلى يا أختاه إنه الحرّ وهو معنا، فحسن العاقبة لا يأتي بالزهد إنما هو توفيق من عند الله عزّ وجل.

وعندما استشهد الحرّ، أقبل سيّد الشهداء عليه السلام إليه وكان رأسه ينزف، فأخرج عليه السلام عصابة من القماش، هي برأيي واعتقادي من بقية المنسوجات والأقمشة التي كانت قد نسجت خيوطها السيدة فاطمة عليها السلام كما وأعتقد أنها كانت عصابة خاصة احتفظ بها

=الزمان عجل الله فرجه في رسالته للشيخ المفيد: «...ووهب لنا ولكم روح اليقين...»، الاحتجاج، ج٢ ص٤٦٦.

(١) ورد في الحديث: «إن للحسين في بواطن المؤمنين معرفة مكنونة»، (الخصائص الحسينية، العنوان الرابع، القسم الأول، الوجه السادس). كما ورد: «إن للحسين محبة مكتومة في قلوب المؤمنين»، الخرائج والجرائح، ج٢ ص٨٤١ و٨٤٢.

الحسين عليه السلام على الدوام بسبب عشقه لأمّه فاطمة الزهراء عليها السلام. ربط الحسين عليه السلام تلك العصابة حول رأس الحرّ، فتوقف نزف الدماء. وقيل إنه في أحد الأزمنة، قصد سلطان من السلاطين قبر الحرّ وفتحه رغبةً منه في أخذ تلك العصابة للتبرّك بها. كان بدن الحرّ صحيحاً وسالماً، ولكن ما إنْ نزع العصابة عن رأسه حتى سالت الدماء. فأحضر عصابة أخرى ليضمّد رأسه بها ولكنّ الدماء لم تتوقف عن النزيف إلى أن عاد وربط عصابة الإمام الحسين عليه السلام حول رأسه[(١)]. وهذا يعني أنهم إذا أرادوا أن يهبوا أحداً مكرمة ومرحمة ما، لن يقوى أيٌّ كان على سلبها منه، وستلازمه إلى يوم القيامة.

(١) ممّا ينقل أنّ الشاه إسماعيل الصفوي حفر قبر الحرّ ووجد جسده سالماً، ولما أراد فتح العصابة التي على رأسه سال دمه، فأعادوها كما كانت. ثم بنوا قبّة على قبره، (سفينة البحار، ج١ ص٢٤٢ نقلاً عن الأنوار النعمانية للسيد نعمة الله الجزائري)، وهذا دليل على أن كل مرتبط بكربلاء يبقى حيّاً.

النفحة الخامسة

زواج القاسم بن الحسن عليه السلام

قال سيدنا ومولانا أبو الشهداء حسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام مخاطباً أصحابه: «الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم، يحوطونه ما درّت عليه معايشهم، فإذا مُحّصوا بالبلاء قلّ الديّانون»[(١)]. جرت العادة منذ زمن بعيد على أن يُخصّص اليوم السادس من محرّم للقاسم يتيم الحسن عليه السلام. وعليه، يلتزم القيّمون على محافل الذكر بتلاوة عزاء القاسم عمَلاً بالسنّة القديمة.

وفي ما يتعلق بالقاسم بن الحسن عليه السلام، تختلف الروايات في تأكيد ما إذا كان قد تزوّج قبل استشهاده أم لا. ولمعرفة ذلك، لا بدّ من طرح الأسئلة الآتية: كيف تعامل الحسين عليه السلام مع القاسم؟ وكيف أراد له أن يصل إلى مقصده؟ وكيف عمل على إيصاله إلى حقيقة كربلاء، التي ما زال كل الخلق عاجزاً عن فكّ بعض أحرفها

(١) تحف العقول، ص٢٤٥.

حتى الآن؟ وأقول، إنّ مقدمة تلك المسألة ما كانت لتتمّ لو لم يقم الإمام الحسين عليه السلام بعقد قران ابن أخيه القاسم على ابنته العزيزة.

ولكن مع ذلك، لا يزال الخلاف حول هذه القضية(١) قائماً،

(١) «ثم لا يخفى عليك: أن حكاية التزويج والأعراس للقاسم ممّا لم يذكره جمّ غفير من أصحاب المقاتل، وقال بعض الحذاق في فنون الأخبار والآثار: أنّ تلك الحكاية لم أخلف فيها بأثر معتبر، ولكن أقول: أن الظنّ الأقوى بحصول هذه القضية مما لا ينكره ذو تتبّع غزير وتفكّر دقيق عميق، وذلك لوجوه:

الأول: إنّ كمالية المصائب وتمامية محنة آل الله وأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فوق التماميّة والكمالية قاضية بوقوع هذه القضية أيضاً.

والثاني: إن الرثاة والقراء قديماً وحديثاً، جيلاً بعد جيل، وعصراً بعد عصر، من أهل كل الأقاليم، ممّا فيه طائفة من الشيعة والموالين لأهل البيت، من أهل الأمصار والقربى والرساتيق، يذكرون هذه القضية في رؤوس الأشهاد فوق المنابر، وفي كثير من المآدب والمجالس من مجالس ذكر التعزية والمصائب بحضور جماعة من العلماء الأتقياء والفضلاء والصّلحاء ولا يمنعون الرثاة وذاكري المصائب عن ذكرها ولا ينسبونهم لأجل ذلك إلى الكذب والافتراء.

والثالث: إنّ قصائد الشعراء الرّثاة من العرب والفرس والترك والهند والكرد واللّور، مشتملة على ذكر هذه القضية، بل أن ذلك بعد إمعان النظر، مما لا يختص بأهل إقليم دون إقليم، وبعصر دون عصر آخر.

والرابع: أنه كما جرت سيرة الشيعة وعادتهم على بيانها بالحال وإقامة التشبيهات.

والخامس: إن وقوعها مما صرّح به جمّ غفير من متأخري المتأخرين وغيرهم من أصحاب المقاتل والسّير والتواريخ، حتّى أن بعض المتتبعين وهو صاحب كتاب أنساب آل أبي طالب، قد ذكر أن الزفاف قد وقع، وقد حبلت فاطمة وولدت ذكراً أسماه أهل أمها وعشيرتها من جهة الأم بالقاسم المثنّى، وهو الذي قتله بنو أميّة في الريّ، وقبره مشهور يزار في الري أي في قرية من الشمرانات، وهذا القاسم مشهور بلقب شهرزاد قاسم. =

أَفَهل عرفنا كل مطالب ديننا وفهمناها ووصلنا إلى حقيقتها ولم يتبقَّ أيّ إشكال عندنا سوى معرفة صحّة عرس القاسم من عدمها؟ كثيراً ما يطرح الناس أسئلة حول عرس القاسم، فبينما يكون الإنسان غارقاً في جوّ من الحزن والعزاء ومتأثراً بمصيبة هي أعمق من عمق البحار وإذا بسؤال يتبادر إلى ذهنه: هل عرس القاسم صحيح أم لا؟ إصرفوا نظركم عن هذا السؤال، فلا ينبغي لظواهر المسائل أن تخرجنا من أجواء العزاء والحزن. وبما أن تنظيم عرس القاسم قد أصبح من واقعنا، فلا مانع من تنظيم هذا العرس ونثر الزهور ولكن فليبقَ كل ذلك ضمن أجواء العزاء والحزن. ولا تدَعوا المسائل تتخذ منحى مغاير بعد مرور ستة أيام من أجواء العزاء العميقة والمليئة بالمضامين الصحيحة.

رعاية الأدب في الخدمة شرطٌ للظهور الحسينيّ

هنالك مسألة ينبغي لفت النظر إليها. يتمتع كل من يحضر في مجالس أبي عبد الله عليه السلام بظهور حسينيّ خاصّ، وبالتالي، ينبغي على كل من يخدم في هذه المجالس أن لا يسيء التصرّف مع أيّ واحدٍ من الحاضرين[1]، إذ من شأن ذلك أن يؤدي إلى تغيير جوّ

= **والسادس**: المنامات والأحلام الصادقة من أهل الولاء والإيمان والإخلاص والإيقان، حيث رأوا في الطّيف والمنام سيّد الشهداء وسألوه عن تلك القضية فأخبرهم بوقوعها»، إكسير العبادات في أسرار الشهادات، ج٢ ص٣٨٧ و٣٨٨.

(١) «**من أعان على قتل مسلم بشطر كلمة، لقي الله يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيسٌ من رحمة الله تعالى**»، (المحاسن، ج١ ص١٠٣). والقتل أنواع، بالسيف=

=واليد واللسان، «قتل الله أمة قتلتكم بالأيدي والألسن»، **فاحذر أن تكون شريكاً بلسانك في قتل خادم أو راثٍ أو قارئ أو جالسٍ في عزاء مولانا الحسين بن علي** عليهم السلام**، فتأتي يوم القيامة مكتوباً بين عينيك** «آيسٌ من رحمة الله»، **أي من شفاعة الحسين بن عليّ** عليهم السلام. فعليك بالتقوى والورع في ما يتعلق بسيّد الشهداء ويرتبط به وهذا هو دأب علمائنا أعلى الله مقامهم. **وحتى لو كان لك حق مع خادمٍ أو غيره ممن يرتبطون به** عليه السلام**، فعليك أن تعرف كيف تأخذ حقك منه بطريقةٍ لا تظلم بها سيّد الشهداء. فإن تكلمت عنه أمام الناس وابتعدوا عن الحضور في مجالسه نتيجة كلامك، تكون بذلك ظلمتَ مولاك الحسين بن عليّ** عليهم السلام**، من دون أن تدري أو تشعر. عليك أن تأخذ حقك في المكان المناسب وعند الشخص المناسب حتى لا تتحول من مظلوم إلى ظالم.**
وإليك هذه القصة علّها تنفعنا جميعاً في تعلم الأدب مع من تربطهم صلة نسب مع أهل البيت عليهم السلام، فكيف إذا كانت الصلة هي صلة محبة ومودة و«المودّة أشبَك الأنساب» كما ورد (الإرشاد، ج١ ص٢٩٨). «تاريخ قم»، للحسن بن محمد القمي قال: «**رويت عن مشايخ قم أن الحسين بن الحسن بن جعفر بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق** عليه السلام **كان بقم يشرب الخمر علانية فقصد يوماً لحاجة باب أحمد بن إسحاق الأشعري وكان وكيلاً في الأوقاف بقم، فلم يأذن له ورجع إلى بيته مهموماً. فتوجه أحمد بن إسحاق إلى الحج فلما بلغ سرّ من رأى استأذن على أبي محمد الحسن العسكري** عليه السلام **فلم يأذن له فبكى أحمد لذلك طويلاً** وتضرّع حتى أذن له. **فلما دخل قال: يا ابن رسول الله لم منعتني الدخول عليك؟ وأنا من شيعتك ومواليك؟ قال** عليه السلام: **لأنك طردت ابن عمنا عن بابك، فبكى أحمد وحلف بالله أنه لم يمنعه من الدخول عليه إلا لأن يتوب من شرب الخمر، قال: صدقتَ ولكن لا بدّ عن إكرامهم واحترامهم، على كل حال، وأن لا تحقرهم ولا تستهين بهم، لانتسابهم إلينا فتكون من الخاسرين.**
فلما رجع أحمد إلى قم أتاه أشرافهم، وكان الحسين معهم فلما رآه أحمد وثب إليه واستقبله وأكرمه وأجلسه في صدر المجلس، فاستغرب الحسين ذلك منه واستبدعه وسأله عن سببه فذكر له ما جرى بينه وبين العسكري عليه السلام في ذلك. فلما سمع ذلك ندم من أفعاله القبيحة، وتاب منها، ورجع إلى بيته وأهرق=

المجلس كله. وإنّ المجالس الحسينية تصيب كل مشارك فيها بسهم باطني وسهم ظاهري على السّواء، فأنتم، فرداً فرداً، تشكلون قطعاً من جسد أهل البيت عليهم السلام[١]، والجميع يفتخر بهذه الخدمة[٢].

إن منكم إلا واردها!

عوداً على بدء، يقول سيّد الشهداء عليه السلام: «الناس عبيد الدنيا». وكما قلنا آنفاً فإنّ مصدر قباحة الدنيا هو عبيدها وليس العكس. وحين ينجح الإنسان في الوصول إلى حقيقة المسائل ويتمكّن من الحصول على المعرفة، يصبح بمقدوره أن يجعل من هذه الدنيا

=الخمور وكسر آلاتها، وصار من الأتقياء المتورعين، والصلحاء المتعبدين، وكان ملازماً للمساجد معتكفاً فيها، حتى أدركه الموت، ودفن قريباً من مزار فاطمة رضي الله عنهما». بحار الأنوار، ج٥٠ ص٣٢٣.

(١) من كلام للإمام الصادق عليه السلام: «المُؤمِنُ أخُو المُؤمِنِ كَالجَسَدِ الواحِدِ، إنِ اشتَكى شَيئاً مِنهُ وَجَدَ ألَمَ ذلِكَ في سائِرِ جَسَدِهِ»، (الكافي، ج٢ ص١٦٦). وعنه عليه السلام: «... فالمؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمه، أبوه النور، وأمه الرحمة»، بصائر الدرجات، الباب ١١ ح٢.

(٢) ورد في الدعاء: «**وحالي بخدمتك سرمداً**»، «**واجمعني بخدمة توصلني إليك**». وإن **أعظم الخدمة هو أن تكون خادماً لسيّد الشهداء** عليه السلام، **راثياً أو باذلاً أو خادماً (بأي نوع من أنواع الخدمة). لكن، عليك أن تحذر من أذية روّاد المنبر الحسيني وأن تتقوّلَ عليهم وتبث الإشاعات عنهم لتُنقص من قدرهم وتُذهب بهاءهم. فهؤلاء من المجاهدين، إذ إن الجهاد مراتب** وقد ورد في الحديث: «**اتقوا أذى المجاهدين في سبيل الله فإن الله يغضب لغضبهم**» (كنز العمال، ج٤ ص٣١٤). **ولذا، عليك بالمبالغة باحترامهم واحترام كل ما ومَن يرتبط بسيّد الشهداء لنسبتهم له** عليه السلام.

مزرعة لآخرته ومقدمةً لدخوله إلى مدينة علم الحقائق. وإلا فما السّبب من وراء إحضارنا إلى هذه الدنيا؟ لا شكّ في أنّ الله عز وجل قد أحضرنا إليها حتى نصعد ونرتقي إلى المراتب العليا.

﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ﴾(١)، تتحدث هذه الآية الكريمة عن جهنم وتبيّن أنه ما من أحد إلا وسيردها. ولكن، لا يعني ذلك أنّ هذا الورود سيتحقّق في وقتٍ لاحق، أي عند حلول يوم القيامة والحساب. فكلمة «وارد» في الآية الكريمة هي صفة، وهذه الصفة واقعة في كل واحد منكم، وبالتالي، فالجميع وارد جهنم. ألا تغضب؟ ألا تفقد أعصابك؟ هذا هو ورود جهنم. ففي كل مرة يستولي عليك الغضب والحسد وفي كل مرة تغلبك الشهوة، ترد جهنم. ولذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ﴾. وهذا الورود لن يكون في وقت لاحق بل في وقتك هذا الذي أنت موجود فيه هنا. وهكذا، فإنّ الورود إلى جهنم مسألة إلزامية قهرية للجميع بسبب الصفات الرذيلة التي تظهر في كل واحد منهم ولو لمرة واحدة فحسب. فإذا فقدتَ أعصابك لمرة واحدة، أو كنتَ عديم الإنصاف لمرة واحدة، أو غلبَت عليك شهوتك لمرة واحدة لا غير، فإنك ترد بذلك جهنم.

---

(١) سورة مريم، آية ٧١. ولمّا سئل بعض أئمتنا عليهم السلام عن عموم الآية المذكورة، قال: «جزناها وهي خامدة»، علم اليقين، ج٢ ص٩٧١.

الفرق بين «الدخول» و«الورود»

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «من بكى أو أبكى أو تباكى على الحسين وجبت له الجنة»(١)، فمن غير الإنصاف أن تكون جهنم قطعيّة وأن يردها الإنسان ولو لمرة واحدة في ذاك الموضع، بينما لا تكون الجنة قطعية في هذا الموضع. وتجدر الإشارة إلى أن للجنة ثمانية أبواب في حين أنّ لجهنم سبعة فقط، فأبواب الجنة أكثر عدداً من أبواب النار، لأنّ رحمة الله سبقت غضبَه، ورحمة الله الواسعة(٢) هي الإمام الحسين عليه السلام.

إذاً، تجب الجنة لكل من يبكي على الحسين عليه السلام وكل من يُبكي الآخرين على مصيبته وكل من لا يبكي ولا يُبكي بل يتباكى عليه فحسب. فهذه الحالات الثلاث تُدخل الإنسان الجنة. ومن العجيب أن كلمة «ورد» و«وارد» تستخدم عند الكلام عن جهنم في حين أنه للكلام عن الجنة تستخدم كلمة «دخل» وليس «ورد». وتعتبر هذه الملاحظة من اللطائف الخاصة بالولاية، من باب المعرفة العرفانية.

إذاً، يقال «ورد» النار و«دخل» الجنة. وإذا حصل في إحدى المرات ورأيتم في الروايات تبديلاً في مواقع الكلمات، بمعنى أنه

(١) أمالي الصدوق، ص١٢٥، مجلس ٢٩؛ البحار، ج٤٤ ص٢٨٨؛ الدمعة الساكبة، م١ ص٣٠٠.

(٢) «اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء»، والإمام الحسين عليه السلام هو رحمة الله الواسعة وباب نجاة الأمة، وإن اشتقاق اسمي الرحمن والرحيم من الرحمة، فافهم.

تم استخدام كلمة «ورد» في باب الجنة، و«دخل» في باب جهنم، فإنما يكون ذلك مرتبطاً بنفس الراوي الذي لم يتمكن من إدراك حقيقة هذه المسألة فبدّل مواقع الكلمات من دون أن يكون ذلك في أصل الرواية التي صدرت عن المعصوم عليه السلام. ولكن، ما علّة استخدام كلمة ورد؟ في الموضع نفسه الذي يهدّد الله تعالى فيه عباده وينذرهم من إيرادهم جهنم بسبب جرائمهم وجناياتهم وكفرهم وزندقتهم، يظهر معنىً غاية في الجمال. فالوارد هو مَن يذهب إلى مكان الماء ليحضر شيئاً منه، ولا تعني هذه الكلمة مَن يدخل إلى منزل أو بيت أو ما شابه ذلك. وهناك فرق في اللغة العربية بين كلمتي «وارد» و«داخل»، حيث تتمتع هذه اللغة بخاصيّة معينة لا توجد في غيرها من اللغات. إنّ «الورود»[1] هو الذهاب إلى المشرعة والمشرب، وقد كانوا في الأيام الغابرة يعمدون إلى إعداد موضعٍ يتخذ شكلاً منحدراً، بحيث يُتاح لهم الذهاب وإحضار الماء من النهر عبر ذلك الموضع، الذي يقال له «مورِد». فالمورد، إذاً، هو المكان الذي يرده الوارد لجلب الماء، فيقف هناك وينحني حتى يتمكن من الوصول إلى مياه النهر الجارية أسفل منه. ولا ضير في هذا السياق من الإشارة إلى معنى الراوي، فالراوي هو الشخص الذي يذهب إلى حيث يوجد الماء ويشرب

---

(١) الورود هو التقدّم إلى الماء في المعجم، فالوارد هو المُتقدِّم إلى الماء، والله تعالى يقول في كتابه الكريم: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ﴾، سورة القصص، الآية ٢٣. أما «الداخل» في المعجم فهو الذي يدخل في مكان فيصير داخله.

منه ثم يقدّمه إلى الغير. أما الفرق بين الوارد والراوي فهو أن الوارد يجلب الماء ولكنه لا يشرب شيئاً منه في حين أنّ الراوي يشرب الماء أولاً ومن ثم يعطيه للآخرين. ومن هنا، نقول إنّ أبا الفضل العباس عليه السلام قد وَرَدَ نهر العلقمي والشريعة، وإنما استخدمنا هذه الكلمة، لأنّ أبي الفضل امتنع عن شرب الماء.

الماء الذي يطفئ نار جهنم

ما نودّ قوله في هذا الصدد أن الله تبارك وتعالى حين أراد لطوفان نوح عليه السلام أن يقع، خاطب نبيّه عليه السلام قائلاً: ﴿إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾[1]. وممّا لا يخفى على أحد أن التنّور هو المكان الذي تشتعل فيه النيران، غير أنّ الطوفان بدأ لحظةَ قذف التنورُ الماء بدلاً من النار. ولكن، ما علّة ذلك؟ يدّلنا هذا الفعل الصادر عن الحق تعالى على الصّفات، فعندما يفقد المرء أعصابه، يُشعل النيران، ولكن حين يندم من بعد ذلك ويتوب، يَحضرُ الماء. وبالتالي، فإن التوبة هي الماء. وحين يورِدُك الله تبارك وتعالى جهنم - التي هي منبع كل نيران عالم الوجود، حيث لا تتعدى نيران الدنيا بأجمعها كونها شرارة واحدة من نيران جهنم - يعطيك هناك ماءً لتُخمِد به تلك النيران. فكيف يحصل ذلك؟ يقول الإمام الصادق عليه السلام إنه إذا ألقِيت في قلب جهنّم قطرةٌ من دموع الباكي على مصاب أبي عبد الله الحسين عليه السلام، حتى وإنْ كانت تلك

(١) سورة هود، آية ٤٠.

الدمعة ضئيلة إلى درجة أنها لا تكفي للجريان على الوجنتين إنما بالكاد تبلّل الرموش، ولا يتعدى وزنها جناح ذبابة(١)، لأطفأت تلك النيران بتمامها(٢)، هذا في حال توفّرت المعرفة بالحسين عليه السلام(٣)، رحمة الله الواسعة(٤). وللإشارة، فإنّ كلام الإمام هو عن كل من يبكي الحسين عليه السلام، و«كل» تعني الجميع من دون استثناء.

إذاً، كيف يمكن لإنسانٍ أن يدخل جهنم ولا يحترق؟ إنّ من

---

(١) قال أبو عبد الله عليه السلام: «وَمَنْ ذُكِرَ الحسين عنده فخرج من عيْنِهِ من الدّموعِ مقْدار جنَاحِ ذباب كَان ثوابه عَلى الله ولم يرْضَ له بدون الجنّة»، وسائل الشيعة، ص٥٠٧.

(٢) عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث طويل: «... ما بكى أحدٌ رحمةً لنا ولِما لقينا إلا رحمه الله قبل أن تخرج الدمعة من عينه، فإذا سالت دموعه على خدّه فلو أن قطرة من دموعه سقطت في جهنّم لأطفأت حرّها حتى لا يوجد لها حرّ...»، وسائل الشيعة، ص ٥٠٨.

(٣) **بشرط معرفة الإمام بمقامه النوراني**، حيث قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**معرفتي بالنورانية معرفة الله عز وجل ومعرفة الله عز وجل معرفتي بالنورانية وهو الدين الخالص**». (بحار الأنوار، ج٢٦ ص١، باب ١٣). وقد سئل الإمام السجاد عليه السلام: يا ابن رسول اللّه بأبي أنت وأمي **فما معرفة الله؟ فقال عليه السلام**: «**معرفة أهل كل زمان إمامهم الذي يجب عليهم طاعته**». (القيادة في الإسلام، ص١٠٤). كما ورد في الزيارة: «أسألك أن تدخلني في جملة العارفين بهم وبحقهم».

(٤) ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله إنّه قال: «إن لله تعالى مائة رحمة، وإنه أنزل منها رحمة واحدة إلى الأرض فقسّمها بين خلقه، فيها يتعاطفون وبها يتراحمون، وأخّر تسعاً وتسعين رحمة لنفسه، بها يرحم عباده يوم القيامة»، روضة المتقين، ج٢ ص٣١٨.

يبكي على الحسين عليه السلام، لا تحرقه نار جهنم. وهذا هو الماء الذي أرادوه في كربلاء، الماء الذي يطفئ قلب نيران جهنم. نعم، لقد كانوا عطاشى ولم يكن لعطشهم حدّ ولكنهم كانوا يبحثون عن هذا الماء(١). وهناك حديث غاية في الجمال يوضح هذه المسألة، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعليّ عليه السلام: حبيبي يا عليّ، لو ذكرتُ فضائلك

---

(١) عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**إن لله تعالى شراباً لأوليائه، إذا شربوا سكِروا، وإذا سكِروا طربوا، وإذا طربوا طابوا، وإذا طابوا ذابوا، وإذا ذابوا خلصوا، وإذا خلصوا طلبوا، وإذا طلبوا وجدوا، وإذا وجدوا وصلوا، وإذا وصلوا اتّصلوا، وإذا اتّصلوا لا فرق بينهم وبين حبيبهم**»، (التحفة السنّية للفيض الكاشاني، ص٨٦). عن محمّد بن سنان، عن الرضا عليه السلام قال: «هبط على الحسين عليه السلام ملك وقد شكا إليه أصحابه العطش، فقال: إنّ اللّه تعالى يقرئك السلام ويقول: هل لك من حاجة؟ فقال الحسين عليه السلام: هو السلام، ومن ربّي السلام، وقال: قد شكا إلي أصحابي - ما هو أعلم به منّي - من العطش. فأوحى اللّه تعالى إلى الملك: قل للحسين عليه السلام خطّ لهم بإصبعك خلف ظهرك يُروَوا. **فخطّ الحسين بإصبعه السبّابة فجري نهر أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، فشرب منه هو وأصحابه. فقال الملك: يا ابن رسول اللّه! تأذن لي أن أشرب منه، فإنّه لكم خاصّة، وهو الرحيق المختوم الذي** ﴿خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ﴾ (سورة المطففين، آية ٢٦) فقال الحسين عليه السلام: إن كنت تحبّ أن تشرب منه فدونك»، (الثاقب في المناقب، ص٣٢٧). وفي رواية أخرى: قال أبو عبد الله عليه السلام: «لمّا مُنع الحسين وأصحابه من الماء نادى فيهم: **مَنْ كانَ ظَمْآنُ [ظَمآناً] فَلْيَجِئْ، فأتاه أصحابه رجلاً رجلاً فجعل إبهامه في راحة [فم] واحد (واحدهم) فلم يزل يشرب الرجل بعد الرجل حتّى ارتووا كلّهم، فقال بعضهم: والله! لقد شربنا شراباً ما شربه أحد من العالمين في دار الدنيا**، ولمّا عزموا على القتال في الغد أقعدهم الحسين عند المغرب رجلاً رجلاً يسمّيهم بأسمائهم وأسماء آبائهم ودعا بمائدة فأطعمهم وأكل معهم، وتلك من طعام الجنّة وسقاهم من شرابها»، مدينة المعاجز، ج٣ ص٤٦٣.

وأخبرتُ الناس بمناقبك، لتبرّك بك الناس وتدافعوا لجمع التراب من تحت نعليك[١] حتى تصل قدماك إلى الماء. يبيّن هذا الحديث أنه كان بالإمكان الوصول إلى الماء في كربلاء، إذ إنّ فضائل أمير المؤمنين عليه السلام ليست ببعيدة عن الحسين عليه السلام. غير أنه ينبغي لهذه المسائل المعنوية أن تجد لها تعيّناً وصوراً ظاهرية وطبيعية، مثلما هو الحال مع جهنم والجنة أيضاً. ولقد أُحرِقت خيم الحسين عليه السلام بالنيران من أجل أن تنهمر هذه الدموع.

البكاء هو حقيقة الجنّة

إذا كان البكاء على الحسين عليه السلام هو حقيقة الجنّة، فهل هذا البكاء يُدخل إلى الجنّة أم أنه يخلقها؟ إنك خالق تلك الدموع التي تخرج من عينيك، وإن البكاء على الحسين يخلق الجنة. سأكتفي بذلك ولن أقول أكثر. فإذا تحمّلتم هذا الكلام أكمِل، وإنْ لم تتحملوه سأتوقف.

هل الله هو خالق الجنة والنار؟ إنّ الباكي على الحسين هو خالق الدمعة التي تخرج من عينه وهو لا يدخل الجنة فحسب إنما يكون شفيعاً فيها كذلك، فالباكون على الحسين وزواره يحظون

(١) قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «يا علي ... لولا أن أخاف أن تقول فيك طائفة من أمتي ما قالته النصارى في عيسى بن مريم لقلت فيك كلمة لا تمر بها على ملأ إلا وأخذوا من تراب نعليك ومن طهورك ما يستشفون به ولكن حسبك أنك مني وأنا منك وأنت أخي وصاحبي»، أعيان الشيعة، ج٢ ص٢٠٦؛ أخلاقيات أمير المؤمنين، ص٥١٥؛ بحار الأنوار، ج٢٥ ص٢٨٤.

بمقام الشفاعة. وإن الله منزّه عن البكاء على مصيبة الحسين عليه السلام، فإذا استطعتم فهم هذا الكلام ستفهمون كل الحقائق.

قلنا إنّ الله منزّه عن البكاء، ولذلك، انتخب الباكين على الحسين عليه السلام ليحلوا مكانه وينوبوا عنه. فأنتَ يا من تبكي على الحسين عليه السلام إنما تبكي بدلاً من الله. وإلا، لمَ تحظى هذه الدمعة بتلك العظمة؟ ولماذا يرتقي البكاء على الحسين إلى تلك الدرجة العالية؟ ولذلك، فإن هذه الدمعة التي تجري من عينك هي الجنة، ولهذا البكاء قيمة كبيرة. فأنت وأنا لسنا بمذنبين، ولكن ماذا نصنع إنْ لم يفهم البشر؟ فحتى تلك الدمعة التي لا تكفي للخروج من العين والجريان على الوجنتين، يقوم الإمام الصادق عليه السلام بجمعها. ولهذا، إذا رأيتَ مَن يدخل إلى مجلس عزاء الحسين ويحمل في يده منديلاً، قم بضربه على يده ليسقط منها المنديل.

إنّ هذا الكلام لهو كلام الجنون لا العشق، فقد مضى العشق وحان الآن دور الجنون. ولا دخل للمحبة بهذا الكلام، ففي المحبة منفعة للمُحبّ. وإنما هذا جنون العاشقين، «حبّ الحسين أجنّني». ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾، إفعلوا فعل الله، فقد قيل إن هذا السلام هو للحسين، وبالتالي فإن كل من يصلي ويسلم على الحسين، يفعل فعل الله.

الدمع المذروف على الحسين عليه السلام ليس كغيره

كل الدموع من دون استثناء مخلوطة بالماء، إلا الدموع التي تُذرف على الحسين عليه السلام، فهي دموع خالصة. ولا تقوم الدموع

المذروفة على الحسين عليه السلام بغَسلك أنتَ فحسب، بل إنها تغسل كل عالم الوجود كذلك. هذا هو الدين الإلهي والنبويّ وهذا هو دين أهل البيت عليهم السلام، فديننا هو دين البكاء وذرْف الدموع على حسينٍ سيّد الشهداء عليه السلام، بيد أننا لا نسعى لمعرفة خاصيّة هذه الدموع وفعلَها الذي تفعله.

يخرج الهمّ والغمّ من قلب كلّ مبتلىً بالمصائب بعد بكائه على الحسين عليه السلام. وهذا إنما هو خاصّ بالبكاء على سيّد الشهداء عليه السلام وحده. وحتى في يوم العاشر من المحرّم، فإنه بعد البكاء، ينتاب الناس شعور بالسّرور، وهذا مُجرّبٌ من قبل الجميع. فالبكاء على الحسين عليه السلام متبوعٌ بالإنبساط والبهجة، لأن هذا الدمع بالذات غير مخلوطٍ بالماء بخلاف سائر الدموع التي تكون خليطاً من الماء والدمع.

عن الإمام الرضا عليه السلام: «يا ابن شبيب، إن كنت باكياً لشيء فابكِ للحسين»[١]، لـمَ تبكي ولأجل مَن؟ إذا أردتَ أن تبكي، فابكِ من أجل الحسين عليه السلام، لأن هذا البكاء يغسلك. وامسح وجهك بهذه الدموع، فهي تمنحك ماء الوجه[٢]، وهذا مجرّب

(١) بحار الأنوار، ج ٤٤ ص٣١٣.

(٢) روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «إذا كان يوم عاشوراء من المحرم تنزل الملائكة من السماء على عدد الباكين في الأرض على أبي عبد الله الحسين ومع كل ملك قارورة بيضاء فيدورون على المحافل والمجالس التي يذكر فيها مصاب الحسين عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام **فيحملون في تلك القوارير جزع الباكين ودموع أعينهم على الحسين** عليه السلام **فإذا كان يوم القيامة ويوم الحشر والندامة**=

أيضاً، فليس ماء وجهنا الذي حُزنا عليه إلا من هذا الطريق. وليشرب المريض وكل باكٍ في مجلس الحسين قطرةً من دموعه بنيّة الشفاء. وحذار أن تقول إنك لست أهلاً لذلك، فإذا فكرتَ بهذه

=**وأتى الباكي على الحسين** عليه السلام **وليس له عمل سوى هذه الدمعة وهذا الجزع على الحسين** عليه السلام فيقف محتاراً في أمره... (فيقول) المولى تعالى: قفوا يا ملائكتي فإن لهذا العبد أمانة عظيمة ودرة ثمينة فاعرضوها على الأنبياء حتى يفرضوا قيمتها ويُعطى ثمنها فيجمع الله الانبياء والأوصياء حتى يقوّموا هذه الدمعة الثمينة بأعظم قيمة. فيأتي آدم أبو البشر فيقال به: **يا آدم قوِّم هذه الأمانة لهذا العبد الفقير الخاطئ الذي لا يملك غيرها فيتقدم آدم ويقول: إلهي أنت الكريم الغفور الرحيم قيمة هذه أن تكفيه العذاب من نار جهنم فيقال له يا آدم قليل ما قوّمتها به** فيأتي الملائكة على نبي الله نوح **فيحضر نوح فيقول: يا إلهي يا كريم يا غفار قيمتها أن تكفي صاحبها شر الحساب وشر العقاب فيأتي النداء: هذا قليل ما قوّمتها يا نوح** فيأتي الملائكة بإبراهيم **ويقول: إلهي أنت القادر على كل شيء وأنت الكريم الذي لا يبخل قيمتها أن تسهل على صاحبها الحساب وتجعله يستظل تحت عرشك وتسكنه فسيح جنتك فيأتي النداء: قليل ما قومتها به يا إبراهيم** وهكذا حتى يعرضوها على جميع الأنبياء والأوصياء فيأتي النداء: قليل ما قومتها به إلى أن يؤتى بها إلى سيد الأنبياء وخاتم النبيين محمد صلى الله عليه وآله فيحضر سيد المرسلين وشفيع الأمة **فيأتي النداء: يا محمّد، قوّم هذه الأمانة لهذا العبد الخاطئ العاصي من أمتك حتى يشتريها الله تعالى منه بأغلى ما يكون من الأثمان فيقول سيدنا محمد** صلى الله عليه وآله **يا رب أسأل وأنت العالم بنطقي إنّ هذا الشيء الذي أمرتني بتقويمه لعبدك الفقير من أين أتاه ومن أين حصل عليه ومن أين اكتسبه؟ فيأتيه النداء قد جلس يوماً مع جماعة يذكرون مصاب ولدك الحسين فتأسّف وتحسر حتى خرجت قطرة من دموع عينه** فحفظتها له الملائكة فصورتها بقوتي وقدرتي وجعلتها له هذه الدرة البيضاء وأمرت ملائكتي أن يحفظونها له فكانت له ذخيرة في هذا اليوم **فإذا سمع رسول الله هذا الكلام يخرّ ساجداً لله تعالى ويقول: يا رب العالمين يا مالك يوم الدين أنت اكرم الأكرمين ورحمتك وسعت كل شيء»**، بحار الأنوار ٤٤/ ٣٤.

الطريقة ستخسر الكثير. إنك جدير بذلك ولائق به، فأنت شخص ذو قيمة كبيرة(١)، ولو لم تكن كذلك لَمَا سمحوا لك بالتواجد في هذا المجلس. «اللهم عرّفني نفسي»(٢) أولاً، إنك تجلس في مجلس الحسين عليه السلام، ولذا، فأنت طاهر، بل وأقول أكثر من ذلك: أنت مُطهّر.

«والدين لعق على ألسنتهم»، إنّ دين البعض ليس إلا على ألسنتهم، فما دينهم سوى دينٌ كلامي(٣) وحسب. وكما تسقط الفاكهة التي تبقى على الشجرة طويلاً من تلقاء نفسها، فكذلك يسقط دين مَن هم غير حسينيين وغير موالين وعاشقين لأهل البيت عليهم السلام ما إن يصلوا إلى مقصدهم من الدنيا. ذلك أن دينهم مُعلّق بألسنتهم وهو دينُ عبادة الدنيا في الأصل. أما مَن يُمسك بالحسين عليه السلام ويتعلق بذيل عباءته، فهو صاحبُ دينٍ بالفعل.

نيّة حضور عزاء الحسين عليه السلام

لا تظنّنّ أن النيّة التي يعقدها مَن يخرج مِن منزله لحضور العزاء هي من عنده، وإنما هي مِنحة منهم، فهم الذين يمنحونه النيّة ويعطونه العزم. بادئ الأمر، يقومون بتطهيرك ومن ثم يرخّصون لك

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تستخفوا بفقراء شيعة عليّ، فإنّ الرجل منهم ليشفع بعدد ربيعة ومضر»، بحار الأنوار، ج٨ ص٥٩.
(٢) قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من عرف نفسه، عرف ربّه»، غرر الحكم: ٧٩٤٦.
(٣) قال أبو عبدالله عليه السلام: «يهلك أصحاب الكلام، وينجو المسلمون، إنَّ المسلمين هم النجباء»، وسائل الشيعة، ج ١١ ص٤٥٧.

نيّة حضور العزاء. وبعد ذلك، فإنه مغفور لك سواء استطعتَ الحضور أم لم تستطع.

كان هناك رجل يعمل كسائق ويقوم بإيصال زوار الحسين عليه السلام إلى كربلاء لقاء أجر معيّن. وفي إحدى المرات، غفا ذلك الرجل ورأى في منامه أنّ أبا الفضل العباس عليه السلام يسجّل أسماء زوار الحسين عليه السلام والحسين واقفٌ بجانبه. فقال له: أخي حبيبي، لم تسجل اسم ذلك الرجل. فأجابه أبو الفضل العباس عليه السلام بأدبه المعهود: سيدي، إنه مسيحيّ ولا يعتقد بهذه المسائل، وإنما أنا أكتب أسماء الزوّار أما هو فليس بزائر. فقال الإمام عليه السلام: حبيبي يا عباس، سجّل اسمه بسرعة، إنه يُحضِر زوّارنا إلينا وقد استكمل عمله الذي يخوّله أن يكون من أهل الجنة.

وفي قصّة أخرى، خرج رجل يقصد زيارة الحسين[1] عليه السلام، إلا أن الشيطان مكر به في وسط الطريق، وابتلي بارتكاب المعصية. فطلب الحسين من أبي الفضل عليهما السلام أن يسجّل اسمه. غير أنّ

(١) عن أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام قال: قلت له: «ما لمن أتى قبر الحسين عليه السلام زائراً عارفاً بحقه غير مستكبر ولا مستنكف؟ قال: يكتب له ألف حجة وألف عمرة مبرورة، وإن كان شقياً كُتب سعيداً، ولم يزل يخوض في رحمة الله عز وجل»، (كامل الزيارات، ص٣٠٧). وعنه عليه السلام: «مَن لم يأتِ قبر الحسين عليه السلام حتى يموت كان منتقص الإيمان، منتقص الدين، إن أدخل الجنة كان دون المؤمنين فيها»، وسائل الشيعة، ج١٤ ص٤٣٠.

العباس عليه السلام أجاب: حبيبي يا أخي إنه مشغول بارتكاب عمل قبيح. فقال الإمام عليه السلام: كانت نيّته(١) حسنة لحظة انطلاقه إلينا.

وأما بالنسبة لأولئك الذين يتمنون الذهاب إلى كربلاء، فإنهم يأتونها قبل الداخلين إليها.

الدين هو الحسين عليه السلام

«والدين لعق على ألسنتهم»، كل دين ليس في طريق الحسين وأهل البيت عليهم السلام ما هو إلا دين كلامي مُعلّق بالألسن. وبالتالي، فإن الإشكالات تحيط بعمل أمثال هؤلاء منذ أنْ كان عملاً خالياً من الإرتباط بالإمام الحسين عليه السلام. وإننا نقول بأن ديننا(٢) هو دين البكاء، فما هو دينكم أنتم؟ دين المال والكذب والشائعات(٣).

(١) من كلام لرسول الله صلى الله عليه وآله: «نية المؤمن خير من عمله»، (بحار الأنوار، ج٦٧ ص١٨٩). ومن حديث لأبي جعفر الباقر عليه السلام: «... فما رأيت من أخيك من شر لفظ أو زنا، أو شيء مما ذكرت من شرب مسكر أو غيره، فليس من جوهريته ولا من إيمانه، إنما هو بمسحة الناصب اجترح هذه السيئات التي ذكرت...»، بحار الأنوار، ج٥ ص٢٤٧.

(٢) «وذلك أنه يحكى: أنّ الإمام الصادق عليه السلام كان عنده رجل من أصحابه، فلما أمسيا وأدّيا الفرائض ثم أكلا الطعام نام ذلك الرجل واشتغل الإمام بالعبادة من الصلاة والتضرع والبكاء والابتهال إلى الله تعالى إلى أن طلع الفجر... **فلما أصبحا قال ذلك الرجل: والله آيست من النجاة ولا أرجوها أبداً... فقال الإمام عليه السلام: إنك عملت البارحة عملاً يساوي فضله فضل ما اشتغلت به من العبادة والبكاء إلى الفجر... إنك لما نمت غلب عليك العطش في أثناء النوم، فقمت وأخذت الكوز وشربت الماء فذكرت عطش الحسين عليه السلام وصليت عليه ولعنت قاتله ثم رجعت إلى مضجعك ونمت**»، إكسير العبادات في أسرار الشهادات، ج١ ص٢٥٤.

(٣) «لا تنظروا إلى طول ركوع الرجل وسجوده، فإن ذلك شيء اعتاده، فلو تركه=

أتدرون ما الذي قتل الأئمة وزاد من المصاعب عليهم؟ إنها الشائعات، «اللهم العن أول ظالم ظلم حق محمّد وآل محمّد وآخر تابع له على ذلك». فأولئك بالشائعات التي أطلقوها، قتلوا أحفاد الرسول ﷺ، وإنّ كل من ينقل شائعة أو يُكمل في نقل كلام قد يؤذي أهل البيت وشيعتهم ليس إلا جزءاً من أولئك الذين قتلوا أهل البيت وجزءاً من آخر تابع له على ذلك. إنتبهوا من الشائعات، فهي منتشرة بيننا حتى في المجالس، وإنْ خلا مجلس أحدهم من الحضور، فتأكدوا من أنه تم تلفيق الإشاعات له.

وصيّة الحسن لابنه القاسم عليهما السلام

لقد حضر مولانا القاسم بن الحسن عليهما السلام جنازة أبيه المجتبى. وكان للإمام الحسن عليه السلام أبناء كثر إلا أنه اختار القاسم عليه السلام من بين الجميع، ليتحدث إليه ويطلعه على أسراره قبل رحيله. والسّبب في ذلك أن القاسم كان كربلائياً تفوح منه رائحة كربلاء، وكان الإمام الحسن عليه السلام يعلم بما سيؤول إليه مصيره. خاطب الإمام الحسن عليه السلام ابنه القاسم بالقول: بُنيْ قاسم، كتبتُ لك وصيّة، ولكنْ ليس لك الحقّ في فتحها الآن. احفظها جيداً واربطها حول زندك واجعلها معك دائماً، فإذا «زاغ عليك الأمر، فافتحها وانظر

=استوحش لذلك، ولكن انظروا إلى صدق حديثه وأداء أمانته». (أصول الكافي، ج٢، ص١٠٥). والأمانة هي الولاية، ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾، سورة الأحزاب، آية ٧٢.

إليها» قد عيّنتُ لك فيها طريق الحل. وبعد شهادة الإمام المجتبى عليه السلام، لم يأتِ وقت على القاسم شعر فيه بالقلق والحزن أو واجه مشكلة ضيّقت عليه صدره إلى أن وصل إلى كربلاء. وحينذاك، رأى القاسم عمّه وحيداً فريداً غريباً والأعداء مجتمعون عليه من كل جانب. فأصابه غمّ العالم كله، وفي هذه اللحظة، تذكّر وصيّة أبيه. فنزع الوصية من زنده وفتحها واطلع على المكتوب فيها، وهو كالتالي: «بني قاسم، إذا رأيت عمّك وحيداً فريداً فانصره بمهجتك». والمهجة هي دماء القلب، فهذه هي الدماء التي ينبغي بذلها عند قدم الحسين عليه السلام. أمسَكَ القاسم بالوصيّة وجاء بها عند عمّه قائلاً: لم يعد لديّ طاقة على الاحتمال، ولم أعد أطيق رؤية الأعداء يحملون عليك فيما أنت وحيد. أجابه الحسين عليه السلام: يا عزيز أخي، أنتَ ما بقي لي منه، ثمّ إنك لا تزال عريساً، فلم يمضِ على زواجك وقتٌ طويل. عندها، فتح القاسم وصيّة أبيه وقدمها إلى عمّه الحسين عليه السلام وما إن وقعت عينا الحسين عليه السلام على خطّ أخيه الحسن عليه السلام حتى راح يبكي واحتضن القاسم بين ذراعيه. وقال له: إذا كان الحال كذلك، فاذهب يا حبيبي. ستموتُ ولكنك ستُبتلى ببلاءٍ حسن.

الهمّ والغمّ لا يصيبان زوار كربلاء

إنّ ما ذكره الإمام عليه السلام عن البلاء حين وطأ أرض كربلاء[1] كان

(١) ورد أنّ «**كربلاء هي أرض الحشر**»، (رؤى حول الأسرار الحسينية،=

=ص١٤١)، كما قال الإمام الحسين عليه السلام حين وصل إلى تلك الأرض: «**ههنا محشرنا ومنشرنا**»، (إثبات الهداة، ج٥ ص٢٠٢). هذا وقد ورد عنه عليه السلام أنه قال: «**لأن أُدفن بشاطئ الفرات أحبّ إليّ من أن أُدفن بفناء الكعبة**»، (كامل الزيارات، ب٢٣؛ بحار الأنوار، ج٤١ ص٨٦). وعن أبي عبدالله القزويني قال: سألت أبا جعفر عليه السلام فقلت: «**لأيّ علة يولد الإنسان هاهنا ويموت في موضع آخر؟ قال: لأن الله تبارك وتعالى لما خلق خلقه خلقهم من أديم الأرض، فمرجع كل إنسان إلى تربته**»، (علل الشرائع، ج٢ ص٢٩٠- ٢٩١)، **ما يعني أن الإنسان لا يُدفَن إلا في المكان الذي أخذت تربته منه .وبناء عليه، قد يقول قائل: إذا كان هذا قول الإمام** عليه السلام، **معنى ذلك أن الشيخين لعنهما الله قد خُلقا من نفس التربة التي خُلق منها النبيّ** صلى الله عليه وآله. ولكننا إذا رجعنا إلى الروايات التي تتحدث عن دفن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام للرسول صلى الله عليه وآله، نستنبط منها أن أكثر الناس كانوا منشغلين في سقيفة بني ساعدة ولم يكونوا حاضرين حتى يعرفوا واقعاً أين دُفِن الرسول صلى الله عليه وآله، إذ يقول الشيخ المفيد رحمه الله: «**ولم يحضر دفن رسول الله** صلى الله عليه وآله **أكثر الناس، لما جرى بين المهاجرين والأنصار من التشاجر في أمر الخلافة، وفات أكثرهم الصلاة عليه لذلك**» (الإرشاد للمفيد، ج١ ص١٨٨) **.ويختلف السّنّة والشيعة على مكان دفن الرسول** صلى الله عليه وآله، **فالسّنة يقولون إنه دفن في بيت عائشة لعنها الله والشيعة يقولون إنه دفن في بيت فاطمة** عليها السلام، **ولكن لا سند روائي واضح لكلا الفريقين**. وهنا يطرح السؤال نفسه: **هل عندما سئل الإمام عليّ عن مكان دفن رسول الله** عليهما السلام، **أجاب بصريح الكلام أم تقيةً؟ إذ إنه حين كان يُسأَل عن المكان الذي دفن فيه الصديقة الطاهرة** عليها السلام، **كان تارةً يجيب بأنه دفنها في البقيع وتارةً أخرى يقول إنه دفنها في بيتها، كما تذكر الروايات بأنه قام بحفر أربعين قبراً في البقيع بغية إخفاء قبرها الحقيقي. وباتباع الأسلوب نفسه، أمر عليٌّ عليه السلام أولاده، قبيل استشهاده، بأن يجعلوا له ثلاث جنائز لدى دفنه وبقي قبره مخفياً فترة من الزمن. فالعقل يستنبط من هذه الوقائع أنّ أمير المؤمنين** عليه السلام، **ولسابق علمه بأنّ الشيخين لعنهما الله سيُدفنان بجانب النبي** صلى الله عليه وآله، **أوهَم الناس بأنه دفنه في المكان المعروف الآن، وكلّمهم بحسب عقولهم وأحلامهم. وما يُدرينا أن لا=**

عن البلاء الحسن، وحول هذا البلاء كلام كثير. فلحظةَ دخل الحسين عليه السلام إلى كربلاء، سأل عن اسم الأرض فقالوا له نينوى والغاضرية وشاطئ الفرات، وحين أخبروه بأن اسمها كربلاء،

=يكون عليه السلام قد دفن فاطمة والمحسن عليهما السلام بجانب الرسول صلى الله عليه وآله. وربما يكون قد دفنهم في القبر نفسه، لأن الرواية تقول بأنه حين أدرجها في قبرها، خرجت يدان من التراب لاستلام بدنها الطاهر وكانتا يدي رسول الله صلى الله عليه وآله. وإذا قيل إنّ التربة التي خُلق منها الرسول وفاطمة عليهما السلام تبقى هي ذاتها التربة التي خُلق منها الأول والثاني لعنهما الله، فإنّ الآية الكريمة التالية هي خير جواب على هذا الكلام: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾، (سورة الحديد، آية ١٣). ومع كل ذلك، هناك حقيقة أخرى تكشف عنها هاتان الروايتان: «روى حسين بن حمدان الخصيبي عن هارون بن سعيد، قال: سمعت أمير المؤمنين يقول لعمر (بن الخطاب)...: إذا خرجت جيفتكما عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قبريكما **اللذين لم ترقدا فيهما نهاراً ولا ليلاً لئلا يشكّ أحد فيكما إذ نبشتما**، ولو دفنتما بين المسلمين لشكّ شاك، وارتاب مرتاب»، (الهداية الكبرى، ص١٣٨، ١٣٩). كما روى الشيخ الطوسي بسنده عن أبي بصير قال: «حججتُ مع أبي عبد الله عليه السلام حتى إذا زار قبر جدّه صلى الله عليه وآله بالمدينة وزُرنا معه؛ فقال له رجل من بني يقظان: **يا ابن رسول الله، إنهم يزعمون أنهم يزورون أبا بكر وعمر في هذه القبّة! فقال** عليه السلام: **مه يا أخا يقظان، إنهم كذبوا! فوالله لو نُبش قبرهما لوُجد في مكانهما سلمان وأبو ذر، فوالله إنهما أحق بهذا الموضع من غيرهما.** قال أبو بصير: فقلت: يا ابن رسول الله، كيف يكون انتقال الميت ووضع آخر مكانه؟ فقال عليه السلام: يا أبا محمد، **إن الله عزّ وجلّ خلق سبعين ألف ملك يُقال لهم النقّالة، ينتشرون في مشارق الأرض ومغاربها، فيأخذون أموات العباد ويدفنون كلّاً منهم مكاناً يستحقه**، وأنهم يسلبون جسد الميت عن نعشه ويضعون آخر مكانه من حيث لا يدرون ولا يشعرون، وما ذلك ببعيد وما الله بظلام للعبيد»، (نفس الرحمن في فضائل سلمان، للميرزا النوري، ص٦٣٦).

قال: «أعوذ بالله من كرب وبلاء» وكأنه بذلك ضرب بسيفه هذه الكلمة وقَسَمَها نصفين، فوضع «كرب» في جانب و«بلاء» في الجانب آخر. ولذلك، فإن كل من يدخل إلى كربلاء لا يكون مكروباً. قد يبكي بكل وجوده وقد تمرّ كل حوادث كربلاء أمام ناظريه ولكنه يكون سعيداً. والحسين عليه السلام هو الذي جعل الحال كذلك لكي لا يرى محبّوه وزوّاره الغمّ(١) هناك ولا يصابوا بأيّ بلاء على الإطلاق. فكلّ مَن ذهب إلى كربلاء وعاش هناك يعرف أن البلاء لا يصيبه، حيث تنتشر البلاءات في الكثير من الأماكن ولكنّها لا تصل إلى كربلاء مطلقاً، وإنما يعود ذلك إلى أن الحسين عليه السلام قطع كربلاء إلى نصفين. فلا يجد الكرب والبلاء طريقاً إلى إنسانٍ هناك أبداً. وبالتالي، فإن كل سعداء العالم وأصحاب البهجة فيه هم بكربلاء. وقد يصل الحال بالإنسان إلى

(١) روي أن الإمام الصادق عليه السلام كان إذا هلّ هلال عاشوراء اشتد حزنه وعظم بكاؤه على مصاب جده الحسين عليه السلام والناس يأتون إليه من كل جانب ومكان يعزونه بالحسين ويبكون وينوحون على مصاب الحسين عليه السلام فإذا فرغوا من البكاء يقول لهم: «**أيها الناس اعلموا أن الحسين حي عند ربه يرزق من حيث يشاء وهو دائماً ينظر إلى موضع عسكره ومصرعه ومن حل من الشهداء وينظر إلى زواره والباكين عليه والمقيمين العزاء عليه وهو أعرف بهم وبأسمائهم وأسماء آبائهم وبدرجاتهم ومنازلهم في الجنة وإنه ليرى من يبكي عليه فيستغفر له** ويسأل جده وأباه وأمه وأخاه أن يستغفروا للباكين على مصابه والمقيمين عزاءه **ويقول لو يعلم زائري والباكي علي ما له من أجر عند الله تعالى لكان فرحه أكثر من جزعه** وأن زائري والباكي علي لينقلب إلى أهله مسروراً وما يقوم من مجلسه إلا وما عليه ذنب وصار كيوم ولدته أمه»، المنتخب ص**٣٩**.

أن يقول: يا إلهي، ما الذنب الذي ارتكبته حتى جفّت دموع عيناي؟ فبكاء الإنسان هناك إنْ حصل، لا يكون إلا بسبب عادته التي اعتاد عليها.

إنّ تلك الأرض هي «كَرَبّ»، الكاف كافُ التشبيه والربّ يتجلى هناك. وليس في تلك الأرض بَلاء بل «بِلا» فالباء هي حرف زائد والـ«لا» لنفي كل الوجود. ولو لم يكن لدينا الإجازة بتقطيع هذه الكلمة، لما قام الحسين عليه السلام نفسه بذلك حين تلفّظ بها بطريقة مقطّعة(١). فتلك الـ«لا» هي التي رسمت عبارة «لا إله إلا الله»، هذه العبارة التي أتت من ذلك المكان. وثمّة شاعر تركي يقول بيتاً من الشعر يتمّم كلامي هذا ومفاده أنه حين كان الحسين عليه السلام يقع في يوم عاشوراء على رمال كربلاء الحارّة، كان يحمل بإحدى يديه سيفاً وبيده الأخرى رمحاً فيتّكئ عليهما لينهض ويعاود القتال. وأثناء نهوضه عليه السلام، كان ظلّ وجوده المقدس ينقش كلمة «الله»، فدماؤه التي سقطت هناك هي دماء «ثار الله».

لا ينزل البلاء على كربلاء ولا على الأماكن التي تفوح منها رائحتها. فمجالس العزاء هذه تقي من بلاءات جمّة، ولولا هذه المجالس وبكاء الناس فيها على الحسين عليه السلام، لوَقَع ما لا يعلمه إلا الله.

(١) قال عليه السلام: «اللهم إني أعوذ بك من الكرب والبلاء، ها هنا مناخ ركابنا، ومحط رحالنا، ومسفك دمائنا ومذبح أطفالنا، فيها يراق دمي، وفيها تُرى حرمي حواسراً عليهن من ثوب الذل سربال، وفيها تقتل أبطالي وتذبح وتستعبد الأحرار أرذال»، بحار الأنوار، ج٤٤ ص١٨٣.

بالعودة إلى قضيّة القاسم بن الحسن عليهما السلام، سأل الحسين عليه السلام ابن أخيه حين استأذنه بالنزول إلى الميدان: يا عزيزي ونور عيني، هل أخذت الإذن من والدتك للنزول؟ فقال: سيدي، إن والدتي هي التي قدّمت لي هذا السيف وألبستني هذا القميص كفناً لي. ونظراً لصغر قامته، كان سيفه وثوبه يجرّان خلفه على الأرض. وقد كان على عجلة من أمره لاحتضان الموت دفاعاً عن إمامه وحجة الله إلى درجة أنه نسي أن يوثق رباط نعله. فأتى وودّع الحسين عليه السلام الذي رفع يديه بالدعاء له ثم نزل إلى الميدان. ولكن سرعان ما ذهب الحسين عليه السلام للدفاع عن يتيم أخيه. وذلك هو البلاء الحسن، فالبلاء في طريق الحسين عليه السلام وعشقه لا يكون إلا حسناً[1].

يا حسين

---

(١) البلاء للولاء، ﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا﴾، سورة الأنفال، آية ١٧.

عبدالله

النفحة السادسة

نيل الولاية من قناة أبي الفضل عليه السلام

هذه الليلة هي ليلة أبي الفضل العباس قمر بني هاشم عليه السلام وقد قال الإمام الصادق عليه السلام فيه: رحم الله عمّنا العباس، كان «نافذ البصيرة، صلب الإيمان»[1] لا تأخذه في الله لومة لائم[2]. وبصرف

(١) قال الإمام الصادق عليه السلام: «كان عمّنا العبّاس نافذ البصيرة، صلب الإيمان، جاهد مع أبي عبد الله عليه السلام وأبلى بلاءً حسناً ومضى شهيداً»، عمدة الطالب، ص٣٥٦.

(٢) صعد أبو الفضل العباس عليه السلام إلى ظهر الكعبة يوم التروية عام ٦٠ للهجرة وذلك قبل خروج الإمام الحسين عليه السلام من مكة وتوجّهه إلى كربلاء فخطب في الناس ومما قاله: » **الحمدلله الذي شرّف هذا (وأشار بيده إلى بيت الله) بقدوم أبيه (أشار إلى الإمام الحسين عليه السلام) من كان بالأمس بيتاً أصبح قبلة. أيها الكفرة الفجرة! أتصدّون طريق البيت لإمام البررة، من هو أحق به من سائر البرية؟ من هو أدنى به؟ ولولا حِكَم الله الجلية وأسراره العلية واختباره البريّة لطار البيت إليه قبل أن يمشي لديه. قد استلم الناس الحجر والحجر يستلم يديه ولو لم تكن مشيّة مولاي مجبولة من مشية الرحمن، لوقعتُ عليكم كالصقر الغضبان على عصافير الطيران، أتخوّفون قوماً يلعبون بالموت في طفولتهم فكيف الحال في=**

النظر عن البحث المرتبط به عليه السلام، أقول إنّ هناك نوعاً من الجفاء والتقصير في الولاء له. فأبو الفضل العباس عليه السلام له حق مُسَلّم في عنق كل أهل الولاية. وأنقل هذا الكلام عن رجل جليل كان من أهل النظر في ما يتعلق بهذا الباب، وهو المرحوم السيّد الزنجاني الذي كان من زمرة العاشقين والواصلين في ما يرتبط بباب الولاية. ومفاد كلام هذا السيّد الجليل أنه ما خلا الأربعة عشر معصوماً عليهم السلام، فإن كل وليّ تمكّن -منذ ابتداء الخلق حتى انتهائه- من الوصول إلى أحد المناصب الولائية، إنما تمكّن من ذلك عن طريق قناة أبي الفضل العباس عليه السلام. كما قال ذلك الرجل الكبير نفسه إنه أمضى أربع عشرة سنة من حياته واقفاً على عتبة ذلك العظيم، في الليل والنهار والشتاء والصيف، حتى فَتح أمامه الباب وتفضّل عليه بتعريفه نفسه. ولهذا نؤكّد أنّ لأبي الفضل العباس عليه السلام حقّ في أعناق أهل الولاية.

=رجوليتهم ولفديتُ بالهامات لسيّد البريات دون الحيوانات. هيهات! فانظروا ثم انظروا فيمن شارب الخمر ومن صاحب الحوض والكوثر؟ وفيمن في بيته الغواني السكران ومن في بيته الوحي والقرآن؟ وفيمن في بيته اللهوات والدنسات ومن في بيته التطهير والآيات؟ هيهات وأنتم قد وقعتم في الغلطة التي قد وقعت فيها قريش لأنهم أرادوا قتل رسول الله صلى الله عليه وآله وأنتم تريدون قتل ابن بنت نبيّكم، ولم يمكن لهم ذلك ما دام أمير المؤمنين عليه السلام حيّاً وكيف يمكن لكم قتل أبي عبد الله الحسين عليه السلام ما دمت حياً سليلاً؟ تعالوا أخبركم بسبيله، بادِوا قتلي واضربوا عنقي ليحصل مرادكم لا بلغ الله مداكم وبدّد أعماركم وأولادكم ولعنة الله عليكم وعلى أجدادكم»، كتاب خطيب الكعبة، علي أصغر يونسيان، ج١ ص٤٥.

يتمحور حديثنا حول هذا البعد نفسه، فمن هم أهل الولاية ومن يكونون؟ وما هي هذه الولاية؟ إنّه إذا أُريدَ للولاية أن تكون من نصيب أحد، فلن يتمّ ذلك إلا من قناة أبي الفضل. وإنْ أراد المرء أن يكون من عداد أهل هذه الولاية، عليه أولاً أن يتعرّف على هذه القناة.

وإنّ قوة الولاية في الأزمنة المختلفة هي المحرّك لدولاب عالم الوجود، تكويناً وتشريعاً وتثبيتاً وتحكيماً. فالولاية هي أساس التوحيد، وفي حال غياب رأس المال هذا من وجود الإنسان، سيبقى خارج نطاق التوحيد. وبالتالي، فالولاية هي أساسٌ إنْ لم يمتلكه الإنسان، لن يتمكن من الوصول إلى أية حقيقة. والأولياء أناسٌ حصلوا على هذه الموهبة، فكانت شهادتهم الرسميّة التي نالوها ممهورة بختم أبي الفضل العباس عليه السلام. فلماذا نغفل عن هذا الأمر[١]؟ ذلك لأننا لسنا من تلك الزمرة، إذ إنّ من يدخل فيها تطرأ عليه تغييرات في باطنه وداخله وقلبه وروحه، ووليّ نعمة أهل الولاية جميعهم هو أبو الفضل العباس عليه السلام.

بمن تجلى الأنس والبأس بكربلاء؟

لقد كان العباس عليه السلام هو المُعتمَد الخاص لآل الله في كربلاء. وكانت آمال أهل الحرم معلّقة على فردَيْن اثنين في ذلك الوقت. ففي عالم المسرّة والأنس والأمل، كانت عيون جميع أهل الحرم

(١) ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾، سورة ق، آية ٢٢.

وغيرهم ممّن تواجد هناك، ومن بينهم الإمام الحسين عليه السلام نفسه، منجذبة إلى عليّ الأكبر عليه السلام[(١)]، إذ كان هو أنيسهم. فعندما كانت تلك النظرات الصادرة عن العيون الإلهية للإمام الحسين عليه السلام تقع على تلك الحقيقة، كانت تنال الأنس، حالها كحال كل أهل كربلاء. وبالتالي، كان الظهور الولائي للأنس في عهدة عليّ الأكبر عليه السلام. أما في عالم القتال وخوض المعارك، فكانت الآمال تتوجّه صوب أبي الفضل العباس عليه السلام[(٢)]. وكما هو الحال في ما

(١) «فلما تجلى وجه طلعته من أفق العقاب واستولت يده وقدمه على العنان والركاب، خرجن (خرجت) النسوة وأحدقن به، فأخذت عماته وأخواته بعنانه وركابه ومنعنه من العزيمة، **فعند ذلك تغير حال الحسين** عليه السلام، **بحيث أشرف على الموت وصاح بنسائه وعياله دعْنَه فإنه ممسوس في الله ومقتول في سبيل الله ثم أخذه بيده وأخرجه من بينهنّ فنظر إليه نظر آيس منه.** (معالي السبطين، ج١ ص٢٥٤). كما قال النبي الأعظم بحق أمير المؤمنين صلى الله عليهما وآلهما وسلم: «**علي ممسوس بذات الله**»، حلية الأولياء، ج١ ص٦٨.

(٢) «عندما جيء بسبايا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى الشام وقُدّمت الرؤوس إلى يزيد لعنه الله، قال: أكتبوا مع كل شخص رقعة فيها اسم صاحبها، ففعلوا وعرضوها عليه بهذه الصورة، فلما نظر إليها قال: خذوا هذه الرؤوس إلا أربعة، وهي: رأس الحسين ورأس العباس ورأس علي الأكبر ورأس القاسم عليهم السلام، فوضع الرؤوس الأربعة أمامه ثم أطال بالنظر إليها، فأخذ رأس العباس عليه السلام ووضعه في حجره وأخذ يدقق النظر إليه، ثم التفت إلى القوّاد والرؤساء من جيشه، قائلاً: هذا رأس العباس بن علي حامل لواء نزار؟ قالوا: نعم...قال: أين اللواء؟ علي به، فلما جاؤوا إليه باللواء، نظر إليه فوجده مخرّقاً ممزّقاً من ضرب السيوف وطعن الرّماح، ولم يسلم منه إلا مقبضه... فقام وجلس متهوّلاً متعجباً قائلاً: أبيتَ اللعن يا عباس، ثم سأل القوم وقال: كيف استطعتم أن تنتصروا وفيهم هذا البطل المغوار؟ فأجابه الشمر لعنه الله قائلاً: يا أمير، =

=جئناهم بخيلنا ورجالنا وهم في خيامهم مع نسائهم وأطفالهم، فخرجوا إلينا فما كان إلا كحلبة شاة فأتينا عليهم جميعاً، ثم التفت إلى شبث بن ربعي لعنه الله قائلاً: وأنت ما تقول؟ فقال شبث بن ربعي: يا أمير المؤمنين، أتيناهم وهم جالسون مع نسائهم وأطفالهم فحاصرناهم فخرجوا إلينا فحملنا عليهم زحفاً فقتلناهم فما كانوا عندنا إلا كأكلة آكل. ثم التفت إلى سنان بن أنس لعنه الله قائلاً: وأنت ما تقول؟ قال: يا أمير المؤمنين، دقّت طبول الحرب وسارت الرايات فأتينا إليهم وهم في بيوتهم فحاصرناهم فخرجوا إلينا، فما كانوا إلا كشربة شارب فقتلناهم برمّتهم. ثم التفت إلى حجار بن أبجر لعنه الله قال: ما تقول أنت؟ قال: يا أمير المؤمنين، سِرنا إليهم بخيلٍ ورجال فحاصرناهم فخرجوا إلينا، فحملنا عليهم زحفاً فقتلناهم فما كانوا إلا كحلبة شاة. ثم التفت إلى ربيع بن زياد الغطفاني فقال: ما تقول أنت؟ فقال: قولي كقول أصحابي، قال: قل ولا تخف، **قال: تريد مني الصدق أم الكذب؟ قال: ويحك، ما حاجتنا إلى الكذب، قل الصدق، قال: الصدق يا أمير، هو: لقد خرج علينا بنو هاشم، على خيلٍ جرد مرد، ما كنا نحتسبهم رجالاً بل كنا نراهم صواعق، نزلت علينا من السماء، خرجوا علينا بسيوف مسلطة ورماح مشرعة فغبروا في وجوهنا ففرقوا جمعنا وشتتوا شملنا وهزموا أبطالنا وملأوا الأرض بدمائنا وفيهم هذا البطل الذي رأسه بين يديك - مشيراً إلى العباس عليه السلام - كان إذا حمل على الميمنة فرّقها تفريقاً وإذا حمل على الميسرة، مزّقها تمزيقاً، وإذا حمل على القلب، خلط أوّله بآخره، والله لو لم ينزل القضاء من ربّ السماء، لما أبقى منّا واحداً... قال: صدقتَ ولك الجائزة ثم طرد الباقين، وكانت زينب عليها السلام جالسة، فلما سمعت مدح أخيها على ألسنة أعدائه ولواؤه ورأسه نصب عينيها، قامت وأمَرت النساء الهاشميات بالقيام إجلالاً لكفيلها وتقديراً لشجاعته، ثم تدانت قليلاً نحو الجلساء وصاحت: عمَه، عليّ، بأرفع صوتها، فارتجّ المجلس، التفت يزيد إلى الإمام السجاد قائلاً: من هذه المرأة؟ قال: هذه عمتي زينب، قال: إذهب إليها وقل لها: ما تريد، أقبل الإمام إلى عمّته وقال لها: عمّه، ماذا تريدين؟ قالت: عمّه، قل ليزيد: إني أريد لواء أخي العباس حتى أقبّل موضع كفّه من اللواء، فأخبر الإمام يزيداً، فقال: أقدّمه=**

يتعلق بالكلام حول حضرة عليّ الأكبر عليه السلام[١]، الذي يفيض بالدلائل والاستدلالات الباطنية، فكذلك هو الحال عند الكلام عن أبي الفضل العباس عليه السلام.

لم يكن الحسين عليه السلام وليّاً مطلقاً فحسب، بل كان هو مكوّن الولاية. فما الذي رآه سيّد الشهداء عليه السلام في الوجود المقدس لأخيه العباس؟ وإلى أية ناحية في شخصيّته نظر؟ وإلى أيّ مورد من موارد وجوده المعنوي التفت؟ حتى قال: الآن، انكسر ظهري وقلّت حيلتي وشمِت بي عدوي. لقد أعطاه كل وجوده وهكذا حصل مع عليّ الأكبر عليه السلام، حيث قام مكوّن الولاية ومانحها، في تلك اللحظات الأخيرة، بنقل الولاية الكلية والمطلقة إلى حضرة عليّ الأكبر عليه السلام.

إياب الولاية الكلية إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

تجدر الإشارة إلى أن كل من يمتلك الولاية الكلية والمطلقة يرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كأمير المؤمنين عليه السلام[٢] الذي حلَّق في

=إليها. ثمّ قدّمه اللعين إليها، فأخذت اللواء بيدها ثم انحنت على موضع كفّ أخيها تقبّله وهي تارة تخاطب اللواء وأخرى تخاطب الرأس الشريف...»، الطريق إلى منبر الحسين لنيل سعادة الدارين، ص٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥.

(١) يظهر في إحدى الزيارات أنّ لعلي الأكبر عليه السلام ذرية وأولاد، «عن الإمام الصادق عليه السلام قال في زيارة علي بن الحسين عليه السلام المقتول بالطفّ: صلى الله عليك وعلى عترتك وأهل بيتك وأبناءك (أبنائك)». المصباح الزاهر في الحسين الطاهر، ص٤٣٦.

(٢) لأنّ محمداً هو علة عليّ عليه السلام فرجوعه إليه في عالم المادة.

فضاء الوجود اللانهائي للنبي الأعظم ﷺ، حيث آل مآل وجوده، وحيث تلقف رسول الله ﷺ ما انبغى تلقفه عند ذلك الإنتقال. ففي آخر لحظات حياته الشريفة، حقق أمير المؤمنين عليه السلام الإنتقال من هذا العالم إلى ذلك العالم المجهول بالنسبة إلينا، وما الموت والشهادة سوى اسمان له ليس إلا. وحصل الأمر نفسه مع عليّ الأكبر عليه السلام، حيث كانت واقعة كربلاء مجرد فعل وانفعال.

إذاً، يعود كل من يمتلك الولاية الكلية والمطلقة إلى رسول الله ﷺ، فيما يعود ويرجع بقية الخلق بأجمعهم ومن دون استثناء عند الممات إلى أمير المؤمنين عليه السلام. ففي باب المعرفة، أخذ أمير المؤمنين عليه السلام بيد الحارث الهمداني ورفعه إلى مقام عالٍ وبيّن له قائلاً: «يا حار همدان، من يمت يرني من مؤمن أو منافق قبلاً»[(١)]. لا تتصوروا أبداً أن المحبّين وحدهم هم مَن يرجع إليه، ففي ساعة الموت، الكل يرجع إليه حتى المنافق. ولا تتخيلوا أن وجود أمير المؤمنين عليه السلام[(٢)] محدود وضيّق بحيث أننا وحدَنا مَن

(١) شرح النهج، ج٤ ص٣٠٩.

(٢) يقول صاحب الزمان عجل الله فرجه: «نحن صنايع ربنا والخلق بعد صنايعنا» (الاحتجاج، ج٢ ص٢٧٨)، وأنتم ترون بأعينكم وتسمعون بآذانكم، إذا جلستم - قبالة التلفاز- الأخبارَ والصور، من أقصى البلدان، وترون ما يحدث في كل العالم، وهذا من اختراع البشر، فكيف باختراع الله وصنعه! وهو الذي أتقن كل شيء، فهو القادر الذي خلق مخلوقاً يُظهر به العجائب ويهزم به الأحزاب ويفلق به الكتائب ويجمع ويحصي فيه كل شيء، إذ قال تبارك وتعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾، (سورة يس، آية ١٢). وفي الحديث: «نادِ علياً مُظهر العجائب».

نرجع إليه، بل إنه يمتلك وجوداً واسعاً يمكّنه من حمل الوجود أجمع. ولهذا، قال حضرة عليّ الأكبر لأبيه عليه السلام: سلمت يداك يا أبي، فقد أوصَلتني إلى مقصدي، وبلغتُ المكان الذي أسعى للوصول إليه، بعد أن فعلتَ ما كان ينبغي فعله، «يا أبتاه، هذا جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد سقاني بكأسه الأوفى». وقد أصبح معلوماً ما هو ذلك الماء[1]، إذ إنه حصل على الولاية الكلية والمطلقة،

(١) ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ (سورة الأنبياء، آية ٣٠)، **إن الماء هو أصل كل شيء وأساسه**. ولكن أي ماء هو هذا؟ إن الإنسان يموت إذا لم يشرب الماء، كما يموت الشجر إذا لم يصل الماء إليه، وكذلك الأمر بالنسبة إلى الحيوان. ولكن ثمة أماكن لا يصلها الماء أصلاً في حين أن عبارة «كل شيء» تشمل الشمس والقمر والسماوات والجبال والجنة والنار وما إلى ذلك. فهل تموت الجنة إذا لم يصلها ماء؟ وهل تموت النار إذا لم يصلها ماء؟ **في حقيقة الأمر أن الماء هو تنزّل ولاية محمد وآل محمد** عليهم السلام، **ومنه جُعل كل شيء حيّاً، ولكن له ظهور في كل عالم ومرتبة، كلٌ بحسبه.**

لطيفة ولائية: إنه الماء الذي احتاجه الأصحاب في كربلاء. فهناك، كان الإمام يطلب الماء لكل عالم الوجود وبالخصوص للإنسان، وذلك حتى يجعله حيّاً بحياته. ومن هنا، **إرتبطت كربلاء بكلّ عناصرها بالحسين** عليه السلام، **حيث استمدّت ماء الولاية منه، فأصبح بشرها أفضل البشر**، إذ لم يجد الحسين أبرّ وأوفى منهم. **وباتت أشجارها أقدس الأشجار**، حيث صدحت إحداها بنداء «إني أنا الله»، بينما كانت أخرى شاهدة على ولادة عيسى بن مريم عليهما السلام. **وقد نال الملائكة صفة المقرّبين لارتباطهم بالحسين** عليه السلام **وكربلائه ولم يصل الأنبياء المرسلون إلى ما وصلوا إليه إلا من خلال ارتباطهم بكربلاء وهكذا بالنسبة للمؤمنين الذين امتحن الله قلوبهم للإيمان.** وقد جمعت كربلاء الحسين كل المطهّرات التي من شأنها أن تطهّر الإنسان باطناً وظاهراً. **فشمسها تصهر الذنوب** من جهة، **وتصهر العاشق بالمعشوق** من جهة أخرى، **فتُصيّره واحداً معه، وماؤها يغسل المعاصي، والغيبة فيها تطهّر الباطن**، إذ يغيب العاشق في=

وبذلك ارتبط برسول الله ﷺ ورجع إليه، كما فعل أمير المؤمنين عليه السلام حين انتقل إلى فضاء الوجود اللانهائي للنبي الأعظم ﷺ. «هذا جدي رسول الله قد سقاني بكأسه الأوفى»، إن أمير المؤمنين عليه السلام هو السّاقي، وتبقى السقاية في عهدته في جميع أطوار الخلق وحالاته، إلا في ذلك العالم حيث يأخذ أمير المؤمنين عليه السلام من رسول الله[(١)] ﷺ.

ظهور الحقيقة المحمدية في عليّ الأكبر عليه السلام

هناك جانب آخر ينبغي الحديث عنه. لم ينقضِ الأمر بمجرّد وصول عليّ الأكبر عليه السلام إلى الولاية الكلية والمطلقة. فمع كل ما وقع في كربلاء، لم يقم الحسين عليه السلام بالدّعاء على أحد، سواء من أجله شخصياً أو من أجل أبنائه وأقربائه، وذلك لأنهم كانوا مرتبطين به. ولكن عليّاً الأكبر كان مرتبطاً برسول الله ﷺ، وبالتالي، كان الرسول[(٢)] هو مَن يتعرض للقتل على يد القوم. فقد

=معشوقه، وتربتها تبدّل الهويّة وتُحيل السيئات حسناتٍ. وهكذا، فإن الماء الذي استمدّته كربلاء من الحسين عليه السلام، جعلها أشرف بقاع الأرض وأجلّها.

(١) نقلت إحدى زوجات النبي ﷺ: «كان رسول الله ﷺ جائعاً لا يقدر على ما يأكل فقال لي: هات ردائي. فقلت: أين تريد؟ قال: إلى فاطمة ابنتي فأنظر إلى الحسن والحسين فيذهب ما بي من جوع»، مقتل الحسين للخوارزمي، ج١ ص١٢٩؛ بحار الأنوار، ج٤٣ ص٣٠٩.

(٢) عندما برز علي الأكبر عليه السلام للقتال يوم عاشوراء، قال الحسين عليه السلام: «اللّهُمّ اشهد، فقد برز إليهم غُلامٌ أشبهُ النّاس خَلقاً وخُلقاً ومَنطِقاً برسولك»، أعيان الشيعة، ج٨ ص٢٠٦.

أرسل الحسين جدّه وليس ولده إلى الميدان وهذا ما رأته عيناه: «اللهم اشهد على هؤلاء القوم، فقد برز إليهم غلام أشبه الناس خَلقاً وخُلُقاً ومنطقاً برسول الله»، أي أن تلك العين، عينُ مكوّن الولاية وعين سيّد الشهداء عليه السلام، لم ترَ الأكبر على أنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بصورة تمثيلية بل رأته كذلك بصورة واقعية[1]. وبعد ذلك، لم يكن باستطاعته إلا أن يدعوَ على من تصادم مع جدّه صلى الله عليه وآله وسلم، ففعل ذلك[2]. ولكنه نسب الأمر إلى نفسه فقال عليه السلام: «بنيّ عليّ، قتل الله قوماً قتلوك... قتلوك وما عرفوك». فما معنى «ما عرفوك»؟ كان الجميع يعلم أنه ابن الحسين عليه السلام، ولكنّ المقصود هنا أنهم قتلوك وما عرفوا أنك صاحب الولاية الكلية والمطلقة، قتلوك وما عرفوا أنك تتمتع بعينيّةٍ مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فقد وصل عليّ الأكبر عليه السلام إلى العينية بالوحدة التامة مع رسول الله[3] صلى الله عليه وآله وسلم. وهنا قام الحسين عليه السلام بالدعاء على قَتَلَته. وفي

---

(١) وللإشارة إلى هذه الحقيقة قول النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لعلي بن أبي طالب عليه السلام: «**علي مني، وأنا من عليّ، لحمه من لحمي، ودمه من دمي**»، (الخصال، ج١٦ ص٦٤٠). وقول أمير المؤمنين لولده الحسن عليه السلام: «**وجدتك بعضي بل وجدتك كلّي، حتّى كأنَّ شيئاً لو أصابك أصابني، وحتّى كأنَّ الموت لو أتاك أتاني، فعناني من أمرك ما يعنيني عن أمر نفسي...**»، كشف المحجة، ص١٥٧.

(٢) دعا الإمام الحسين على قتَلة ولده علي الأكبر عليه السلام وقال: «قتل الله قوما قتلوك، ما أجرأهم على الرحمن وعلى رسوله، وعلى انتهاك حرمة الرسول»، بحار الأنوار، ج٤٥ ص٤٤.

(٣) عن الإمام عليّ عليه السلام: «إنَّ للهِ تَعالى شَراباً لِأَولِيائِهِ، إذا شَرِبوا سَكِروا، وإذا سَكِروا طَرِبوا، وإذا طَرِبوا طابوا، وإذا طابوا ذابوا، وإذا ذابوا خَلَصوا، وإذا=

زمان رسول الله ﷺ، كان الحسين عليه السلام يدعو على كل من يرفع السّيف في وجه جدّه الرسول ﷺ محاولاً قتله. والآن، إنه رسول الله ﷺ نفسه. يا الله، أنت الشاهد، بمعنى أنْ لا أحد سواك يعلم ويفهم ذلك التغيير العينيّ والقطعي لظهور الوحدة الولائية التامّة في وَلَدي، فأنا لم أرسل ولدي إلى الميدان، إنما أرسلت جدّي. ويدخل الحديث الشريف: «أنا من حسين وحسين مني»(١) في هذه الحادثة التي جرت عن طريق عليّ الأكبر عليه السلام، ولكنْ ليس هذا هو الوقت المناسب للحديث عن ذلك.

أبو الفضل هو الساقي

بالعودة إلى أبي الفضل العباس عليه السلام، فقد كان هو ساقي أهل الحرم وسقّاء عطاشى كربلاء، ولم يُعطَ بابُ الحوائج هذه المنزلة بعدما أتى إلى كربلاء، بل إنه حصل عليها في وقت سابق. ففي ذلك الزمن، كان أفضل ما يُقدَّم للضيف هو كأس من الماء النقيّ والبارد. وكان الرّجل يُظهر نبله للناس، من خلال تقديم الماء لهم. فأصبح ذلك تقليداً لدى أهل العراق، وباتوا يحضرون لك الماء في كل مكان تذهب إليه.

كان أبو الفضل العباس عليه السلام مسؤولاً عن تأمين الماء في منزل

=خَلَصوا طَلَبوا، وإذا طَلَبوا وَجَدوا، وإذا وَجَدوا وَصَلوا، **وإذا وَصَلُوا اتَّصَلوا، وإذَا اتَّصَلوا لا فَرقَ بَينَهُم وبَينَ حَبيبِهِم**»، التحفة السنّية للفيض الكاشاني، ص٨٦.

(١) بحار الأنوار، ج٤٣ ص٢٧١.

الحسين عليه السلام في المدينة. وكان ذلك المنزل يشهد حركة كثيفة للضيوف ويعجّ بالأولاد. ومن هناك، ظهرت تلك السّمة التي خُصّ بها أبو الفضل عليه السلام[1]، إذ كانوا كلما أرادوا الماء توجهوا إليه، فبات هو الساقي. وعندما قلّ الماء في كربلاء، لم يقصد الأولاد أباهم أو أيّاً من شباب المخيّم، بل كان العباس عليه السلام مقصدهم. وقد كان هو المسؤول عن تأمين الماء للقافلة طوال رحلة السّفر إلى كربلاء. فقدِموا جميعهم إلى خيمة العباس عليه السلام وهم يصطرخون ويبكون مُنادين: يا عمّ، العطش العطش. صبروا غير أن الجواب لم يأتهم. فجاءت السيدة سَكينة عليها السلام[2]، واقترحت عليهم

(١) روي على ما في ثمرات الأعواد: «أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كان ذات يوم جالساً وحوله ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله وريحانتاه الإمامان الهمامان الحسن والحسين عليهما السلام، وإلى جنبهم أبو الفضل العبّاس عليه السلام، **فعطش الإمام الحسين عليه السلام، فعرف ذلك أبو الفضل العبّاس عليه السلام، فقام وهو إذ [ذاك] صبي صغير وأقبل إلى الدار وقال لأمّه أمّ البنين: يا أمّاه، إنّ سيّدي ومولاي الإمام الحسين عليه السلام عطشان فهل لي إلى إيصال شربة من الماء العذب إليه من سبيل؟** فقالت له أمّه أمّ البنين بشغف وشفقة: نعم يا ولدي. ثمّ قامت مسرعة وأخذت معها قدحاً وملأته بالماء العذب ووضعته على رأس ولدها العبّاس، وقالت له وبكلّ رأفة وحنان: إذهب به إلى سيّدك ومولاك الإمام الحسين عليه السلام. **فأقبل العبّاس عليه السلام بالماء نحو الإمام الحسين عليه السلام والماء يتصبّب من القدح على كتفيه، فوقع عليه نظر أبيه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ورآه قد حمل قدح الماء على رأسه والماء يتصبّب من القدح على كتفيه، تذكّر وقعة (واقعة) كربلاء فرقّ له، وقال وهو يخاطبه ودموعه تتقاطر على وجنتيه: «ولدي عبّاس، أنت ساقي عطاشى كربلاء»؛ فسمّي من ذلك (السّقاء)»**، الخصائص العباسية، ص١١٤.

(٢) قالت السيدة سَكِينة بنت الحسين عليهما السلام: «عزَّ ماؤنا ليلة التاسع من المحرّم، فجفّت الأواني، ويَبِست الشفاه، حتّى صرنا نتوقّع الجرعة من الماء فلم=

فكرةً للحصول على الماء. فجمعت كل الأطفال ونظمتهم في صفين، صفّ على اليمين وآخر على اليسار، فيما وقفت هي في الوسط. وأخذت تعلمهم كيف يقومون بتحريك عواطف عمّهم ومشاعره. لم يكن عددهم معلوماً ولكن قيل إن الواصلين إلى الشام كانوا أربعاً وستين امرأة وطفلاً على الأقل، وكان جُلّهم من الأطفال. وقد حضر الإمام الباقر عليه السلام واقعة كربلاء حيث كان يبلغ من العمر أربع سنوات. وكان ممّن شاركوا في ذلك الطرح، حيث طلبت منهم السيّدة سَكينة عليها السلام أن يحضِروا كل ما لديهم من وسائل لتعبئة الماء. فمنهم من أحضر كأساً ومنهم من أحضر جرّة ومنهم من أحضر إبريقاً. ثم قالت لهم: إقتربوا وارفعوا ما في أيديكم إلى الأعلى وعندما يأتي عمّكم ليمرّ من هنا، أروه جميعكم أنّ هذه الأواني فارغة. رأى أبو الفضل العباس عليه السلام هذا المنظر، والله وحده يعلم ما الذي اختلج في قلبه، فأسرع إلى أخيه الحسين عليه السلام

=نجدها، فقلتُ في نفسي: أمضي إلى عمّتي زينب، لعلها ادّخرت لنا شيئاً من الماء. فمضيتُ إلى خيمتها، **فرأيتها جالسة وفي حجرها أخي عبد الله الرضيع وهو يلوك بلسانه من شدّة العطش، وهي تارةً تقوم، وتارةً تقعد، فخنقتني العبرة، فلزمتُ السكوت خوفاً من أن تفيق بي عمّتي فيزداد حزنها**، فعند ذلك التفتت عمّتي وقالت: سَكِينة؟ قلتُ: لبّيك. قالت: ما يبكيك؟ قلتُ: حال أخي الرضيع أبكاني. **ثمّ قلتُ: عمّتاه، قومي لنمضي إلى خيم عمومتي، وبني عمومتي، لعلهم ادّخروا شيئاً من الماء. قالت: ما أظنّ ذلك**. فمضينا واخترقنا الخيم بأجمعهم فلم نجد عندهم شيئاً من الماء، **فرجعت عمّتي إلى خيمتها، فتبعتها، (وتبعنا) من نحو عشرين صبي وصبيّة وهم يطلبون منها الماء، وينادون: العطش العطش...**»، معالي السبطين، ج١ ص٣٢٠.

قائلاً له: سيدي، أما زلت لا تريد الترخيص لي بإحضار الماء؟ أنظر إلى حال الأطفال وما صنعوا معي بتوجيهٍ من ابنتك سَكينة. فقال الإمام عليه السلام: بلى، أعطيك الإذن[1]، ولكن ارمِ سيفك، وارمِ

(١) **لطيفة ولائيّة**: إنّ أبا الفضل العباس عليه السلام، بعدما استشهد الأصحاب والآل، قصد الإمام الحسين عليه السلام وطلب منه الرّخصة للنزول إلى الميدان قائلاً: أخي يا أبا عبد الله، أتسمح لي بأن أنزل إلى الميدان وآخذ بالثأر لهؤلاء؟ أجابه الحسين: إن كان ولا بدّ فاملأ القربة للأطفال. وهنا، **يفرض السؤال نفسه: ما وجه الإرتباط بين أخذ الثأر بالسّيف وأخذ الثأر الذي بيّنه الإمام عبر ملء القربة؟** نزل أبو الفضل العباس إلى الميدان وتوجّه نحو المشرعة وملأ القربة ماءً، ولكن متى شهد معنى كلام سيّد الشهداء عن الأطفال؟ كان ذلك حين ملأ القربة ورجع **متوجّهاً نحو الخيام، فإذا به يسمع صوتاً عن يمينه، إلتفت نحوه فقُطعت يده اليُمنى، وكان ذلك الصوتُ صوتَ فاطمة الزكية** عليها السلام**. ثم سمع الصوت نفسه مرة ثانية، فالتفت عن شماله، فقُطعت يساره. وكأن هناك ارتباطاً بين الوصول إلى الحقيقة وفقدان الإنسان لشيءٍ ما في الدنيا، إذ لا تأتي نعمةٌ إلّا بعد مفارقة أخرى.** ومن هنا، ورد في الرواية: «ألا ومن أحبّ علياً سُمّي في السماوات أسير الله في الأرض» (بحار الأنوار، ج٦٥ ص١٢٥). وبعد ذلك، أصاب القربة سهمٌ فأريق ماؤها. **وعندما بدأ الماء ينسكب من القربة، رأى أبو الفضل العباس أطفال الشيعة الموالين كلّهم، منذ ذاك الوقت إلى يوم القيامة، يفتحون أفواههم ليشربوا الماء من قربته. وهنا، ذُهل أبو الفضل العباس لِما رآه وأدرك تماماً معنى كلام سيّد الشهداء، فأخذ الثأر يكون بسقاية الشيعة الموالين.** فقام أبو الفضل عليه السلام بسقاية جميع الموالين ثم رجع إلى موطنه وفنائه وذوبانه بالذات الإلهية، بعد أن كان قد خرج في تلك اللحظات عن الزمان والمكان فرأى كلّ شيعة الحسين بن علي وأطفالهم يشربون من تلك القربة. وبالتالي، **لا يمكن لأحد أن يشرب إلّا من تلك القربة بالذات، ومن يد أبي الفضل العباس نفسه. وهكذا، يكون أبو الفضل قد حامى عن دينه إلى الأبد ووفى بوعده حين قال: «إني أحامي أبداً عن ديني»**. وإذا كان ساقي الناس في الحشر حيدرَ، فساقي عطاشى كربلاء أبو الفضل عليه السلام. =

= وبعدما جرى عليه كل ذلك، لم **يسمع أبو الفضل صوتاً يناديه «ولدي عباس» فحسب، بل رأى قائلته أيضاً، حيث وقعت عيناه على فاطمة** عليها السلام **ورآها**. وعند ذلك، ضُرب بعامود من حديد على أمّ رأسه فهوى إلى الأرض ساجداً. **لقد هوى ساجداً لتلك الحقيقة وبلا يَدَيْن، إذ إن الوصول إلى الحقيقة الفاطمية لا يكون بواسطة أو وسيلة أو إرادة، فألقى كل ما عنده في سبيل لقياها، «وفدتُ على الكريم بغير زادٍ»**. وحينذاك، **سمعها** عليها السلام **تقول له: «ولدي عباس»، لذلك عندما هوى عن صهوة جواده قال ولأول مرة: «أخا يا حسين أدرك أخاك»، فقد أدرك الحقيقة واتّصل بها**، إذ لا يمكن لهذا الاتصال أن يتمّ بالكلام أو بالعبادات أو بالإرادة أو بالقدرة أو بأي شيء آخر، وإنما الوصول إليه لا يكون إلا بالتسليم والإنقياد التامّين وترك الدنيا ووسائطها والآخرة وشؤونها. ولذا، **ترك أبو الفضل** عليه السلام **كلّ شيء من أجل الاتصال والوصال بهذه الحقيقة، فترك قدرة عينه وتأثير يديه مع أنه كان قادراً على أن يغيّر بهما الكثير من الوقائع. وعند ذلك، أتت هي إليه**، ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ (سورة الحجر، آية **٩٩**). فإنما الهدف من هذه العبادة الوصول إلى ذاك العالم وتلك الحقيقة. **والعبادة بهذا المقام تكون بترك الإتكال على كل ما له علاقة بالإنسان، من إرادة وعقل وقلب، وبالتسليم له وحده تبارك وتعالى، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم**. وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «عرفتُ ربي بفسخ العزائم ونقض الهمم، لما هممت حيل بيني وبين همي، ولما عزمت خالف القضاء والقدر عزمي، علمت أن المدبر غيري» (الخصال، ج١ ص٣٣). فإنك عاجز على رؤيته بعينك وسماعه بأذنك لأنهما محدودتان، وكذا هو الحال مع كل أعضائك وحواسك الظاهرية والباطنية من يدين وعينين وقدرة وإرادة وما إلى ذلك، بحيث لا يمكن لك أن ترتبط به من خلالها، بل إن ذلك لا يتحقق إلا بواسطة يد الله وقدرته وإرادته. والمقصود من هذا، ما ورد في الحديث القدسي: «... كنتُ سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها» (الكافي، ج٢ ص٣٥٢). وعليه، ينبغي أن يتم الاتصال بمن عينه عين الله ويده يد الله ولسانه لسان الله وأذنه أذن الله، حتى يتحقق الارتباط بتلك الحقيقة.

ترسك وقوسك وسهامك وكل أسلحتك على الأرض، فلا حاجة لك بها، لأنك ذاهب لإحضار الماء لا للقتال. تخلى أبو الفضل العباس عليه السلام عن كامل سلاحه ولكنه كان مسروراً لأنه امتلك سلاحاً واقعياً له من الفعالية على الأعداء ما يمكّنه من أن يفنيهم عن بكرة أبيهم.

العين واليد، سلاحا آل الله الأكثر نفاذاً

سلاحان هما هبة من الله ويختزنان قوّة الولاية بأسرها، وهما بحوزة كل أهل الولاية. أحدهما العين والآخر هو اليد، فهم برؤوس أصابعهم الخمسة[1] يستطيعون أن يبثوا أشعة ساطعة على

(١) قال العباس بن عليّ عليه السلام في خطبة ألقاها ليلة العاشر من المحرّم: «بسم الله الرحمن الرحيم، الحمدلله مبدع الأنوار ومولج الليل في النهَار، أما بَعد أيّها الأخيَار ويا أنصَار آل الله (أنصار الله) الأبرَار، لا تفزعوا من هجوم الكفّار ولا تفشلوا من كثرة الأشرار لأنهم كلاب النار وفراش الآثار، فكيف يقاومون من بُزاةِ الأطيار لقد اختاركم الله في الذرّ الأول لنُصرة وليّه وَفرحة نبيّه. أنتم لبّ البريّة وخلاصة الخليقة ألستم تعرفوني أنا هيبة الجبّار، أنا طَلِبةِ الكرّار، أنا سَيف صَاحب ذو الفقار، والله لو كنتُ وحدي لأحامي عن السيّد الكريم وأذكركم غداً زلازل يوم عظيم. غداً والله أُحَيّر جبرائيل، غداً والله أدْهِشُ عزرائيل. لأهل الشام أحفر حفراً بحافر فرسي ولو أَذِنَ الإمام لأجعل أصابعي سيفي والسماء تِرسي. فلما بلغ إلى هنا، أخبر واحدٌ من أصحاب أبي عبد الله الحسين عليه السلام أن واحداً من عسكر أهل الشام يتجسس حول الخيام والخندق، فوثب كالليث المغضب وركب على مطن فرسه بغير سرجه ووقف أمام الجيوش ونادى: يا نسمة الفجُور ويا رُضَعَاء الخمور كدأب آبائكم في ليلة الهجرة تتفحصون حول بيوت النور، إذ لم يتجاسر آباؤكم أن يتسوروا الجدار وكان علي الهجرة نائماً فكَيف بكم وعلي ليلة العاشور يقظاناً فتضرّعوا إلى ربّكم أن=

الجميع، بحيث لا يعود بمقدور أحد التجرّؤ على النطق حتى. وهكذا، كان أبو الفضل العباس عليه السلام يمتلك سلاحين تفقد أمامهما كل آلات الحرب قيمتها. فكان يستطيع بنظرة واحدة منه أن يدمّر جيش الكفار، لا بل أن يجعلهم مسلمين، وأن يحرّك يده فيُخضِع كل أولئك القوم لسيطرته. وليس هذا إلا تصرفٌ ولائي وإظهارٌ لمعنى قول الإمام عليه السلام: «رحم الله عمّنا العباس، كان نافذ البصيرة»، حيث كان بإمكانه عليه السلام هزيمة أيٍّ كان بعينيه، ببرق البصر.

العباس قيامة العشق

حصل أبو الفضل عليه السلام على الإذن وانطلق باتجاه المشرعة بسرعة شديدة ولكن فجأة أبطأ في وسط الطريق وأخذ يفكّر: يا عباس، أتريد أن تفدي الحسين أو أن تستخدم لنفسك القوة الدفاعية الكامنة بالعين واليد؟ فليس هذا إلا نقص في طريق العشق. ولذا، عليك قبل كل شيء أن تعالِج مسألة عينيك ويديك. ولهذا، أصاب السّهم عين أبي الفضل عليه السلام، في طريق عودته من المشرعة، بإشارةٍ وقوةٍ وإرادةٍ منه نفسه، فداءً للمعشوق. وكذلك الأمر بالنسبة إلى يده، فقد قُطعت لكي لا تقف في طريق عشقه

=**يطيل عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة فإنّ لكم فيه الأمان وإذا طلع السحر والصبح أسفر فتنادون بالويل والهوان وليس لكم الأمان يا جند إبلِيس ويا حزب الشيطان فأنا العباس بن عليّ**»، كتاب بحر المصائب وكنز الغرائب محمد جعفر بن سلطان أحمد تبريزى.

للحسين عليه السلام. وهكذا، نحّى العبّاس نفسه جانباً، بتنحية عينه ويديه[(١)].

ويمثل أبو الفضل العباس عليه السلام قيامة العشق. فحين وصل إلى المشرعة واغترف غرفة من الماء بيده ونظر فيه، لم يكن ذلك لكي يشرب، إنما لينظر في الماء ويرى وجهه ويعاين حقيقة التّوحيد فيه ويبصر توحّده ووحدته مع الإمام الحسين عليه السلام، وهذه أمور ذوقية ليست إلا لأهلها ولا تعيها إلا أذن واعية ومَن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. ولكنّ الأعداء عندما رأوه يغترف من الماء ظنوا

(١) **لطيفة ولائية**: لقد خلع النبي موسى عليه السلام نعليه حين آتاها، أي كربلاء، في حين أن أبا الفضل عليه السلام خلع نعليه من قبل أن يأتيها، والنعلان هما الزوجة والأولاد، إذ يُنقل عن إمام الزمان عليه السلام أنه قال في تفسير عبارة «إخلع نعليك»: «إن موسى عليه السلام ناجى ربّه بالواد المقدس فقال: يا ربّ، إني قد أخلصت لك المحبة مني، وغسلت قلبي عمن سواك، وكان شديد الحب لأهله، فقال الله تبارك وتعالى: «إخلع نعليك»، أي انزع حبّ أهلك من قلبك إن كانت محبتك لي خالصة، وقلبك من الميل إلى من سواي مغسولاً»، (بحار الأنوار، ج٥٢ ص٨٤). وحين سُئل موسى النبيّ عليه السلام عمّا في يمينه، أجاب بأنها عصاه، أي إرادته (نفسه)، التي يتوكأ عليها ويهشّ بها على غنمه، أي يقود بها الناس، وله فيها مآرب أخرى، أي له فيها غايات أخرويّة، إلا أنه انصاع لأمر ربّه حين أمره بإلقائها، فألقاها. غير أن أبا الفضل عليه السلام ألقى عينيه ويديه وكل ما يملك من دون أن تصدر منه أدنى كلمة، إذ إنه في طريق العشق لا مكان للتفكير أو التدبير. فالإنسان لا يصل إلى المقصد إلا بعد أن يُلقي ما عنده ويريقه في طريق المحبّة والعشق. ومن معاني تعبير الأرض الوارد في الآية الكريمة: ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ * وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ (سورة الإنشقاق، آية ٣،٤،٥)، هو النفس التي تلقي كل ما عندها وتُخلي كل ما فيها وتنصاع لأمر ربّها، ظاهراً وباطناً.

أنه يريد أن يشرب فقالوا ما قالوه عن أنه تذكّر عطش أخيه فرمى الماء من يده. والحقيقة أنه عندما نظر إلى الماء، رأى أن وجهه صار عين وجه الحسين عليه السلام، فقال: يا نفس من بعد الحسين هوني، أي أن كل شيء بات هيّناً بعدما صرتِ حسيناً، وبعده لا كنتِ أن تكوني، أي أنكِ عدمٌ بلا حسين. وارتجز قائلاً: «يا نفس[1]، لا تخشي من الكفار وأبشري برحمة الجبار»، أي الرحمة الواسعة للإمام الحسين عليه السلام.

كيف استُشهد العباس عليه السلام؟

في سردٍ يختلف عمّا هو معهود لما جرى مع أبي الفضل العباس عليه السلام أنه حين جرّده الحسين عليه السلام من كل أسلحته، أبقى على الرّمح بحوزته. وقال له: عندما تصل إلى المشرعة، التي ترتفع عن مستوى مياه النهر، أربط هذه القربة بالرّمح واجعلها تتدلى إلى الماء وأحضره، ذلك أن الأعداء مسيطرون على المكان المقابِل للمشرعة، فلا يمكنك أن تنحني لتحضر الماء. وصل إلى المشرعة وعلق القربة بالرمح وأنزلها وسط الماء ثم رفعها واتجه صوب الخيام. ولكنّ صوت الأعداء علا: «ويحكم، إذا وصل الماء إلى الخيام لن يبقى منكم أحد». أحاطوا بأبي الفضل العباس عليه السلام وكان راكباً على جواده، فسلك طريقاً قريباً من المشرعة ونزل بجواده إلى الماء فيما كانت القربة على كتفه. سبح

(١) قال أبو الفضل عليه السلام: «يا نفسُ لا تخشي...» ولم يقل «يا نفسي...»، فكلامه موجّه لكل من هو مرتبط مع الحضرة العباسية بأن لا تخشى إلا من الله.

الجواد باتجاه ممرّ في الماء يسمح له بالصعود، ولكن الأعداء سارعوا إلى الإحاطة به من جديد. فأولئك الذي ضربوا رأس أبي الفضل العباس عليه السلام، ضربوه من أعلى المشرعة، ولم تكن ضربة واحدة فقط هي التي نزلت على رأسه عليه السلام بل ضربات، ومع ذلك استطاع الصعود ودارت بين المشرعة وماء الفرات معركة وقع خلالها العباس في الماء. ومن ثمّ أصاب السهم عينه وقطعت يداه.

وعندما وصل الحسين عليه السلام إلى جسد العباس عليه السلام، سحبه من بين الماء والدماء. ثم حمل الأعداء على الأخوين، فاتجه الحسين عليه السلام نحوهم وانشغل بالقتال. وفي الأثناء، توجهت مجموعة من الأعداء إلى أبي الفضل فحملوا جسده وربطوه بنخلة - لا قدّر الله أن يكون ما حدث مطابقاً لما رواه أحد الشعراء العرب في شعره، حيث قال «جسمه صار للرمّاية»، أي أن بدنه الطاهر أصبح هدفاً لرماية السهام. وحين رأى الحسين عليه السلام بدن العباس عليه السلام على هذا الشكل، اتجه صوبه ولكنه وجد السيدة زينب عليها السلام عنده، فما كان منه إلا أن وضع يده على ظهره وقال: «الآن، انكسر ظهري وقلت حيلتي وشمت بي عدوّي وتشتّت عسكري». وبدأ الأعداء يهلّلون، تعبيراً عن شماتتهم. ثم اقترب الحسين عليه السلام من جسد العباس ونزع السهام منه واحتضنه.

وتجدر الإشارة إلى أن السيدة زينب عليها السلام[1] قدمت وأعانت

---

(١) خطبت السيدة زينب عليها السلام في أهل الكوفة وقالت: «الحمدلله عدد الرّمل والحصى وزنة العرش إلى الثرى، يا أهل الكوفة ويا أهل المكر والغدر=

الحسين عليه السلام في موقفين، الأول عند استشهاد عليّ الأكبر والثاني عند استشهاد أبي الفضل العباس عليه السلام.

=والخيلاء والحِيَل، فإننا أهل بيتٍ ابتلانا الله بكم وابتلاكم بنا، وجعل بلاءنا بلاءً حسناً، إذ جعل علمه عندنا وفهمه عندنا. نحن عيبة علمه ووعاء حكمه وفهمه ونحن تراجمة وحي الله وحجّته في بلاده لعباده. أتتخذون عيداً لقتل ابن بنت نبيّكم، هكذا يفرح أولاد البغاة بقتل الهداة. أتعلمون أي دمٍ سفكتم على شطّ الفرات؟ أزكى من الكوثر وماء الحياة. والله لو شاء أخي لصارت خيولكم ونياقكم أفيالاً وأسوداً مزّقوا لحومكم ومزقوا عظامكم وصارت رماحكم وأسنّتكم حيّات وعقارب تنهش أجسامكم ونثّرت لحومكم. ولو أمر الأرض لابتلعتكم بمراكبكم مثل قارون بداره وخزائنه، بل لو شاء للوَّتَ ثيابكم في أعناقكم وألّفاكم أهل السماء كالفَراش المُفتَّت. ولكنّه لم يزل يدعوكم إلى الجنّة، أما رأيتكم أمهلناكم ليلة واحدة للتوبة، لكن اخترتم الفناء على البقاء والنار على أوفر الجزاء وأولاد الطلقاء على الأزكياء. فوربِّ السماوات العُلى، إني أرى ذكر أبي عبد الله يملأ الأرض والسماء وحسبنا الله أهل المغفرة وأهل التقوى»، لم نعثر على مصدرها إلى الآن، لكنّ ذوي الألباب يعرفون المقال بالرجال لا الرجال بالمقال.

النفحة السابعة

منشأ «يا ليتنا كنا معكم»

يتمنّى كثير من الناس لو كانوا في كربلاء ونصروا الحسين عليه السلام وقاتلوا معه وأحسّوا بعطشه. وكل من يتمنى[(١)] هذه الأمنية بقلبه ويتلفظ بها بلسانه يدخل في زمرة الكربلائيين ويُحشر يوم القيامة مع الإثنين والسبعين شهيداً[(٢)] في ركاب الإمام الحسين عليه السلام. ودائماً ما تكون الأماني نابعة من الخيال، حيث تطرأ على الإنسان خيالات ورؤى عابرة غير ذات فائدة، إلّا أنه في باب الحسين عليه السلام، لا تنبع هذه الأمنية إلا من أعلى درجات الحقيقة، فكل من يقول: «يا ليتني كنت معك، فأفوز فوزاً عظيماً»، ينضمّ إلى أولئك الذين استشهدوا في كربلاء. وفي هذا السياق، ثمة

(١) عن الإمام الرضا عليه السلام في حديثة للريّان بن شبيب: «... يا ابن شبيب، إن سرّك أن يكون لك من الثواب مثل ما لمن استشهد مع الحسين عليه السلام فقل متى ما ذكرته: يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً»، أمالي الصدوق، ص١٩٣.

(٢) عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «مَن أحبّ قوماً حُشِر مَعهم»، بحار الأنوار ج٦٨ ص١٣١.

مسألة لا بدّ من الكلام عنها، فمن أين أتى الناس بمثل هذه الأماني؟ ولماذا تقول الصديقة الطاهرة عليها السلام في الكثير من المشاهدات والمكاشفات إنّ «العباس ولدي»[(١)]؟

روى فيلسوف مشهور جليل أنه كان يذهب في ليالي الجمعة لزيارة سيّد الشهداء عليه السلام وكان يزور أبا الفضل عليه السلام مرة كل عدة ليالي. وفي إحدى المرات، رأى الصديقة الطاهرة عليها السلام فعاتبته وتكلمت معه بلهجة حازمة، ما أثار تعجّب الرجل الذي سألها قائلاً: سيدتي، إني آتي من النجف في كل ليلة جمعة لزيارة ولدك، فلمَ تعاملينني بهذه القسوة؟ فردّت بالقول: متى جئت لزيارة ولدي؟ إنك لا تأتي إلا قليلاً. فقال لها: أنا آتي كل ليلة جمعة وأنتِ على علم بكل شيء. عندها، سألته السيدة فاطمة عليها السلام: ولكن أليس العباس ولدي؟ لماذا تأتي لزيارة الحسين ولا تأتي لزيارة أبي الفضل؟

إذاً، فما منشأ هذه المسألة: «يا ليتنا كنا معك، فنفوز فوزاً

(١) يُنقل أنّه لمّا أُدخل أمير المؤمنين عليه السلام إلى داره، بعدما تلقى الضربة على رأسه الشريف، طلب من كل مَن هو ليس من ولد فاطمة أن يخرج من الغرفة. فخرج الجميع وعندها قام أبو الفضل العباس عليه السلام ليخرج من الغرفة، صاح أمير المؤمنين: ولدي عبّاس! الى أين؟ قال العبّاس: أنا لستُ من وُلد فاطمة. فقال له الأمير عليه السلام: **ولدي عباس، أنت عين الزهراء! ويروى أنه عندما وقع العباس عليه السلام عن ظهر جواده، سمع صوت الزهراء عليها السلام تنادي: ولدي عباس** ولهذا قال: أخي يا حسين أدرك أخاك. وهو لم ينادِهِ من قبل بذلك حتى وصل إلى مقام الأخوّة، فـ«المؤمن أخ المؤمن» وهذه الأخوة هي ليست أخوّة النسب.

عظيماً»؟ إنّه بعد قضية إحراق باب الصديقة فاطمة عليها السلام(١)

(١) **لطيفة ولائية**: ثمة وسائل متعددة لإدراك الأمور والحقائق، ومن بين تلك الوسائل حاسّتان أساسيّتان يمتلكهما الإنسان وهما البصر والسمع. إلا أن قوّتهما وفعاليّتهما ونطاق عملهما يتفاوت بين شخصٍ وآخر. فهناك من لا يرى إلا على المدى القريب في حين أن هناك من يبصر القريب والبعيد على حدٍ سواء. والأمر نفسه ينطبق على حاسّة السمع. وإذا كانت وظيفة السمع والبصر تتفاوت بفعاليتها بين عامّة الناس، فمن المؤكد أن تميّزها هو أشدّ وضوحاً لدى الأنبياء والأولياء، إذ إنّ لهؤلاء القدرة على سماع ما لا يسمعه الناس ورؤية ما لا يرونه، وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله: «لولا تكثير في كلامكم وتمريج في قلوبكم لرأيتم ما أرى ولسمعتم ما أسمع»، (تفسير الميزان، ج٥ ص٢٧٠). **وأهل البيت عليهم السلام هم المظهر الأتمّ لاسمي الله السميع والبصير**. ولعلّه من الحالات التي تبرز فيها وظيفة السمع إلى حد بعيد هي عندما يكون الإنسان في مكان مغلق بينما هو مترقبٌ لهجومٍ ينوي الأعداء شنّه في أي وقت. وفي تلك اللحظات، يَسمع الإنسان كل صوتٍ يصدر عن الأعداء المتربّصين به في الخارج. فيسمع وطئ أقدامهم وأصواتهم وتحركاتهم. ويزداد وضوح تلك الأصوات في أثناء الليل، حيث يعمّ الهدوء كل المكان، وتبقى أصوات المعتدين وحدها تتردّد على مسامعه، فتترك في قلبه مشاعر الأذى والوحشة. **ويذكّرنا هذا الموقف بما جرى على مولاتنا السيدة الزهراء وزوجها أمير المؤمنين وأولادهما عليهم السلام، حين اعتدى الظالمون والغاصبون عليهم في دارهم.** فكيف كان شعورهم وهم محاصرون بين أربعة جدران بينما يتربّص العدوّ بهم شرّاً خلف الباب؟ لقد سَمِعت السيدة الزهراء وأولادها، في هدأة الليل، أصوات أقدام أولئك الظالمين وهم متوجّهون إلى باب الدار ينوون إحراقه بمن فيه، وعددهم يقارب الثلاثمائة نفر. **وقد كان معظم مَن في المدينة يقفون في صف الأعداء، بينما وقف أمثلهم حالاً موقف المتفرّج فحسب. سكون الليل وقطع الأنفاس، جعل الأطفال يسمعون أصوات كل ما كان يحدث خارجاً. فسمعوا صوت صهيل الخيل، إذ جاء بعضهم على الجياد، وقعقعة اللجم واصطفاق الأسنّة، إذ منهم من حمل الرماح ومنهم من رفع المشاعل،** =

والأحداث التي تلتها، وبعد اختيار عقيلٍ لفاطمة الكلابية، أي أم البنين، زوجةً لأمير المؤمنين عليه السلام، وُلِد العباس، رافعُ رأس عالم

=وسمعوا وطئ الأقدام على الأرض، والصراخ والزّجر، وصوت المُعَبّئين والحاقدين والمحرّضين على تجميع الحطب وإشعاله، وصوت السيوف تُشهر والسياط تلوح في الهواء، حتى أنهم سمعوا صوت الأنفاس المتلهّفة للقتل. كما سمعت الزهراء مع أمير المؤمنين والحسن والحسين وزينب عليهم السلام أصوات المتنصّلين من الدفاع والخائفين من الكلام والواقفين على الحياد، ليس في تلك اللحظات فحسب، بل على مرّ الأزمان والأحقاب، ولقد تصنّف الناس منذ ذلك الوقت أصنافاً، فمنهم مَن هاجم بيده أو بسيفه ومنهم مَن هاجم بلسانه ومنهم مَن حمل عليهم بفكره ومنهم من نأى بنفسه وكلٌ مِن هؤلاء كان له كلام وموقف، سمعه أمير المؤمنين والزهراء وأولادهما وشاهدوه، ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ﴾ (سورة التوبة، آية ١٠٥)، ونظراً لكونهم المظهر الأتمّ لاسمي الله السميع والبصير، كانوا أسمع السامعين وأبصر الناظرين، وبالتالي، خرقت أبصارهم وأسماعهم كل الأزمنة والأمكنة، فأبصروا وسمعوا كلام الكل من الأولين والآخرين، ولم يخفَ عليهم شيء من مكنونات الصدور. فماذا كان كلامنا وموقفنا يا تُرى؟ وكم هو حجم الخذلان والأذى الذي شعرت به الزهراء وأمير المؤمنين وأولادهما عليهم السلام، لا سيّما السيدة زينب التي كان لا يزيد عمرها الشريف عن أربع سنوات؟ وإلى أي مدى وصل خوف الصديقة الطاهرة عليها السلام وقلقها على زوجها وأولادها عليهم السلام حتى قرّرت أن تفدِيَهم بنفسها؟ هل فكّر أحدنا يوماً بذلك؟ (والخوف هو انفعال نفسي يحدث بعد توقع ما يرد من المكروه أو يفوت من المحبوب) ولهذا، قال أمير المؤمنين عليه السلام مخاطباً رسول الله أثناء دفن الزهراء عليها السلام: «وستنبئك ابنتك بتضافر أمّتك على هضمها حقّها»، (شرح نهج البلاغة، ج١٠ ص٢٦٥)، فالأمّة كل الأمّة هضمت الزهراء عليها السلام حقها وظلمتها، ودليل ذلك قوله عليه السلام: «ارتدّ الناس بعد النبيّ صلى الله عليه وآله إلاّ ثلاثة نفر»، (الاختصاص،ج٦ ص١٠)، ما يعني أن كل الناس ارتدوا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله إلا نفر قليل، ﴿ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝ وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ﴾، سورة الواقعة، آية ١٣، ١٤.

الوجود وقاضي الحوائج. أخذ يكبُر ويدخل في مرحلة الشباب. وخلال تلك المرحلة، كان العباس عليه السلام يسأل أهل البيت عليهم السلام عن السيّدة فاطمة عليها السلام ويطلب الأجوبة على أسئلته، وقد اتّسم العباس بحساسية عالية. وكان يطرح أسئلته على الإمام الحسن والحسين والسيدة زينب عليهم السلام وكل من يراه، كما كان يسأل والدته أيضاً: أمي، لماذا أُحرِق باب والدتنا الأصلية واستُشهدت؟ ولماذا أضرموا النيران فيه؟ ولماذا أسقطت المُحسن؟ وحتماً، كانت أمّ البنين تعطيه أجوبة على أسئلته. ومع تقدّمه في السنّ وبلوغه مرحلة الشباب، واصل أسئلته حول تلك القضايا طلباً للإجابة، وبعد أن اشتدّ عوده وأصبح رجلاً ذا قامة شامخة صار يقول: «آه لو كنت موجوداً في ذلك الحين! آه لو كنت موجوداً!»، طريقة كلام أبي الفضل تلك جعلت الحسين يبكي. فسأله أبو الفضل: أخي، ألم تكن موجوداً أنت في حينها؟ أجابه الحسين عليه السلام: بلى وقد حملتُ عليه. وكان عمره الشريف وقتذاك ثلاث إلى أربع سنوات ولكن الحسن عليه السلام أتى وردّه. وقد دفعت غيرة وحميّة أبي الفضل العباس إلى أن يقول: «يا ليتني كنت معك، فأفوز فوزاً عظيماً».

قيمة كل امرئ ما يُحسنه

ثمة حديث يقول: «قيمة كل امرئ ما يُحسنه»[(١)]، أي أنّ الإنسان يأخذ قيمته من كل عمل حسن يؤديه[(٢)]. ولكن لهذا

(١) نهج البلاغة، قصار الحكم، الرقم: ٨١.
(٢) إن الحُسن والإحسان والحسين، مفردات شتى لحقيقة واحدة، «لو كان الحُسن شخصاً لكان فاطمة»، فرائد السمطين، ج٢ ص٦٨.

الحديث في باطنه معنى مغاير. وهو أن قيمة كل امرئ تتحدد بمقدار قربه من الحسين عليه السلام، ويصحّ هذا المعنى من الناحية الأدبية حتى. «قيمة كل امرئ ما يحسنه»، أي أن قيمة الإنسان هي بمقدار عشقه للحسين عليه السلام وخدمته له. وفي يوم القيامة، تُزان الأمور بهذا الميزان الذي يكون بيد أمير المؤمنين عليه السلام، فهو ميزان الأعمال[1]. وتكون إحدى كفّتي الميزان مخصّصة لوزن خدمة الحسين عليه السلام وعشقه والارتباط به[2]، أما الكفة الأخرى فتزِن بقية الأمور. ولكن لماذا يكون الميزان بيد أمير المؤمنين عليه السلام؟ ذلك لأنّ المسألة متعلقة بالحسين عليه السلام، وقد وضع الله الشؤون المرتبطة بالحسين عليه السلام في يد الوليّ المطلق، فهو الذي يحدّد الأفراد الأقرب إلى الحسين عليه السلام. وتفيد الكثير من الروايات بأن سبيل مَن هو أقرب زلفة إلى الحسين عليه السلام هو الأيسر والأسهل[3].

(١) ورد في إحدى زيارات أمير المؤمنين عليه السلام: «السلام على يعسوب الإيمان وميزان الأعمال وسيف ذي الجلال»، مستدرك الوسائل، ج ١٠ ص٢٢٢.

(٢) فالإرتباط به أوثق، وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «أحبّ الله من أحبّ حسيناً»، (بحار الأنوار، ج٤٣ ص٢٧٠). كما ورد في القرآن الكريم: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ (سورة البقرة، آية ١٦٥). وقال الإمام الصادق عليه السلام: «من زار قبر أبي عبد الله عليه السلام بشطّ الفرات، كان كمن زار الله فوق عرشه»، (كامل الزيارات، ص٤٨٣). ومن كلام للإمام الرضا عليه السلام لابن شبيب: «يا ابن شبيب! إن سرَّك أن تلقى الله عزَّ وجلَّ ولا ذنب عليك فزر الحسين»، عيون أخبار الإمام الرضا عليه السلام، ج٢ ص٢٦٨.

(٣) روي عن بعض المعصومين عليهم السلام قولهم: «كلنا أبواب النجاة وباب الحسين أوسع، وكلنا سفن النجاة وسفينة الحسين أسرع»، (الإمام الحسين عليه السلام، =

المعاشر الكربلائية

هناك أبيات للشاعر خواجه يقول فيها ما مفاده إنّ المعاشر يجتمعون في مجالس الأنس حيث يتواجد المحبّون ويَستمدّون الحياة ممّا ينهلونه من عشق في تلك المجالس. وتعني كلمة «معشر» الرفيق والمُحب والمُسامِر والجليس والكليم. غير أنّ كلمة «معاشر» هذه مأخوذة من نفس الكلمة النورانية لـ«عاشوراء».

إذاً، تشمل كلمة «معاشر» كلّ مَن يقرّبك من عاشوراء وكل مَن يتحدث عنها ويصادقك في طريقها. وتعني كلمة «المعاشر» بوجهها الباطني العاشورائيين والمجموعات العاشورائية، وبالتالي، يُطلق لفظ المعاشر عليكم أنتم المجتمعون هنا. وقد تجلّى المعنى الواقعي لهذه الكلمة في ليلة العاشر[1] عندما اجتمع الأصحاب أمام الخيام، فكانوا هم «المعشر» الحقيقي. و«العِشرة» كذلك الأمر، فهي تعني الأنس بعاشوراء، وهل تتخيلون أن معنى «العشرة» هو السرور الذي لا فائدة منه؟ لا، فمعنى العِشرة يتجلى في هذه المجالس.

ص١٩٧). كما ورد في زيارة عاشوراء المذكورة في مفاتيح الجنان: «يا أَبا عَبْدِ الله إِنِّي أَتَقَرَّبُ إِلى الله وَإِلى رَسُولِهِ وَإِلى أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ وَإِلى فاطِمَةَ وَإِلى الحَسَنِ وَإِلَيْكَ بِمُوالاتِكَ وَبِالبَراءةِ مِمَّنْ قاتَلَكَ وَنَصَبَ لَكَ الحَرْبَ»، فسفينة الحسين أسرع وهو عليه السلام أفضل ما يُتقرب به إلى الله.

(١) ﴿وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ﴾، سورة الأعراف، آية ١٤٢.

ما هو العرفان الشيعي؟

«يا ليتنا كنا معك، فنفوز فوزاً عظيماً»، عندما يرى المرء أصحاب الأئمة، يشعر بلذة يتمنى معها لو كان هو أيضاً من أصحابهم. فالمرء يتمنى، مثلاً، لو كان ميثم التمار[١]، الذي استُشهد فداءً للإمام الحسين عليه السلام كذلك. وهو الذي كان يخاطب أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً: يا سيدي، أودّ أن أفديك بروحي، إلا إنني أعلم بأن طريق الحسين عليه السلام شيءٌ آخر. ولكن قبل أن يصل الحسين عليه السلام إلى الكوفة، صُلِب ميثم وقطع لسانه وهو ينادي «يا عليّ»[٢]. ولكنّه بهذا، استُشهد، في طريق الحسين عليه السلام.

(١) «من معجزات أميرالمؤمنين عليه السلام أن ميثم التمار كان عبداً لامرأة من بني أسد، فاشتراه أميرالمؤمنين عليه السلام منها فأعتقه، فقال: ما اسمك؟ فقال: سالم، فقال: أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله أن اسمك الذي سماك به أبوك في العجم ميثم، قال: صدق الله ورسوله وصدق أمير المؤمنين والله إنه لاسمي، قال: فارجع إلى اسمك الذي سمّاك به رسول الله صلى الله عليه وآله ودع سالماً، فرجع إلى ميثم واكتنى بأبي سالم، **فقال علي عليه السلام ذات يوم: إنك تؤخذ بعدي فتصلب وتطعن بحربة، فإذا كان اليوم الثالث ابتدر منخراك وفمك دماً فتخضب لحيتك، فانتظر ذلك الخضاب، فتصلب على باب دار عمرو بن حريث عاشر عشرة، أنت أقصرهم خشبة وأقربهم من المطهرة، وامضِ حتى أريك النخلة التي تصلب على جذعها، فأراه إياها، وكان ميثم يأتيها فيصلي عندها** ويقول: بوركت من نخلة لك خلقت ولي غذيت، ولم يزل معاهدها حتى قطعت، وحتى عرف الموضع الذي يصلب عليها بالكوفة... **وحجّ في السّنة (التي) قتل فيها فدخل على أم سلمة رضي الله عنها، فقالت: من أنت؟ قال: أنا ميثم، قالت: والله لربما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يذكرك ويوصي بك علياً في جوف الليل، فسألها عن الحسين عليه السلام فقالت: هو في حائط له، قال: أخبريه أنني قد أحببت السلام عليه، ونحن ملتقون عند رب العالمين إن شاء الله**، فدعت بطيب وطيبت لحيته، وقالت: أما إنها ستخضب بدم...»، بحار الأنوار، ج٤٢ ص١٢٤.

(٢) هناك صحابي آخر لأمير المؤمنين عليه السلام غير ميثم التمّار، تعرّض أيضاً للتنكيل=

ويُروى أنه كان للإمام الصادق عليه السلام محبّ طيّب نال من الإمام معاملة جدّ لطيفة. وفي إحدى الليالي، نزل هذا المحبّ ضيفاً عند الإمام خلال رحلة سفر قصيرة. ومن المعلوم أنه لا يمكن لأحد أن يجاري أهل البيت عليهم السلام، وعلى كل من يتخيل أنّ بإمكانه ذلك، أنْ يعيد النظر في إيمانه فهُم «وتر الله الموتور»، و«لا يقاس بنا

=والقتل وهو راشد الهجري: «المفيد، عن الجعابي، عن ابن عقدة، عن محمد بن يوسف بن إبراهيم عن أبيه، عن وهيب بن حفص عن أبي حسان العجلي قال: لقيت أمة الله بنت راشد الهجري فقلت لها: أخبريني بما سمعت من أبيك، قالت: سمعته يقول: قال لي حبيبي أميرالمؤمنين عليه السلام: **يا راشد كيف صبرك إذا أرسل إليك دعي بني أمية فقطع يديك ورجليك ولسانك؟ فقلت: يا أمير المؤمنين أيكون آخر ذلك إلى الجنة؟ قال: نعم يا راشد وأنت معي في الدنيا والآخرة**، قالت: فوالله ما ذهبت الأيام حتى أرسل إليه الدعي عبيد الله بن زياد فدعاه إلى البراءة منه، فقال له ابن زياد: فبأي ميتة قال لك صاحبك تموت؟ قال: خبرني خليلي عليه السلام أنك تدعوني إلى البراءة منه فلا أتبرأ، فتقدمني فتقطع يدي ورجلي ولساني، فقال: والله لأكذبنّ صاحبك، قدموه واقطعوا يده ورجله واتركوا لسانه، فقطعوه ثم حملوه إلى منزلنا، فقلت له: **يا أبتِ جعلت فداك هل تجد لما أصابك ألماً؟ قال: لا والله يا بنية إلا كالزحام بين الناس، ثم دخل عليه جيرانه ومعارفه يتوجعون له فقال: آتوني بصحيفة ودواة أذكر لكم ما يكون مما أعلمنيه مولاي أميرالمؤمنين عليه السلام فأتوه بصحيفة ودواة، فجعل يذكر ويملي عليهم أخبار الملاحم والكائنات ويسندها إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فبلغ ذلك ابن زياد، فأرسل إليه الحجام حتى قطع لسانه فمات من ليلته تلك**، وكان أميرالمؤمنين عليه السلام يسميه راشد المبتلى، وكان قد ألقى إليه علم البلايا والمنايا، فكان يلقى الرجل ويقول له: يا فلان بن فلان تموت ميتة كذا، وأنت يا فلان تقتل قتلة كذا، فيكون الأمر كما قاله راشد رحمه الله. أمالي الشيخ، ص١٠٣ و١٠٤.

أحد»[١]. ومنذ ابتداء الليل إلى طلوع الفجر، ظلّ الإمام الصادق عليه السلام يتعبّد، بين قائم وراكع وساجد وتالٍ للقرآن. وكان الرجل يسمع صوت أنين الإمام الصادق عليه السلام كلما استيقظ في تلك الليلة. لم يصلِّ ذلك الضيف صلاة الليل لأنه لم يكن يصليها بالعادة، وهكذا فعل في حضرة الإمام عليه السلام، فكان شفافاً ولم يكن منافقاً أو مرائياً، إذ لا يمكن لأحد أن يُرائي في حضرته عليه السلام. وعندما استيقظ في الصباح قبل شروق الشمس لتأدية صلاة الصبح، كان الإمام لا يزال مشغولاً بالتعقيب وبعد أن أنهى تعقيباته، خاطبه الضيف قائلاً: سيدي، أنت حجة الله وإمام مفترض الطاعة ووليّ مطلق، ومع ذلك قضيت ليلك منذ البارحة حتى صباح اليوم بمشقّة العبادة، وكنتُ كلما استيقظتُ رأيتك مشغولاً بالعبادة، لمَ لمْ تأخذ قسطاً من الراحة؟ فالله لا يطلب منك كل هذه العبادات. أجابه الإمام عليه السلام: لقد قمتَ أنت الليلة الماضية بعملٍ يفوق فضله كل العبادات التي أديتها أنا، ويعدّ ما عملتُه قليلاً في جنبه. فتعجّب الرجل قائلاً: لقد قضيتُ الليلة نائماً يا سيدي. قال له الإمام: لقد قمتَ في جوف الليل وشربتَ جرعة من الماء وبعدها سلّمت على الحسين عليه السلام ولعنتَ قاتليه، فإن ثواب هذا العمل أفضل من كل الأعمال التي أديتُها أنا الإمام الصادق[٢]. وهذا هو العرفان الشيعي.

---

(١) قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «نحن أهل البيت لا يقاس بنا أحد»، ذخائر العقبى، ص١٧؛ فردوس الأخبار، ص٣٧٣.

(٢) «وذلك أنه يحكى: أن الإمام الصادق عليه السلام كان عنده رجل من أصحابه، فلما=

وفي رواية أخرى، أتت جماعة من الناس ودعوا الإمام زين العابدين عليه السلام إلى حضور مجلس عزاء يُعقدُ لوالده سيّد الشهداء عليه السلام، فذهب الإمام ولبّى الدعوة. وفي المجلس، أخذ القارئ يتلو الرثاء وشرع الناس بالبكاء والنحيب وفجأة انتبهوا إلى أن الإمام زين العابدين عليه السلام ليس موجوداً بينهم، فنظروا في المكان وإذا بهم يرونه جالساً عند الباب بالقرب من مكان الأحذية يقوم بترتيبها. قالوا له: يا ابن رسول الله، إسمح لنا بأن نقوم بهذا العمل. فأجابهم قائلاً: بل هذا واجب عليَّ أنا ابن الحسين بن عليّ الشهيد المظلوم، فترتيب أحذية المستمعين لعزاء أبي الحسين هو عمل جدير بي. إعرفوا قدركم! وإياكم أن يتكلم أحدكم بلهجة

=أمسيا وأدّيا الفرائض ثم أكلا الطعام نام ذلك الرجل واشتغل الإمام بالعبادة من الصلاة والتضرع والبكاء والابتهال إلى الله تعالى إلى أن طلع الفجر فلم ينم الإمام عليه السلام في تلك الليلة أصلاً. **فلما أصبحا قال ذلك الرجل: والله آيست من النجاة ولا أرجوها أبداً.** قال الإمام عليه السلام: فلم ذا؟ قال: **إذا كان حالك كذلك من كثرة العبادة وتبعيد لذيذ الكرى عن عينيك من خشية الله تعالى والبكاء بكاء الثكلى مع انك معصوم في أعلى درجة العصمة**، ولم يخلق الله تعالى الأفلاك وما فيها والدنيا والآخرة إلا لأجلكم أهل البيت، فكيف أرجو النجاة مع ما أنا عليه؟ **فقال الإمام** عليه السلام: **إنك عملت البارحة عملاً يساوي فضله فضل ما اشتغلت به من العبادة والبكاء إلى الفجر.** فقال الرجل: ماذا فعلت البارحة؟ قال عليه السلام: **إنك لما نمت غلب عليك العطش في أثناء النوم، فقمت وأخذت الكوز وشربت الماء فذكرت عطش الحسين** عليه السلام **وصليت عليه ولعنت قاتله ثم رجعت إلى مضجعك ونمت**»، إكسير العبادات في أسرار الشهادات، ج١ ص٢٥٤.

قاسية مع واحدٍ ممّن يستمعون لعزاء الحسين عليه السلام، والجاهل هو من يقوم بذلك، فلا تكونوا من الجهلاء.

أسلك سبيل الخُلّص

هكذا تكون الأخلاق وهكذا يكون العرفان والسير والسلوك، فالسلوك إلى الله تعالى لا يكون إلا من باب الحسين عليه السلام. إياكم أن يأتي عليكم يوم تستصغرون فيه المراسم المرتبطة باللطم ولبْس السواد، ولا تسمحوا لأحد بأن يخدعكم بقوله إنّ عليكم القيام بمثل ما قام به الحسين عليه السلام، فهل يدري ما الذي يتفوّه به قائل هذا الكلام؟ من هو ذاك الذي يستطيع القيام بما قام به الحسين عليه السلام؟ ومن هو ذاك الذي يستطيع سلوك الطريق الذي سلكه أمير المؤمنين عليه السلام[(١)]؟ لقد أراد الأول والثاني والثالث[(٢)] سلوك طريق أمير المؤمنين عليه السلام، فباتوا ملعونين من الأزل إلى الأبد. ما تستطيع القيام به أنت هو أن تحترق بعشقه، وعندها فقط تتنزّل الملائكة من عليائها وتفترش الأرض تحت قدميك. وما تستطيع القيام به

---

(١) من كلام لأمير المؤمنين عليه السلام: «... إنّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بطِمريه ومن طُعمه بقُرصيْه ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد...»، نهج البلاغة، الرسالة رقم ٤٥.

(٢) **ومن كلام لآية الله السيد أحمد النجفي: «لو أنك وجدتَ شخصاً في هذا العالم يريد أن يغصب حقهم عليهم السلام، تقول عنه إنه سيء وقبيح، مع أنك تحبّ أن تغصب مقام أولئك ليلك ونهارك وتريد أن تكون حسناً وجيداً. ولو أنك أمعنتَ النظر في عمق وجودك، سوف تجد فيه الأول والثاني والثالث، وسوف تجد فيه كل من كان معادياً لهم عليهم السلام».**

أنت هو أن تقول: «يا ليتنا كنا معكم، فنفوز فوزاً عظيماً». إياكم أن تقبلوا بكلامٍ من هذا النوع، فطريق الحسين لا يسلكه إلا الحسين ﷺ، وطريق أمير المؤمنين لا يسلكه إلا أمير المؤمنين ﷺ. أسلك أنت الطريق الذي سلكه الشيعة الخلّص. فنحن نقرأ في إذن الدخول لزيارة الإمام: «فائذن لي بالدخول أفضل ما أذنتَ لأحد من أوليائك»، وهكذا يكون الأدب. نقول: يا سيدنا، يا ابن رسول الله، أيها الوليّ المطلق، يا حجة الله، إسمح لنا بالدخول. و«أفضل» هذه هي أفعل التفضيل من «فاضل». وفاضل الطعام هو ذلك الذي يتبقى في قعور الصحون على سفرة الغداء ويبقى قابلاً للأكل. أما الأفضل فهو الطعام المتبقي على السفرة والذي يُجمع ويُرمى للطيور أو في النفايات. وبهذا المعنى تقول: إقبلني يا سيدي، وتصدّق على من هم في أدنى الدرجات الدَنِيّة. وعندما تقول «يا ليتني كنت معك، فأفوز فوزاً عظيماً»، يجيبك الحسين ﷺ قائلاً: أنت قطعة من جسدي، وأجساد الإثنين والسبعين شهيداً، فأنت منّا أيضاً.

حين كنتُ شاباً، قصدتُ مدينة «التربة الحيدرية» في خراسان فالتقيت برجل عجوز من «طَالقان»، وهي منطقة كبيرة تعدّ طهران جزءاً منها، وللإشارة فإنّ أغلب أصحابه ﷺ كانوا من «طالقان». قال لي ذلك الرجل الطالقاني العجوز: «سيّد أحمد، إذا أردتَ الارتقاء إلى ذلك المقام الشامخ، مقام الوصول إلى الحقيقة ورؤيتها، فلتعوّد نفسك على فعل ما يلي: إستيقظ في الليل، وخذ كوباً من الماء واشرب قدراً منه، وسلّم على الحسين والعن قاتليه.

ثمّ ارمِ الماء المتبقي في الكوب أينما كنت، سواءً في الصحراء أو في الحديقة أو في أي مكان مماثل. وقل: أنا لم أروِ عطشي من أجل أطفال الحسين العطاشى». وانظر عندها كيف تصل إلى المكان الذي تودّ الوصول إليه. كثرٌ من الناس يلتقون بأشخاصٍ كبار في السّن ولكنهم يخفقون في الإستفادة منهم، فلهذا الأمر علاقة بالقابلية الموجودة لدى هؤلاء الناس.

وعادة، حينما يصل المرء إلى عالِمٍ ما، يبادر إلى سؤاله عن نصيحة يتبعها أو أمرٍ ينفّذه، ولكنّ الأجدر به أن ينصرف من دون أن يسأل، وأن يتحلى بالأخلاق والفهم والأدب، فيلجأ إلى الخدمة في حسينية هذا العالِم لمدة سنة، على الأقل، ثم بعد ذلك يسأله عن نصيحة أو يطلب منه أمراً ما. وإن أهل الطريق والسلوك والعلم حين يعطون ذكراً لأحدٍ ما، يقصدون من وراء ذلك إبقاءه صامتاً وممتنعاً عن الكلام لدى الاقتراب منهم. فكل الأذكار التي تُعطى لك، إنما تهدف إلى تقريبك من باب الحسين عليه السلام، إذ إنها تبقيك صامتاً وتعلّمك الأدب، وحينئذ تدخل عند الحسين مؤدباً. فأولئك الذين يتكلمون كثيراً، يخرّبون المجالس حين دخولهم إليها.

الدنيا والآخرة عند أهل الولاية واحدة!

الليلة هي ليلة عاشوراء، وثمّة الكثير من الكلام ليُقال في هذا المقام، إلا أنني سأتكلم عن رواية واحدة فحسب. في ليلة عاشوراء، ألقى سيّد الشهداء عليه السلام خطبة بعد صلاة المغرب قال

فيها ما معناه: إنني لست راضياً عمّن أتى طمعاً في أمور يظنّ أنه قد ينالها في هذه الرّحلة. إنّ كل من سيبقى هنا سيُقتل، فعودوا إلى حياتكم ونسائكم وأطفالكم. نظر هؤلاء إلى بعضهم البعض ورحلوا. وبعد صلاة العشاء، توجّه الإمام عليه السلام إلى من بقي معه بخطبة ثانية، فأخبرهم بأنْ لا يخطر ببال أحدهم أنه قد يحصل على دنيا أو رئاسة أو منصب أو مقام في ذلك المكان. وعلى إثر كلامه عليه السلام، رحل من رحل أيضاً. وقبل الإنطلاق إلى كربلاء، كان عليه السلام قد خاطب من يريد الإلتحاق به قائلاً: «ألا ومن كان باذلاً فينا مهجته، موطّناً على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا»[(١)]. ومن المعلوم أنه عندما تُذبح الشاة، تسيل دماؤها، ولكنها ليست الدماء التي أرادها الحسين، بل إن هناك مقداراً من الدماء موجوداً في القلب يُقال له المُهجة، وهي ما أراده الحسين عليه السلام. وعند الحديث عن الحسين عليه السلام، يطلق عليه تعبير «مهجة فاطمة». إذاً، كان مفاد كلام الحسين عليه السلام: فليأتِ معي كلّ من يريد أن يَهَبني مهجته، وهذا كناية عن الإخلاص التام.

ثم عاد الحسين عليه السلام وألقى خطبة في منتصف الليل فقال: يا أصحابي وأنصاري وأعزائي، يا أيها الشباب، إذا كانت لا تزال عندكم أية آمال أو أمانٍ، فارحلوا. وأنتم يا أيها الكبار، إنْ لم تعد عندكم القدرة على القتال، فارحلوا كذلك. ربما تشعرون بالخجل مني لِما يجمع بيننا من عشرة طويلة ومحبّة، ولهذا، سأضع يداي

(١) بحار الأنوار، ج٤٤ ص٣٦٦.

على عيناي وأنظر إلى الأسفل حتى تتمكنوا من الرحيل في هذا الظلام من دون أن يراكم أحد. وعندها، قام عدد من الأشخاص بالرحيل.

بعد ذلك، فتح عينيه وقال إنّ هنالك امتحاناً أخيراً لمن بقي. أمرهم بالوقوف خلفه، فجاؤوا جميعاً. فتح إصبعيه، وقال لهم: أنظروا إلى أماكنكم ومواقعكم في الجنة. فنظروا إلى ما بين إصبعيه ورأوا القصور والحوريات والجنان ولكنهم أعادوا نظرهم بسرعة إلى وجه الحسين عليه السلام(١) وقالوا: يا حبيب قلوبنا، إننا نريد البقاء بجانبك، وأنت تريد إرسالنا إلى هناك؟ نقسم لك بذلك الرّبّ الذي أعطاك هذه العزة، بذلك الرّبّ الذي أعطاك هذا العشق، بذلك الرّبّ الذي أعطاك هذا الجذب، بذلك الرّبّ الذي أعطاك هذه الولاية، بأننا لن نذهب إلى أيّ مكان بعيداً عنك، ولندع ذلك المكان لأهله(٢). وثمة ما يمكن قوله هنا، فلو فتح الإمام عليه السلام الإبهام والوسطى، لكان دلّ ذلك على أمرٍ ذي شأن، لأن بإمكان الإنسان الاستعانة بهذين الإصبعين في حمل الأشياء مثلاً. ولو أظهر الجنة لأصحابه بفتح الإبهام والسّبابة لكان دلّ ذلك أيضاً على أمر ذي أهمية، إذ لهذين الإصبعين استخداماتهما أيضاً. ولكنّه أراهم الجنة بفتحه السّبابة والوسطى، وهذا إن دلّ على شيء

(١) عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إلهي، ما عبدتك خوفًا من نارك ولا طمعاً في جنتك ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك»، ميزان الحكمة، ج٦ ص١٨، ج٢ ص١١.

(٢) ورد في الحديث القدسي عن أهل الخير والآخرة: «قد صارت الدنيا والآخرة عندهم واحدة»، بحار الأنوار، ج٧٤ ص٢٤.

فهو يدلّ على حقارة وخفّة ما يدلّهم عليه، لأن هذين الإصبعين قلّما يُستخدمان معاً لأمر مفيد. وبعد هذا الموقف، قام الحسين عليه السلام بمعانقة أصحابه واحداً واحداً، مؤكداً ثباتهم.

وقد ورد في الحديث أنّ أكثر أهل الجنة من البلهاء، أي أنهم ليسوا من أهل الوعي والفهم. فأهل العقل والمعرفة والوعي لا يطلبون الجنة، بل يطلبون الحسين عليه السلام وهذا ما فعله أصحاب سيد الشهداء، حيث أشاحوا بوجوههم عن الجنة عندما أراهم إياها بين إصبعيه، وذلك لأن جنتهم ودينهم وعشقهم الحسين عليه السلام، الذي زائره زائر الله فوق عرشه(١) وكرسيّه(٢)، فكيف بخادمه ومجاوره وعاشقه!

الحسين هو المقصد

في يوم القيامة، يوفّي الله سبحانه وتعالى الخيّرين وأهل العبادة والمؤمنين جزاءهم، فتكون الجنة حاضرة من أجلهم والحوريات في انتظارهم. كم هو ضعيف الإرادة هذا الإنسان! إنه يفكر بالحوريات والجنة! فكروا باسم الحسين عليه السلام، بكربلاء الحسين عليه السلام، بوجود الحسين عليه السلام، فالولاية تمنح الناس الرّشد والنضج. إسألوا أصغر طفل في هذا المجلس، أتريد في يوم

(١) عن الإمام الصادق عليه السلام: «مَن زار قبر أبي عبد الله عليه الصلاة والسلام بشطّ الفرات، كان كمن زار الله فوق عرشه»، كامل الزيارات، ص٤٨٣.

(٢) من حديثٍ للإمام الرضا عليه السلام: «من زار قبر أبي عبد الله عليه السلام بشطّ الفرات كان كمن زار الله فوق كرسيّه»، كامل الزيارات، ص٢٨٠عنه البحار، ج٩٨ ص٧٦.

القيامة الذهاب إلى الجنة أم الذهاب مع الحسين؟ سيختار الحسين عليه السلام بالتأكيد.

في خلال سفرك، وخصوصاً إلى كربلاء، كنِ الأخير في كل شيء، آخر من يركب، وآخر من يدخل، ولا تنسَ أن تكون الأخير دائماً مهما كانت المسألة، لأنّ في هذا الأمر خيرات جمّة.

يقولون إنه في يوم القيامة، يأتي النداء من الملائكة: فليقم المؤمنون إلى الجنّة، وليحضُر منتظرو الحوريات وليُساق الكفار إلى جهنم. وهكذا، يرحل الجميع ويمضون من صحراء المحشر، ولكن تبقى جماعة من الناس واقفة هناك. فيقترب أولئك المؤمنون من الملائكة المتواجدين في ساحة المحشر ويقولون لهم: منذ أن خلقنا الله جعلنا في خدمة الحسينيين وفي خدمة المؤمنين العاشقين للحسين عليه السلام، فأين هو سهمنا؟ عندها، يشكل الملائكة حلقة في صحراء المحشر. وبأمر من الله، تنادي الملائكةُ الحورياتِ الأفضل والأجمل التي خصّصها الله لهم. فتأتي وتنادي: أيها المؤمنون، يا محبي الحسين عليه السلام وعشاقه وخدّامه، لقد زيّن الله لكم الجنة وخلقنا لأجلكم، فقوموا وتعالوا. فيمسكون بأيدي بعضهم البعض ويضعون رؤوسهم في الأرض. ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «لا يرفعون إليهن رؤوسهم»[1]. فتقول لهم

(١) بإسناده عن زرارة عن الصادق عليه السلام أنه قال: «وما من عين أحب إلى الله ولا عبرة من عين بكت ودمعت عليه، وما من باكٍ يبكيه إلا وقد وصل فاطمة عليها السلام وأسعدها عليه، ووصل رسوله وأدى حقنا، ما من عبد يحشر إلا وعيناه باكية إلا الباكين (الباكي) على جدي الحسين عليه السلام، فإنه يحشر وعينه قريرة،=

الملائكة: ماذا تريدون أكثر من ذلك؟ عندها، يبدأون بالبكاء في صحراء المحشر ويسألون: أين الحسين؟ لن نتحرك من أماكننا إلا مع الحسين عليه السلام. فيخرج النداء: «أنتم الحسينيون حقاً».

لقد وُصف الأصحاب في ليلة العاشر أنّ «لهم دويّ كدويّ النحل»، يا لهذا التشبيه! وعندما تلطمون على الصدور بهدوء وتنادون: «حسين، حسين، حسين»، يقول مَن يسمعكم في الخارج: «لهم دويّ كدويّ النحل»، فعلى غرار تلك الحشرة التي تعطي مادة وجودية شافية، يكون كل نفَس[(١)] تتنفسونه في تلك اللحظات شافياً. لقد انشغل الأصحاب بذكر الله وعبادته، ولم يخلق الله بعد مَن لديه القدرة على تعلم الذكر الذي كان يصدر عنهم، غير أنّ ذكر الحسين عليه السلام[(٢)] هو الذكر الذي يسعى خلفه أهل السلوك. كانوا يُصدرون أصواتاً كأصوات النحل حين كانوا منشغلين في المناجاة وتلاوة القرآن. وقد قال رجلٌ التحق بصفّ الحسين عليه السلام في وقت لاحق: ذهبتُ إلى جيش ابن سعد، في تلك

=والبشارة تلقاه، والسرور بيّن على وجهه، والخلق في الفزع وهم آمنون، والخلق يعرضون وهم حدّاث الحسين عليه السلام تحت العرش، وفي ظل العرش، لا يخافون سوء يوم الحساب، **يقال لهم ادخلوا الجنة، فيأبون ويختارون حديثه ومجلسه، وإن الحور لترسل إليهم، إنا قد اشتقناكم مع الولدان المخلدين، فما يرفعون رؤوسهم إليهم لما يرون في مجلسهم من السرور والكرامة**»، كامل الزيارات ص٨١؛ مستدرك الوسائل ج١٠ ص٣١٣.

(١) عن الإمام الصادق عليه السلام: «نفس المهموم لظلمنا تسبيح، وهمه لنا عبادة»، بحار الأنوار، ج٤٤ ص٢٧٨.

(٢) وقد ورد عنهم عليهم السلام: «إنّا إذا ذُكرنا ذُكر الله»، الكافي، ج٢ ص١٨٦.

الليلة، فرأيتهم مشغولين باللهو واللعب والمفاسد ثم جئتُ إلى هذه الخِيَم فسمعتُهم يتلون القرآن ورأيتُهم يؤدون الأعمال العبادية. وفي تلك اللحظة عرفتُ أن الحق هنا والتحقتُ بركب الحسين عليه السلام.

تلاوة آيات الرحمن ارتباطٌ وأنسٌ بالحسين عليه السلام

ليست تلاوة العزاء باباً للاستدلال، فالروايات والأخبار التي وصلت إلينا عن حادثة استشهاد الحسين عليه السلام وطريقة وقوعها، لم تكن مُهيّأة بشكل يسمح بحفظها كما هو حقها. فلا تقولوا في أيّ وقت من الأوقات إنها كذب، من أين لكم أن تعرفوا ذلك؟ أية جرأة هي هذه في الكلام عن المسائل المتعلقة بالحسين عليه السلام؟ إنّ القضيّة هي قضيّة ارتباط وأنسٍ بالحسين عليه السلام وليست قضيّة استدلال.

في منتصف ليلة عاشوراء، خرج أبو الفضل العباس عليه السلام لوحده في جولة تفقدية للمكان، فيما كان جميع الأصحاب نياماً بعد الدعاء والمناجاة والعبادة. وقد مثّل أبو الفضل بحرَ غضبٍ وقدرةٍ وغيرةِ أمير المؤمنين عليه السلام، ولذا اعتبر الأعداء وجوده في الخيام بمثابة وجود عليّ نفسه، فما كان أحدٌ منهم ليتجرّأ على النظر إليها حتى في الظلام. راح العباس عليه السلام ينفذ مهمّته بمحبّة وولاية، فجعل يدور حول الخيام ويتفقّد أحوالها. وبينما هو كذلك، إذا به يرى سواداً يتجه نحوه، فما كان منه إلا أن رفع صوته سائلاً: من هناك؟ غير أنه لم يسمع جواباً. فتقدّم نحو ذاك السّواد شاهراً

سيفه، ولكنه فجأة أحسّ بالخجل وأعاد سيفه إلى غمده. إنها أخته زينب، أم المصائب وعمّة ساداتنا وأئمتنا الأعزاء. سألها العباس: لِمَ أنت هنا في هذا الوقت من الليل، يا عزيزتي؟ فأجابته قائلة: إن قلبي يحترق على الحسين، وقد جافى النوم عينيّ من كثرة التفكير. وبعد لحظات، رأيا الحسين عليه السلام يخرج من الخيمة. كانت هناك وحدة ولائية تامّة بين الحسين وزينب عليهما السلام في كربلاء، حيث أصبح الحسينُ زينباً وزينبٌ حسيناً. فكلّمه أبو الفضل قائلاً: لِمَ لا تستريح يا أخي؟ قال الحسين عليه السلام: أحسَسْتُ باضطراب في قلبي فأتيت لأرى زينب. وفي ذلك المكان، جلس الأَخَوان مع أختهما زينب على الرمال يخططون لمعركة الغد، فخطة كربلاء رُسِمَت على أيدي هؤلاء الثلاثة: أبو الفضل العباس والسيّدة زينب والحسين عليهم السلام الذي قاد المجموعة[١].

---

(١) لطيفة ولائية: لمعرفة الخطة التي رسمها هؤلاء الثلاثة العِظام في كربلاء، ينبغي علينا في البداية أن نعرف المكوّنات الأساسية التي تقوم عليها كربلاء. فكربلاء تقوم على عدة عناصر وهي: الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه وتراب كربلاء وزوارها وخدّام الحسين عليه السلام. والخدّام منقسمون إلى راثٍ وباذل مال وباذل جسد وجهد بالخدمة في المجالس وإعداد الطعام وما إلى ذلك. وعليه، فقد رسم الإمام الحسين عليه السلام خطة لكربلاء منذ ما قبل اليوم العاشر إلى يوم القيامة. وتضمّنت الخطة تفاصيل ما سيجري عليه وعلى أهل بيته وأصحابه وما يطرأ على تربته التي ستتحول إلى نور وشفاء وموضع للسجود. كما حدّد زوّاره وخدّامه بأسمائهم وقدّر لهم حالهم وأحوالهم وادّخر لكل واحدٍ منهم شيئاً منه أو من أخته زينب أو من أخيه أبي الفضل أو من أمه أو أبيه أو جده أو أخيه أو من واحدٍ من أصحابه. واستودعه له في كربلاء لحين وروده إليها. ثمّ رجع إلى موطنه الأوّل، فالسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حياً=

سيدتي يا زينب، لم يكن لديك طاقة على الإستراحة والنوم لبُعدك عن أخيك الحسين برهةً من الزمن، وأنت يا سيدي، كان حالك مماثلاً. فأيّ قلبٍ كان ذلك الذي ينبض في صدر السيّدة زينب ليلة الحادي عشر من محرّم؟ وهي التي حين حضرت إلى مكان استشهاد أخيها الحسين لم تجد مكاناً لتقبّله فيه، ولذلك قبّلته حيث لم يقبّله لا رسول الله ولا أمير المؤمنين ولا فاطمة الزهراء عليهم السلام. قبّلته في نحره المنحور وقبّلت أوداجه التي كانت تشخب دماً.

=في عرصات يوم المحشر واضعاً رأسه بين يديه وأوداجه إلى ذلك اليوم تشخب دماً. ولهذا معنى وسرّ لا يطّلع عليه إلا الأبرار. فرزقنا الله وإياكم الإطّلاع على تلك اللطائف والأسرار.

النفحة الثامنة

﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ
أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ﴾(1)

كل الوجود مندرج تحت وجوده

يقدّم الوجود المقدس لسيّد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام وأصحابه وأنصاره الذين استشهدوا معه في كربلاء المصداق الأكمل والأتمّ لهذه الآية الكريمة والشريفة. ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ﴾، إنّ لكل كلمة من هذه الكلمات مفهوماً معنوياً وباطنياً خاصاً، ويعطي مجموع هذه الكلمات مفهوماً لافتاً للإنتباه إلى حدٍّ بعيد. وعلى الرّغم من أنّ الكثير من الخطابات التي تضمّها دفّتَيْ القرآن الكريم موجّهة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إلا أن الإنسان يشعر بأن الخطاب موجّه إليه

(1) سورة آل عمران، آية ١٦٩.

شخصياً[(١)]، فأنتم مُخاطبون في الوقت عينه. وتأتي هذه المسألة في سياق معنى أن رسول الله ﷺ جامعٌ لكل عالم الوجود[(٢)]، فالبشر، وخاصّة المؤمنون منهم، مندرجون تحت وجوده المبارك[(٣)] وفي كُمون ذاته، وهذا هو التوحيد. التوحيد الذي لم

(١) من كلام للإمام الصادق عليه السلام: «وذلك أن القرآن نزل على إياك أعني واسمعي يا جارة»، الهداية الكبرى، ص٤٣٤.

(٢) قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**أتزعم أنك جرمٌ صغير وفيك انطوى العالم الأكبر**»، (ديوان الإمام علي عليه السلام ص١٧٥). ومن كلام لأمير المؤمنين عليه السلام: «... وهل يُعرف أو يوصف أو يُعلم أو يُفهم أو يُدرك شأن من **هو نقطة الكائنات وقطب الدائرات وسرّ الممكنات وشعاع جلال الكبرياء** وشرف الأرض والسماء...»، (كتاب مسند الإمام علي عليه السلام ج٩ ص٣٣، مشارق أنوار اليقين ص١١٤). كما ورد عن أميرالمؤمنين: «**الصورة الإنسانية هي أكبر حجج الله على خلقه، وهي الكتاب الّذي كتبه بيده، وهي الهيكل الّذي بناه بحكمته، وهي مجموع صور العالمين**، وهي المختصر من اللوح المحفوظ، وهي الشاهدة على كلّ غائب، وهي الحجة على كلّ جاحد، وهي الطريق المستقيم إلى كلّ خير، وهي الجسر الممدود بين الجنّة والنار»، (المجلي، ص١٦٩، الحقائق للكاشاني، ص٣٤٩ وفيه عن الصادق عليه السلام). ومن كلامٍ للإمام الصادق عليه السلام مع المفضل: «... قال المفضل: إن هذا الكلام عظيم يا سيديً تحار فيه العقول فثبتني ثبتك الله وعرفني ما معنى قول أمير المؤمنين عليه السلام: «الذي كنا بكينونيته في التمكين»؟ قال الصادق: نعم، يا مفضل، **الذي كنا بكينونيته في القدم والأزل هو المكوّن ونحن المكان، وهو المنشئ ونحن الشيء، وهو الخالق ونحن المخلوقون، وهو الربّ ونحن المربوبون، وهو المعنى ونحن أسماؤه المعاني، وهو المحتجب ونحن حجبه قبل الحلول في التمكين ممكنين لا نحول ولا نزول وقبل مواضع صفات تمكين التكوين قبل أن نوصف بالبشرية والصور والأجسام والأشخاص ممكن مكون كائنين لا مكونين، كائنين عنده أنواراً لا مكونين...**»، صحيفة الأبرار ج٢ ص٥١٨.

(٣) ورد في دعاء الإفتتاح: «اللهم إنا نشكو إليك فقدَ نبيّنا وغيبة وليّنا»، وهذه الشكوى هي لفقدان النسخة الوجودية للنبي والولي فينا، إذ إن هذا الاندراج تحت وجود النبيّ ﷺ يختلف بالشدّة والضعف بين شخص وآخر.

نستطع الوصول بعد إلى أيّ جانبٍ من جوانبه، ولا نعرف حتى إنْ كان يُكتب بالتاء أو بالطاء. وفوق كل ذلك، نطمح في أن نثاب على الذكر الذي نأتي به.

ويأتي طريق فهم التوحيد من هذا الباب نفسه، فالخطاب الذي يتضمّنه القرآن موجّه إلى الذات المقدسة لرسول الله ﷺ، ولكن، لماذا أرى أنني مُخاطَب أيضاً؟ ذلك لأنك مندرج تحت وجود الرسول الأكرم، خاتم الأنبياء ﷺ، فهو الصادر الأوّل، والعقل الأوّل[(١)]. وبما أنه العقل الأوّل والكلي، يندرج كل وجود العالم تحت وجوده[(٢)]. وإلا فمن أين لك أن تؤمِن بحقيقة الكل؟ فهذا الإيمان والقبول يرجع إلى حقيقة امتلاكك نسخة منه في وجودك،

---

(١) ورد في الرواية: «أول ما خلق الله العقل»، (بحار الأنوار، ج ص ٩٧). وعن جابر بن عبد الله قال: قلت لرسول الله ﷺ: «أول شيء خلق الله تعالى ما هو؟ فقال: نور نبيك يا جابر خلقه الله ثم خلق منه كل خير...»، (بحار الأنوار، ج٢٥ ص٢١-٢٢).

(٢) **كما يندرج تحت وجود الجهل الأوّل، كل الجهل وآثاره وظهوراته.** فقد ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «... قال: **ثم خلق الجهل من البحر الأجاج ظلمانياً فقال له: أدبر فأدبر، ثم قال له: أقبل فلم يقبل. فقال له: استكبرتَ فلعنه** ثم جعل للعقل خمسة وسبعين جنداً فلما رأى الجهل ما أكرم الله به العقل وما أعطاه أضمر له العداوة. فقال الجهل: يا ربّ، هذا خلق مثلي خلقته وكرمته وقويته وأنا ضدّه ولا قوة لي به فأعطني من الجند مثل ما أعطيته فقال: نعم، فإنْ عصيتَ بعد ذلك أخرجتُك وجندك من رحمتي. قال: قد رضيت. فأعطاه خمسة وسبعين جنداً...»، **وإذا كان العقل متعيّناً بمحمّد ﷺ، فبمن يا تُرى تعيّن وتشخّص هذا الجهل؟ وهو الذي بمعرفته يخرج الإنسان من الظلمات إلى النور.**

ولو لم تكن تمتلك نسخة من هذه الحقيقة، لما كنتَ لتتمكّن من التصديق بأنه خاتم الأنبياء(١).

(١) ﴿فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾، (سورة يونس، آية ٧٤). ومن كلام لآية الله السيد أحمد النجفي دام ظله: لا بدّ من الإلتفات، إلى أنّ الإنسانَ، **ما لم يصبح بنفسه صاحب نفس ملهمة، لا يمكنه أنْ يفهم كلّ هذا الكلام**، وقد كان تصديق الخواصّ للأنبياء عليهم السلام بهذا النحو حيث أنّ **أصحاب النفس الملهمة كانوا يصدّقون بنبوّة النبي ويقرّون بنبوّته حقّاً. وأمّا أولئك الذين لَمْ تكن لهم نفس ملهمة، فقد كانوا يدّعون تصديقهم لنبوّة النبي بتبليغ الآخرين لهم وتقليدهم، ولكنّهم كانوا بعد ذلك يسحبون السيوف في وجه أمير المؤمنين** عليه السلام. **في يوم الغدير، وضعوا أيديهم بيد النّبي الأكرم** صلى الله عليه وآله وسلم **على أنْ يكون عليّ** عليه السلام **خليفة الرسول** صلى الله عليه وآله وسلم، **ولكنّهم أنكروا الأمر الإلهي بعد ذلك ولَمْ يقبلوه، وسبب هذا الإنكار أنّهم لم يُلهموا أمر ولايّة رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم **ونبوّته.** هذه هي حقيقة تصديق قول الأنبياء عليهم السلام، **فما لَمْ يصبح الإنسان واحداً مع تلك الحقيقة لا يمكن أن يفهم ما إذا كان هذا من متاع النبوة أو ليس من متاعها**، وفهم طبيعة النبوة ومتاعها لا يكون إلاّ أنْ يكون واحداً مع تلك الحقيقة. ورد أنّ أكثر عبادة أبي ذر رضوان الله عليه كانت التفكر في الله، وقد كانت عبادته منسجمة مع ما ذكره أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته النوارنيّة أنّ أوّل عبادة الله معرفته، وقد كان على هذا الأمر قبل أنْ يُظهر الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أمرَ نبوّته. **ورد عن أبي ذر أنّه قال: «صلّيت قبل الإسلام قبل أنْ ألقى رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم **ثلاث سنين، فقلت: لمن؟ قال: الله، فقلت: أين تتوجه؟ قال: أتوجه حيث يوجهني الله»**، (الغدير، الأميني، ج٨ ص٣٠٨). كان أبو ذر قرب المدينة، فقال له الناس أنّ هناك شخصاً في مكّة يتكلّم بنفس ما تتكلّم به، فقال لهم أبو ذر: فلنحمل نواقنا، فإنّ هذا نبي الله. **أبو ذر لَمْ ير النبي الأكرم** صلى الله عليه وآله وسلم، **ولَمْ ير أي معجزة منه على الإطلاق، فمن أين علم هذا الأمر؟ لقد كان أبو ذر صاحب نفس ملهمة.**

لا تصديق مع غياب النسخة

جاء رجل وقال: أنا نبيّ أرسلني الله، وهذا كتابي يتضمن الأحكام في طيّاته، وقد أنزل عليّ جبرائيل آياتِه التي أتلوها عليكم من عند الله. وإذا بكَ تقول: نعم هذا صحيح، أنا أقبل بذلك. كيف تقول ذلك وأيّ دليل لديك؟ الحقيقةُ أنه إذا امتلك المؤمن نسخة عن ذلك في وجوده، فإنّ تصديقه يكون صحيحاً. غير أن أولئك الذين أساؤوا لرسول الله ﷺ وأحرقوا باب بيت أمير المؤمنين عليه السلام ونصّبوا غيرَه مكانه، كذّبوا وما فهموا هذا المعنى وما أدركوه. لقد قال الطيبون والطاهرون والواصلون إلى التوحيد والمُدركون له: نعم، نشهد أنك رسول الله، فيما قلّد المُسيئون قوْل هؤلاء المؤمنين. إلا أنهم في ميدان العمل لم يستطيعوا اللحاق بمن ساروا على خط أمير المؤمنين والسيدة الزهراء عليهما السلام، ولم يتمكّنوا من الخضوع والتسليم الكامل لهما. وبذلك، كان توحيدهم مع رسول الله ﷺ مجرد كلام. فلو وصل توحيدهم إلى الكمال، لكانوا قبِلوا بكل ما أتى به الرسول وأهل بيته عليهم السلام(١).

---

(١) ومن آمن وصدّق وأقرّ بكل ما ورد عن الأئمة عليهم السلام، سيؤمن بكل ما سيرد عن صاحب الزمان عليه السلام، والعكس بالعكس. **لطيفة ولائية**: تكثر التساؤلات عن السّبب في طبيعة الحياة التي وُجد فيها الإنسان بكل ظروفها وتفاصيلها منذ ولادته حتى وفاته.إلا أن كلّ ما نعيشه في هذه الحياة الدنيا **هو ما قد حَكَمْنا به على أنفسنا منذ عالم الذرّ، إن لم نقل قبل ذلك. ولذا، لا يلومنّ أحدٌ أحداً، إذ ورد عن أبي جعفر** عليه السلام: «**لو علم الناس كيف كان ابتداء الخلق لما اختلف اثنان...**» (بحار الأنوار، ج٥ ص٢٥٢). فقد اختار كل واحد منّا مصيره=

=وحياته بإرادته، وكان على علم ومعرفة آنذاك. وعليه، نستطيع القول بأنّ الإنسان اتخذ قراره وهو بكامل وعيه وإدراكه ومن دون أي ضغط من أحد. فقد قال الله تعالى: ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُۚ﴾ (سورة الأعراف، آية ١٠١) وفي تفسير هذه الآية، **ورد عن الإمام أبي جعفر** عليه السلام **أنه قال: «إن الله عز وجل خلق الخلق فخلق من أحبّ مما أحب، وكان ما أحبّ أن خلقه من طينه الجنة، وخلق من أبغض مما أبغض وكان ما أبغض أن خلقه من طينه النار، ثم بعثهم في الظلال.** فقلتُ وأي شيء الظلال؟ فقال: ألم تر إلى ظلك في الشمس شيء وليس بشيء؟ ثم بعث منهم النبيين فدعوهم إلى الإقرار بالله وهو قوله عز وجل: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ﴾ (سورة الزخرف، آية ٨٧)، **ثم دعوهم إلى الإقرار بالنبيين فأنكر بعض وأقرّ بعض، ثم دعوهم إلى ولايتنا فأقرّ بها والله من أحب، وأنكرها من أبغض، وهو قوله عز وجل:** ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُۚ﴾» (بحار الأنوار، ج٥ ص٢٤٤). وتشير «من قبل» هذه إلى ذاك العالم، **فمن كذّب بالولاية آنذاك لن يؤمن بها في هذه الدنيا والعكس صحيح.** ولهذا، فإنّ الدنيا سجن المؤمن، **إذ بعد اللا والبلى التي قيلت في ذاك العالم، تكون نتيجة التذبذب هناك الشعور بالسّجن هنا في الدنيا، خصوصاً وأن الكل قد رأى الله وعرفه،** ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾، **(سورة البقرة، آية ٨٩)**. وإنّ كل ما جرى عندما خلق الله البشر ذراري وأنطقهم كان عن معرفة وشعور وإحساس وعلم ودراية، وبه يُستدل على وجود الحياة والقدرة وإلّا لما نطقوا. وهذا ما تؤكّده الرواية المنقولة عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآۛ﴾ (الأعراف، آية ١٧٢)، **حيث سُئل: «معاينةً كان هذا؟ قال: نعم، فثبتت المعرفة ونسوا الموقف وسيذكرونه ولولا ذلك لم يدرِ أحد مَن خالقه ورازقه، فمنهم من أقرّ بلسانه في الذرّ ولم يؤمن بقلبه،** فقال الله: ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُۚ﴾» (بحار الأنوار، ج٥ ص٢٣٧)، وفي رواية أخرى في هذا السياق، **قال الإمام الصادق** عليه السلام **لما سئل: «إن الله جعل فيهم ما إذا سألهم أجابوه»**، (تفسير العياشي، ج٢ ص٤٤؛ بحار الأنوار، ج٥ ص٢٥٨). وما كان أحدٌ في هذه الدنيا ليعرف الحقيقة ولا ليقبل بها لو لم تتطابق مع نسخته=

=الوجوديّة. **فالكل نطق بما هو محفور في قلبه، منذ أن كان في ذاك العالم، وأظهره في عالم المادة وترجمه بأفعاله وحركاته وسكناته.** وإذا أردنا أن نتساءل عن مردّ ما في القلب، لن يكون الجواب إلّا أنّ الله خلق من أحبّ ممّن أحبّ ومن أبغض ممّن أبغض. **وإنّ منشأ ما في القلب مرجعه إلى الإختيار والنظرة من سيّد الشهداء** عليه السلام **قبل ذاك العالم، فمن نظَره وبرقه ببصره جعله الله منه وإليه،** ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾. **وذلك مرتبط بمقدار ما أصاب الموالي من تلك الدماء الزكية التي رمى بها سيّد الشهداء إلى السماء ولم تسقط منها قطرة واحدة إلى الأرض،** فأين ذهبت تلك الدماء يا تُرى؟ لقد قام الحسين عليه السلام برمي الدماء إلى السماء ثلاث مرات، مرة حين حضر شهادة ولده علي الأكبر ومرة حين ذُبح طفله الرضيع بين يديه ومرّة حين أصيب هو عليه السلام بالسهم المثلّث، وفي تلك المرات الثلاث، لم تسقط من الدماء قطرة واحدة إلى الأرض، **فقد تناثرت على كل الشيعة في العالم وطال كل واحد منهم مقدارٌ منها. وعلى أساس هذا المقدار، كانت النظرة، فكان اختيار الله لذلك الشيعي وتحدَّد حجم محبّته وولايته،** كالأصحاب الذين قال عنهم سيّد الشهداء لأخته زينب عليها السلام: «**يا أختاه، إعلمي أن هؤلاء أصحابي من عالم الذر**»، (وهذا الموقف الذي ظهر يُستدلّ منه على ما بطن منه في ذاك العالم). فالنظرة هي التي جعلت الهدهد يمتاز عن غيره، إذ إنه حين سُئل عن السبب الذي أوصله إلى ذاك المقام والمنزلة عند الله تعالى، قال إنّ النبي سليمان كان يديم النظر إليه ولهذا اختاره الله. وبالتالي، فإن كل شيء قد يتغيّر في وجودنا بنظرة واحدة من الإمام. ومن هذه النظرة يتأتّى الحبّ الذي هو على نوعين: حصولي تدريجي وحضوري دفعي، يحصل جملة واحدة وبجذبة واحدة، إذ يُقذف في القلب بلا سبب أو واسطة. ومن هنا كانت **محبتهم** عليهم السلام **هي الحل الوحيد للخروج من كل المحن والابتلاءات لأن في هذه المحبة سراً لم يُكتشف إلى الآن ولا يمكن حصره ضمن قانون معين. وإن سرّ هذا الحب ما زال مجهولاً فقد يكون في المحبوب سرّ يُغشي بصر المحبّ فيجذبه إليه وإذا ما اشتدّ هذا الجذب وارتفع الحبّ إلى أعلى الدرجات تحوّل إلى عشق ولقد كان عليّ** عليه السلام **محبوب القلوب ومعشوق الناس، فلماذا وكيف وفيمَ امتاز علي حتى أثار العشق فولِهت به القلوب**=

=**واصطبغ بصبغة الحياة الخالدة**؟ لماذا ترى القلوب شديدة القرب منه ولا تحسبه قد مات بل هو حي يُرزق. إن حبّ علي ليس من قبيل حبّ الأبطال الشائع في كل الأمم، لأن **علياً هو الآية العظمى ومظهر صفات الله والاسم الأعظم وعندما نعشقه فإنما نعشق الكمال والحقيقة المطلقة التي يصبو إليها الإنسان بفطرته التي تسعى لكل كمال ومطلق من عشقٍ وحبٍ وعلم وحياة. إن الذي يعشق عليّاً** عليه السلام **يصبح حيّاً مطلقاً وذا علم مطلق لأنه يرتوي بالعشق المطلق وليس بحاجة إلى أي عشق محدود. وإن حبّ عليّ** عليه السلام **هو الإكسير الذي يحوّل الشيء إلى شيء آخر وهو الذي يحوّل التراب إلى ذهب ويحوّل الكافر إلى مؤمن والظلمة إلى نور وهو الدواء لكل داء**. ولذلك، نجد أن أهل البيت عليهم السلام ما تعاملوا مع الناس إلا من خلال المحبّة لأنه بها لا بسواها يصلح الإنسان وبغيابها تظهر الرذائل والضغائن. وإذا ما أرادوا التأثير بأحد عمدوا إلى محبّته. **وكذلك هو حال الأولياء أيضاً، فعندما يحبّنا ولي من الأولياء تتغير قلوبنا وتطهر أرواحنا لأن محبته تصفي وتمحو الصفات الرذيلة الناشئة من الأنانية كالتكبّر والعُجب وتزيل الحقد والحسد**. ويُحكى أنه حين حضر أمير المؤمنين عليه السلام مرة إلى سوق العبيد وقف في مكانٍ ما، وراح ينظر إلى العبيد المعروضين. نظر يُمنةً ويُسرى، فوقع نظره على أحد العبيد. وكان ذلك العبد ينظر إلى أمير المؤمنين عليه السلام أينما نظر. تبسّم المولى للعبد، فبادله الابتسامة. فقال الأميرلصاحب هذا العبد: بكم تبيع هذا؟ طلب البائع سعراً معيناً، ولكن المولى أعطاه ضعف ما طلب. كان ذاك العبد هو قنبر الذي بدأ يبكي حين وصل إلى خدمة أمير المؤمنين عليه السلام، وقال له: عندما نظرتَ إلي طلبتُ أن أكون عبداً لك. هي نظرة واحدة وانظر ماذا تفعل! وبتلك النظرة تمّ اختيار الشيعة والموالين، فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**إنّ الله تبارك وتعالى اطّلع إلى الأرض فاختارنا، واختارَ لنا شيعة**» (بحار الأنوار، ج٤٤ ص٢٨٧). **وإنّ الإمام يعرف ظاهر الأشياء وباطنها وأولها وآخرها بنظرة واحدة، لأنه الاسم الجامع الحاكم على جميع الأسماء والصفات، وهذه الأسماء الأربعة، أي الأول والآخر والظاهر والباطن، هي أمهات الأسماء. فالإمام بكل شيء عليم، مذ كان علمه علم الله، كما أن معرفته هي معرفة مطلقة**. أما البشر، فيعرفون=

«اللهم إنا نشكو إليك فقدَ نبينا وغيبة وليّنا»[(١)]، ليس هناك في أيدينا أيٌّ من الأدلة الإلهية، ونحن لم نرَ رسول الله ﷺ، ولا أحد فينا يدري ما في القرآن. فلا يتخيّلنّ أحدكم أن تلاوته للقرآن وتفسيره له يعنيان بأنه يعرف القرآن. ولكن نعم، أنا أعرف القرآن، إذ ينبغي أن يكون هناك نسخة للقرآن في وجودك حتى تعرفه. وإذا لم يكن لدى الإنسان نسخة قرآنية وجودية، فلن يكون إلا عديم المعرفة بهذا القرآن. وكوْني قلت إنني أعرف القرآن، لا يعني ذلك بأنني إنسان جيّد تمكّن من الوصول إلى مقام ما، بل يعني أنّ أستاذي أستاذٌ جيّد، وقد عَرَف كيف يعلمني. فلا يكذبنّ أحد ويقول إنه يعرف القرآن، إذ إنّ أحداً لا يعرفه ولا يعلم تفسيره[(٢)].

تلاوة القرآن لا تعني معرفته

يعتبر الشهيد بذاته مصداق النسخة عن القرآن. وهناك شهيدٌ ما كان يمتلك أيّ علم ولم يتلُ يوماً آيات القرآن الكريم، وهو ذلك

=بحسب ولايتهم وظرفيتهم وعلمهم ونورهم. فمنهم من يعرف الظاهر ومنهم من يعرف الباطن، ومنهم من يعرف الأول ومنهم من يعرف الآخر. ومنهم من يعرف الإثنين معاً، لكن بحسب اتصاله بالإمام عليه السلام، مع العلم أن البشر يعرفون باطن الأشياء وظاهرها وأولها وآخرها من خلال ارتباطهم بالزمان والمكان، بخلاف أهل البيت عليهم السلام الذين لهم الإحاطة بكل شيء فلا يحتاجون إلى الزمان والمكان. وهذان العاملان يُسهمان في كشف معدن الناس وسرائرهم من خلال الحوادث والابتلاءات، ولذلك انتفت حاجة أهل البيت إليهما.

(١) دعاء الإفتتاح، مفاتيح الجنان.

(٢) ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾، سورة آل عمران، آية ٧.

الشهيد النصراني الذي التقى بالحسين عليه السلام في الطريق. فنحن لا نملك أيّ دليل على أن وهب النصراني قد انتقل إلى الإسلام ولم يذكر أحدٌ ذلك. وإذا سمعتم أحياناً مَن يقول بأنّه قد نطق بشهادة أن «لا إله إلا الله»، فليس ذلك إلا من أجل تسهيل القصة، لأنّ وهب لم ينتقل إلى الإسلام.

لقد قُتل الحسين عليه السلام بهذا الإسلام، كما أن المتّهم بما جرى على السيدة زينب وأهل البيت عليهم السلام بعد تلك الواقعة، هم أولئك المسلمون الذين لم يعرفوا القرآن قطّ. فلو عرفوه، لما أقدموا على قتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ووليّ الله وحجته. صحيحٌ أنهم كانوا يتلون القرآن ويحفظونه إلا أنهم لم يمتلكوا المعرفة به، كما أنهم لم يعرفوا الصلاة، مع أنهم كانوا يصلون. ولكي لا يُؤخّروا صلاتهم عن وقتها، قالوا: دعونا نصلي أولاً ومن ثمّ نتوجّه لقتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

إنّ لهذا القرآن وجوداً عينيّاً وواقعياً. ولمزيدٍ من الإيضاح، نشير إلى أنه كما هو الحال مع كل شيء في العالم، فإن للقرآن أربعة وجودات: الوجود اللفظي، وهذا نعرفه، والوجود الكتبي وهو أيضاً نعرفه، والوجود الذهني المتعلق بالحفظ الذي نعرفه كذلك، ولكن يبقى الوجود الواقعي للقرآن، فأين هو هذا(١)؟ إنه إذا نجح المرء في العثور على الوجود الواقعي للقرآن، فمعنى ذلك أنه يمتلك النسخة الأصلية منه في داخله. وأما إذا لم يعثر عليه، فذلك

(١) ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾، سورة العنكبوت، آية ٤٩.

يعني أنه يفتقد تلك النسخة. ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا﴾[١]، على الإنسان أن يقطّع نفسه إرباً إرباً وقطعة قطعة حتى تدخل هذه الآية في روحه، وبعد ذلك يتمكن من معرفة أولئك الذين يشكلون مصداقاً لهذه الآية.

الشهيد هو صاحب الشهود للحقيقة

رُوي أنّ رجلاً قال للإمام الصادق عليه السلام: فداك نفسي، أودّ أن أكون شهيداً في سبيل الله وفي سبيل الدفاع عن الإسلام. فأجابه قائلاً: إنك شهيد بالفعل. فاستغرب الرجل وسأله: كيف ذا وأنا حيّ؟ إنهم يظنون أن الشهيد هو مَن ينفصل رأسه عن جسده فحسب، في حين أنّ الشهيد هو اسم من أسماء الله، ولذلك هو حيّ. ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا﴾، إنّ الشهيد هو اسم من أسماء الله، وأسماء الله لا تموت في أيّ وقت من الأوقات. فليس الشهيد بمعنى المقتول وليس الشهيد بمعنى ذلك الذي انفصل رأسه عن جسده، إنما الشهيد هو المطّلع على الحقائق، والحائز على الشهود العينيّ لها، فهذا هو الشهيد. ولكن، من غير الممكن أن نقول إنّ عند الله شهوداً للحقائق ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[٢]، «وتنزّه عن مجانسة مخلوقاته»[٣]، فالله ليس كمثله شيءٌ، هذا

(١) سورة آل عمران، آية ١٦٩.
(٢) سورة آل عمران، آية ١٨.
(٣) دعاء الصباح، مفاتيح الجنان.

صحيح. ولكنّ الشهداء يمتلكون سهماً من رأس المال ذاك، فطبيعة وقوفهم على الحقائق وفهمها هي من طبيعة ذلك الوقوف الإلهي.

وإنّ لدى الأئمة عليهم السلام علم الله[١]، فما الفرق بينهم وبينه؟ إنّ الفرق معلوم، فهُم أخذوا العلم من الله بينما لم يأخذ الله العلم من أحد. والشهيد أخذ شهوده من الله، ولكنّ الله لم يأخذ الشهود من أحد، وهذا هو الفرق. وفي الزيارة الرجبية نقول، «اللهم إني أسألك بمعاني جميع ما يدعوك به ولاة أمرك، المأمونون على سرّك، المستبشرون بأمرك، الواصفون لقدرتك، المعلنون لعظمتك... لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك، فتقها ورتقها بيدك، بدؤها منك، وعودها إليك، أعضاد وأشهاد ومناة وأذواد وحفظة وروّاد»[٢]. إنهم المعصومون الأربعة عشر لا

(١) نقله العلامة المجلسي في بحار الأنوار حيث قال: «... أنه عليه السلام لمّا عزم على الخروج من المدينة، أتَتْه أمّ سلمة رضي الله عنها فقالت: يا بنيّ، لا تُحزنّي بخروجك إلى العراق، فإني سمعتُ جدّك يقول: يُقتَل ولدي الحسين بأرض العراق في أرض يقال لها كربلاء. فقال لها: يا أمّاه! **وأنا والله أعلم بذلك، وإني مقتول لا محالة، وليس لي من هذا بدّ، وإني والله لأعرف اليوم الذي أقتل فيه وأعرف من يقتلني وأعرف البقعة التي أُدفَن فيها، وإني أعرف من يُقتل من أهل بيتي وقرابتي وشيعتي، وإن أردتِ يا أمّاه أُريكِ حفرتي ومضجعي**. ثم أشار عليه السلام إلى جهة كربلاء، فانخفضت الأرض حتى أراها مضجعه ومدفنه وموضع عسكره وموقفه ومشهده. فعند ذلك بكَت أم سلمة بكاءً شديداً، وسلّمت أمره إلى الله. فقال لها: يا أمّاه، قد شاء الله عزّ وجل أن يراني مقتولاً مذبوحاً ظلماً وعدواناً وقد شاء أن يرى حرمي ورهطي ونسائي مُشرّدين وأطفالي مذبوحين»، (بحار الأنوار، ج٤٤ ص٣٣١)، **وهذه الرواية بمعناها ما هي إلا غيض من فيض علمهم** عليهم السلام.

(٢) الزيارة الرجبية، مفاتيح الجنان.

غيرهم، وكل من التصق بهم. ذلك لأن القطرة إذا ما اتصلت بالبحر تصبح بحراً، فالمتصلون بهم كذلك أيضاً.

بدء الوجود منهم وإيابه إليهم

يُرجعنا هذا البحث إلى المطلب الأوّل المتعلق بالتوحيد. فقد خاطب الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ قائلاً: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا﴾، ولكن، لماذا تأخذ أنت بهذا القول؟ ذلك لأنك مندرج تحت وجود رسول الله ﷺ مثلما أن العالم كله مندرج تحت هذا الوجود. «وإياب الخلق إلينا»[(١)]، ليس الإنسان والجنّ والملائكة فحسب، بل الخلق الذي هو الوجود كله. فالكل يعود إليهم، ومردّ ذلك إلى أنّ «بدؤها منك»[(٢)]. لقد أُخِذ الوجود من هذه الحقيقة، ونحن بدورنا أخذنا وجودنا من آل محمد ﷺ، وإليهم نرجع[(٣)].

(١) الزيارة الجامعة، مفاتيح الجنان. وكلمة «الإياب» لغةً تعني الرجوع، وهي غالباً تشير إلى الرجوع إلى الأصل، يعني المبدأ الذي تم الانطلاق منه ومغادرته.

(٢) الزيارة الرجبية، مفاتيح الجنان.

(٣) من كلامٍ لآية الله السيد أحمد النجفي دام ظله: **ورد في الزيارة الجامعة المباركة: «وأنفسكم في النفوس»، وهو باعتبار الأنوار الأربعة عشر، وإلاّ لو كانت الوحدة التامة ملحوظة ما قيل: «وأنفسكم»، ولقيل: «ونفسكم الطيبة الزكيّة في النفوس»؛ وهذا إشارة إلى رجوع هذه الأنوار الأربعة عشر إلى حقيقة واحدة، أو رجوع الأئمة الإثني عشر إلى نفس تلك الحقيقة، أو رجوع الأنوار الخمسة إلى حقيقة واحدة**، أو باعتبار أنا وعليّ، فهما نوران يرجعان إلى حقيقة واحدة ونور واحد، فهي حيثيّة واحدة تكشف عن نشأة وجوديّة واحدة، **ولكن حيث أنّ البشر لمْ يصلوا إلى هذه الحيثيّة الوجوديّة الوحدانيّة فيقولون:** =

وفي السياق نفسه، ترتبط الزيارة الجامعة بهم عليهم السلام، ألا تقبلونها؟ ألا تقبلون بالروايات؟ ما إن تخرج ذرة مِن حقائق هذا العالم مِن أذهان العارفين بها، حتى يَلقوا معاملة سيئة من جميع الناس[(١)] الذين يقولون إنهم لم يسمعوا بذلك من قبل[(٢)]، وهذا هو الجهل بعينه[(٣)]. وإنْ كنتم لم تسمعوا بذلك في السابق، فهل هذا

=«وأنفسكم في النفوس». **ما زلنا نتكلم في الواحد! هذه الأنفس التي لها نفس الحيثيّة الواحدة لها ظهور في كلّ الموجودات**، ومن هنا ورد في الزيارة: «ذكركم في الذاكرين وأسماؤكم في الأسماء، وأجسادكم في الأجساد، وأرواحكم في الأرواح وأنفسكم في النفوس، وآثاركم في الآثار، وقبوركم في القبور، فما أحلى أسماءكم وأكرم أنفسكم، وأعظم شأنكم وأجل خطركم وأوفى عهدكم». هل تتأملون في هذه العبارات الواردة في الزيارة الجامعة عندما تقرأونها؟ بل نقول إنّ هذه العبارات هي لعوام الناس، **لأنّ الناس لمْ يخرجوا عن حيثيّة التعدد، فيخبر عن تلك الحقيقة بصيغة الجمع، وإلاّ لا يوجد إلاّ روح واحد ونفس واحدة، فلا بدّ من نفي هذا التعدد حتّى تظهر هذه الرّوح الواحدة.** «إنّ روح الإيمان واحدة خرجت من عند واحد وتتفرق في أبدان شتّى»، (الاختصاص، ص٢٤٩).

(١) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما من مؤمن إلا وقد وكل الله به أربعة: شيطاناً يغويه يريد أن يضله، وكافراً يقاتله، ومؤمناً يحسده، هو أشدّهم عليه، ومنافقاً يتبع عثراته»، بحار الأنوار، ج٦٥ ص٢٢٢.

(٢) ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾، (سورة ص، آية ٧). ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾، سورة سبأ، آية ٤٣.
(١) عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**وما لله آية أكبر مني**»، تفسير القمّي، ص٧٠٩.
(٢) قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**علي مع الحقّ والحقّ مع عليّ**»، بحار الأنوار، ج١٠ ص٤٣٢.

(٣) عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**المرءُ عدوٌّ ما جَهِل**»، (شرح غرر الحكم، ج١=

دليل على عدم صحّته وحدوثه واقعاً؟ حسناً، والآن بعد أنْ سمعتموه[(١)]، ما أنتم فاعلون؟ كم أوصى رسول الله ﷺ بأهل بيته؟ وقد سمع الكلّ ذلك، ولكن ماذا فعلوا؟ قالوا إنه ليس لهذه المسائل وجودٌ في القرآن، ألم نقل إنهم لا يفهمون القرآن؟ ليست القاعدة موجودة في داخل القرآن، غير أنّ هناك مكاناً ابتدأ منه هذا القرآن. وكل من هو بانٍ على ذلك، يأخذ من ذلك المكان فيتهيّأ له القرآن الكريم، وأما من هو ليس بانياً على ذلك، فسيبقى في مكانه، وهذا ما يقال له التأويل.

يقول البعض إن القاعدة غير موجودة في القرآن والحقيقة الأسمى التي هي حقيقة الولاية غير موجودة فيه، هذا صحيح، وهو الكلام نفسه الذي يقوله الشيطان والوهابيون وكل من يريد القضاء على القرآن. ومن هنا، فإن من لم يحصّل التعليم ولم يحظَ بتلك النورانية الباطنية ولم يكن له أستاذ ومعلم إلهي وربّانيّ يُسَلّم له، ينحرف سريعاً، ويصبح كل كلامه عبارة عن هذه الجملة: «ليس موجوداً في القرآن». وأنا أودّ طرح سؤال على أمثال هؤلاء

=ص١١٦). وعنه عليه السلام: «لو أخذت مائة قلوبهم كالذهب المصفى، ثم أخذت من المائة عشرة، ثم أخذت من العشرة واحداً، ثم اختبرته ببعض ما عندي فإذن لقال: علي أكذب العرب، وذلك **لأن الناس أعداء ما جهلوه، فإذا طلع لهم باب من العلم فقصر دونه أفهامهم كذبوا قائله**»، آداب النفس، ج ١ ص ٩٢.

(١) يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾، (سورة الأنفال، آية ٢٣). كما يقول: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾، سورة البقرة، آية ٩٣.

الأشخاص: في القرآن أعمال كثيرة، فهل تؤدونها؟ أيّ عمل تؤدونه ممّا هو مذكور في هذا القرآن؟

من هو «الإمام المبين»؟

في ما يتعلق بمسألة التوحيد، يذكر القرآن الكريم: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾[1]، فرسول الله ﷺ هو الإمام المبين وكذلك أمير المؤمنين والحسن والحسين وكل المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام[2]. أما الصديقة الطاهرة عليها السلام فهي مخزن ومنبع «الإمام المبين»، فقد قال رسول الله ﷺ بحقها إنها «أم أبيها»[3] وهي أمّ الأئمة النجباء عليهم السلام بدءاً من أمير المؤمنين وصولاً إلى بقيّة

---

(١) سورة يس، آية ١٢.

(٢) عن أبي محمد عليه السلام: «من عرفهم عرف الله ومن أنكرهم أنكر الله فلا مؤمن إلا وهو بهم مصدق وبمعرفتهم موقن»، كشف الغمة، ج٢ ص٤١٩.

(٣) عن النبي ﷺ أنه قال لجابر بن عبد الله الأنصاري: «**يا جابر، ألا أعلمك أفضل سورة أنزلها الله في كتابه؟ فقال له جابر: بلى بأبي أنت وأمي يا رسول الله علمنيها، فعلمه الحمد أم الكتاب**»، (بحار الأنوار، ج٨٩ ص٢٣٧)، ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾، (سورة الزخرف، آية ٤). وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «**إنّ فاطمة تُكنّى بأمِّ أبيها**»، (مقاتل الطالبيّين، ص٥٧). كما ورد في زيارتها عليها السلام: «السلام على البتولة الطاهرة الصدّيقة المعصومة البرة التقية سليلة المصطفى وحليلة المرتضى **وأم الأئمة النجباء...**». **إن الإمام هو القرآن الناطق، وفاطمة هي أمّ القرآن الناطق والقرآن الصامت، هي أمّ الكتاب، وهي سورة الفاتحة. فإذا التفت الإنسان إلى سورة أمّ الكتاب، سيجد سرّ القرآن فيها، إذ إن من أسمائها السبع المثاني والمثاني من المثنى فتصبح أربعة عشر إذا ثُنّيت وهو تمام عدد المعصومين** عليهم السلام.

الله عجل الله تعالى فرجه الشريف. وإنّ اسم الصديقة الطاهرة عليها السلام غير موجود في القرآن، إلا أنه موجود في سرادقات العرش، «وعلى معرفتها دارت القرون الأولى»[1].

يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف

في إحدى المرات، فكرتُ في إيجاد آية قرآنية تعبّر عن أنفسنا بشكلٍ دقيق، ولنتأمّل في هذه الآية الكريمة: ﴿يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾[2]. تصْدُق هذه الآية علينا إلى حدّ بعيد، حيث يظنّ الناس بأن جيوبنا مَلْأى وبأننا قاعدون على كنز ثمين. فالجاهل يحسب بعض الناس، الذين يتصفون بالعفّة ولا يمدّون أيديهم إلى أحد ولا يُظهرون مدى حاجتهم، أنهم أغنياء. ورأيتُ أنني مصداقٌ لهذه الآية، فأنا لا أطبع المال حتى أكون محطّ مراجعةٍ من الجميع. ولم أتذوق في عمري كله لذة الإدخار. وأفتخر بأني أجني نفقة يومي فحسب. ولكني مع ذلك، أجد أن مئة مليون شخص يقفون أمامي ويطلبون قروضاً. ﴿يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾، ذلك لأننا لا نمدّ أيدينا لأحد، إلا لشخص واحد فحسب. نمدّ إليه، ليلاً ونهاراً، يد القلب ويد الروح ونتوجه إليه بكل وجودنا ونبدأ بالتسوّل، وليس هذا الذي نمدّ إليه أيدينا إلا الوجود المقدس للإمام الحسين عليه السلام. لقد شكّ جيراني بل

(١) بحار الأنوار، ج٤٣ ص١٠٥ ح١٩.
(٢) سورة البقرة، آية ٢٧٣.

وأصدقائي وأحبّائي بأني وجدت كنزاً ما، إذ كنت أقصد في كل يوم مكاناً للخلوة، فكانوا يظنون بأني وجدت كنزاً هناك وبدأت أستفيد منه. ولكن هذا صحيح، فقد وجدت كنزاً وهو كنز الولاية ومحبة الحسين عليه السلام.

تصديق الشائعات موجبٌ للبلاء

في فترة من الفترات، عاش في النجف الأشرف شاعرٌ يُدعى وفائي الشوشتري، وكان إنساناً طيباً يختزن الكثير من المعاني وقد استطاع الوصول إلى مقام الولاية الشامخ. واتّصفت رسالة السلوك الخاصة به بالعمق والمعرفة، حيث كان صاحب علم كبير. وفي أحد الأيام، سأل بعض الناس وفائي عن مصدر ماله، وأبلغوه بأنه سيخضع للتحقيق نظراً لامتلاكه المال الوفير. وهو الأمر نفسه الذي يُبتلى به جميع المؤمنين وأهل الولاية. فقد اتّهمه الناس بأنه يتعامل مع الدولة العثمانية التي تعطيه المال في المقابل. ولم يكن البلاء لينزل على ذلك المجتمع لو لم يفترِ أهله بإطلاق الشائعات[1] على أولياء الله. وتجدر الإشارة هنا إلى أن كربلاء

(١) قال الصادق عليه السلام: «**من روى على مؤمن رواية، يريد بها شينه وهدم مروته ليسقط من أعين الناس، أخرجه الله من ولايته إلى ولاية الشيطان، فلا يقبله الشيطان**». (الكافي، ج٢ ص٣٥٨). قال الله عزّ وجلّ: «**من أهان لي ولياً فقد أرصد لمحاربتي**»، (الوسائل، ج٨ ص٥٨٨). وفي حديثٍ قدسي آخر: «**ليأذن بحرب مني من آذى عبدي المؤمن، وليأمن غضبي من أكرم عبدي المؤمن**»، (الوسائل، ج٨ ص٥٨٧). وعن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك الرجل من أخواني يبلغني عنه الشيء الذي أكرهه، فأسأله عنه فينكر=

نفسها قد تمّت تهيئتها بواسطة الشائعات، في حين أن هذه الشائعات تضيّع الأولياء والمؤمنين. إيّاكم أن تنحازوا إلى صفها، فما إن تستمعوا إليها حتى يطالكم البلاء أنتم أيضاً. ويعدّ السرطان أصغر بلاء يمكن أن ينزل على الناس بسبب الشائعات التي تطال أولياء الله. وإنّ للشائعات أصلاً ومصدراً هو معاوية بن أبي سفيان (لعنة الله عليه)، إذ كان أوّل من روّج لها في العالم الإسلامي.

بالعودة إلى القصّة، ردّ وفائي الشوشتري على الناس ونفى اتهاماتهم قائلاً: إن ما قلتموه عني غير صحيح، والحقيقة أنّ لي رفيقاً يهودياً في بغداد مِن مُتذوّقي الشعر. وكوني من أهل الذوق والشعر، فقد أحبّني وأوصى الصرّاف الموجود في سوق النجف بأن يعطيني المال كلما يراني. عندها، تعجّب أصدقاؤه من قوله وسألوه: عن أيّ صرّاف وأيّ يهودي تتحدث؟ نحن معك ليلاً نهاراً ولم يحدث شيء من هذا القبيل. فقال لهم: تعمّدتُ قول ذلك، لأني لو قلت إنّ الله هو مَن أرسل لي المال، ما كانوا

=ذلك وقد أخبرني عنه قوم ثقات، فقال لي: **يا محمد كذب سمعك وبصرك عن أخيك فإن شهد عندك خمسون قسامة وقال لك قولاً فصدقه وكذبهم، ولا تذيعن عليه شيئاً تشينه به، وتهدم به مروته فتكون من الذين** قال الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾، (سورة النور، آية ١٩)، (الوسائل، ج٨ ص٦٠٩). وقال رسول الله ﷺ: «**من أحزن مؤمناً ثم أعطاه الدنيا لم يكن ذلك كفارته ولم يؤجر عليه**»، (جامع الأخبار، ص١٢٧). وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**من أدخل على مؤمن سروراً فقد أدخله على الله، ومن آذى مؤمناً فقد آذى الله عز وجل في عرشه، والله ينتقم ممّن ظلمه**»، (المقنع، ص٩٧).

ليصدّقوني، فهم لا يعرفون الله. أترون كيف صدّقوا قصة اليهودي بسرعة[١]؟ ذلك لأنّ اعتقادهم في اليهودي أكبر من اعتقادهم في الله. ولو أتيتُ على ذكر الله، لكانت المشكلة قد تفاقمت في أذهانهم. عندئذ، إعتذر إليه الناس وطلبوا منه مسامحتهم على اتهامهم وغيبتهم له. ولكن بسبب تلك الشائعات، حلّ وباء بالنجف، وبقيت الجثث في البيوت حتى فاحت رائحتها، وذلك على الرغم من أن النجف كانت مكاناً آمناً، أفهل يُعقل أن يصل البلاء إلى حيث يقع مثوى أمير المؤمنين عليه السلام؟ حين وقع البلاء، تكلم أحد أولياء الله مع وفائي وقال له: عليك أن تقوم بعملٍ ما، فقد صدّق الناس الشائعات التي تقول بأنك عميل للحكومة العثمانية، وأمير المؤمنين عليه السلام هو من أرسل هذا الوباء، دفاعاً عن مُحبِّه، ولن يُرفع إلا إذا قمتَ أنت بشيء ما.

عندها، ذهب وفائي ودخل إلى الإيوان الذهبي عند أمير المؤمنين عليه السلام، ووضع رأسه على العتبة وتلا قصيدة له بتلك الوضعية. ثمّ خاطب أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً: لقد تغاضينا نحن عن ذلك، فتفضل حضرتك بالرحمة. وبذلك، كان شفيعاً لأهل النجف، حيث زال البلاء عنهم بعد هذا الموقف.

في البداية، أطلب من الله أن يعرّفك وليّه. وإذا لم تعرفه، تعامل مع الجميع باحترام، فقد يكون من بين مَن تتعامل معهم وليٌّ

(١) يقال: حدِّث العاقل بما لا يليق، فإن لاق له لا عقل له.

من أولياء الله[١]. ولترَ حينها كيف تنزل البركات عليك وتُدفع البلاءات عنك. إحذروا من التعرض لأولياء الله[٢] ولا يكن غذاؤكم الغيبة، فهذا يورث المرض، ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ﴾[٣].

(١) يقول الحديث القدسيّ: «أوليائي تحت قبابي، لا يعرفهم غيري»، أسرار التوحيد، ص٤٠؛ كشف المحجوب، ص٧٠؛ تذكرة الأولياء، ص١٩.

(٢) وفي تفسير الإمام الصادق عليه السلام لقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (سورة البقرة، آية ٤٨)، «**هذا يوم الموت فان الشفاعة والفداء لا يغني عنه فأما في القيامة فإنا وأهلنا نجزي عن شيعتنا كل جزاء**: لنكوننّ على الأعراف بين الجنة والنار محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والطيبون من آلهم عليهم السلام فنرى بعض شيعتنا في تلك العرصات فمن كان منهم مقصراً وفي بعض شدائدها، **فنبعث عليهم خيار شيعتنا كسلمان والمقداد وأبي ذر وعمار ونظرائهم في العصر الذي يليهم ثم في كل عصر إلى يوم القيامة فينقضون عليهم كالبُزاة والصقور ويتناولونهم كما يتناول البزاة والصقور صيدها فيزفونهم إلى الجنة زفاً وإنا لنبعث على آخرين من محبينا خيار شيعتنا كالحمام فيلتقطونهم من العرصات كما يلتقط الطير الحب وينقلونهم إلى الجنان بحضرتنا وسيؤتى بالواحد من مقصري شيعتنا في أعماله بعد أن حاز الولاية والتقية وحقوق إخوانه ويوقف بإزائه ما بين مائة وأكثر من ذلك إلى مائة ألف من النصاب فيقال له هؤلاء فداؤك من النار فيدخل هؤلاء المؤمنون الجنة وأولئك النصاب النار** وذلك ما قال الله عز وجل ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ **يعني بالولاية لو كانوا مسلمين في الدنيا منقادين للإمامة ليجعل مخالفوهم من النار فداؤهم**»، تفسير الصافي، ج١ ص١٢٧ و١٢٨.

(٣) سورة الحجرات، آية ١٢. عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**الجلوس في المسجد لانتظار الصلاة عبادة، ما لم يحدث، قيل: يا رسول الله وما الحدث؟ قال: الاغتياب**»، (أمالي الصّدوق، ص٥٠٦). وقد ورد في الحديث النبوي الشريف: «هل تدرون ما الغيبة؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم، قال: **ذِكرك أخاك**=

استهداف الحسين عليه السلام هو استهداف الله

عوداً على بدء، تبرز مسألة التوحيد مجدداً. حين سُفكت دماء الحسين عليه السلام، كان الله هو المستهدف بالاعتداء، وإلا لَمَا أصبح ثار الله، «السلام عليك يا ثار الله وابن ثاره». كان الاعتداء يستهدف الله، ولكن، هل الله يموت؟ نستجير بالله، فلو كان الله يموت، لكان عليّ عليه السلام يموت[(١)]، فهو ثار الله أيضاً. ولو كان الله يموت، لكان الحسين عليه السلام يموت، والحسين ثار الله، معاذ الله أن يكون الأمر كذلك. أدرِك هذا التوحيد وافهمه جيداً. إنك واحد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ولو لم تكن كذلك، من أين لك أن تعرف بأنه رسول الله؟ وكيف لك أن تقرّ بصحّة هذه الآيات وتقبل بها؟ يا لهذا الكلام الرفيع!

=بما يكره...»، (المحجّة البيضاء، ج٥ ص٢٥٦). ولكن هناك نوعاً من الغيبة لا يلتفت إليه الكثيرون وهو الغيبة الباطنية. فالإنسان يقع في الغيبة الباطنية حين يغتاب أخاه بينه وبين نفسه بخاطرة سوءِ ظن، فيستسلم باطنه لفكرةٍ تنتقص من أخيه الموالي وتهتك حرمته. والخطير في المسألة أن هكذا غيبة تحصل أمام من يُرجى أن يكونوا ساكنين في القلب أي أمام أهل البيت عليهم السلام. ونتيجة هذا النوع من الغيبة تراكُم الأفكار وتوالدها حتى تصبح خيالات تهتك حرمة المؤمنين الموالين. والأشدّ صعوبة في ذلك كله أن يكون المتعرِّض للغيبة وهتكِ الحرمة الباطنية هو ولي من أولياء الله.

(١) يقول الإمام علي عليه السلام: «يموت منّا من مات وليس بميّت، ويبلى منّا من بلي وليس ببالٍ»، نهج البلاغة، الخطبة رقم ٨٧.

كيف تكون المعيّة مع الله؟

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[(١)]، لا يمكن إيجاد الـ«هو»[(٢)] - هوية الحق والتحقق - إلا من خلال مجرى الوليّ المطلق، إذ يستحيل على أحدٍ أن يصبح واحداً مع الله. ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾، لا يمكن لأحد أن يكون مع الله، وهنا يأتي الإشكال الأكبر في التوحيد. فالله، بمعنى الذات الربوبيّة، منزّه من المعيّة مع الأشياء، ومنزّه من المعيّة مع الإسم، (المعيّة مع الأشياء هي مع الإسم والتي يحققها الوليّ المطلق). ولكن، كل من يكون عليّ عليه السلام معه، يكون الله معه. وكل من يكون مع عليّ عليه السلام، يكون مع الله. ففي مقام الـ«هو»، لا يمكن أن تتحقق معيّة الله في أيّ شيء إلا في ظهور الوليّ، وبذلك يكون كل من يجلس معه، يجلس مع الله. فأمره أمر الله ونهيه نهي الله وإثباته إثبات الله ونفيه نفي الله[(٣)]. وبعد كل ذلك، لا يكون وليّ الله المطلق؟

نتلقى أنفسنا الخطاب، حيث ترنّ آية ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى

(١) سورة الحديد، آية ٤.

(٢) عن أمير المؤمنين عليه السلام: «أنا المعنى الذي لا يقع عليه اسم ولا صفة»، خطبة البيان.

(٣) يقول الله تعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾، (سورة الأنفال، آية ١٧). وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: قال الله عزّ وجلّ: «... وما تقرّب إلي عبدٌ بشيء أحبَّ إلي مما افترضتُ عليه، وإنه ليتقرّب إلي بالنافلة حتى أحبّه، فإذا أحببته كنتُ سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها، إن دعاني أجبتُه وإن سألني أعطيتُه»، الكافي، ج٢ ص٣٥٢.

سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۢ﴾(١) في مسامع وجودنا وقلوبنا وتطرق آذان بواطننا، وكأن الله يتحدث معنا نحن. نعم، إنه يتحدث معك، فلو لم يكن كذلك، لمَا كنت مكلفاً. ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾(٢)، هذه الـ«قل» هي موجّهة إليك. والحال مماثل بالنسبة لباقي الأوامر والنواهي، حيث تشعر بأنه يكلّمك، وذلك لأنك مندرج تحت ذلك الوجود، ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾(٣)، فهو الإمام المبين.

شؤون عالم الوجود بيد الإمام الحسين

لقد شكّلت واقعة كربلاء صدمة لنا ولكل عالم الوجود ولأركان العرش حتى(٤). واحتلّت موقعاً لا ندّ له، واتخذت لها مكاناً ليس باستطاعة أحد الوصول إليه. وسأحاول تجسيم فكرة التوحيد حتى يكون بالمقدور لمسها. حين تسمع عزاء الحسين عليه السلام، ألا ترى(٥)

(١) سورة آل عمران، آية ١٦٩.
(٢) سورة الإخلاص.
(٣) سورة يس، آية ١٢.
(٤) «إنّا لا نملك إلا أن نطوف حول مشاهدكم ونعزي فيها أرواحكم التي أثبتت في قلوب شيعتكم القروح وأورثت أكبادهم الجروح... وكل الخلق في التكوين والطيّب من كل جنس في التشريع»، (الزيارة الجامعة لأئمة المؤمنين، أسرار الشهادة). كما ورد في زيارةٍ للإمام الحسين عليه السلام: «أشهد أنّ دمك سكن في الخلد واقشعرت له أظلّة العرش، وبكى له جميع الخلائق، وبكت له السموات السبع والأرضون السبع»، الكافي، ج٤ ص٥٧٦.
(٥) روي أنه قيل للإمام الصادق عليه السلام: «سيدي جعلت فداك، إن الميّت يجلسون له بالنياحة بعد موته أو قتله، وأراكم تجلسون أنتم وشيعتكم من أول الشهر بالمأتم والعزاء على الحسين عليه السلام فقال عليه السلام: يا هذا إذا هلّ هلال محرم=

نفسك داخل هذه الواقعة فتشرع بالبكاء؟ ألا ترى نفسك مع عليّ الأصغر؟ ألا ترى نفسك مع عليّ الأكبر وأبي الفضل؟ إنك تشعر وكأن الخناجر والسيوف تصيبك أنت. بلى، فهي واقعاً تصيبك أنت. هذا هو التوحيد الفطري والتكويني الذي إذا كان لنا نصيب في معرفته، نحصل على الإدراك الكامل به، ويزداد عندنا يوماً بعد يوم. لقد أصبح الحسين عليه السلام ثار الله لأنه أدرك التوحيد بشكل كامل، وهو كذلك وليّ الله واسم الله «إسم الله الرضيّ ووجهه المضيء»[(١)]، «أشهد أنّ دمَك سَكَن في الخلد واقشعرّت له أظلة العرش»[(٢)] كل هذه العبارات وغيرها واردة في زيارات الحسين عليه السلام. «إرادة الربّ في مقادير أموره تهبط إليكم وتصدر من بيوتكم والصّادر عما فُصّل من أحكام العباد»[(٣)]، إن كل شؤون عالم الوجود موضوعة في يد الإمام الحسين عليه السلام[(٤)]. ألا تصدّقون

=نشرت الملائكة ثوب الحسين عليه السلام وهو مخرق من ضرب السيوف، وملطخ بالدماء فنراه نحن وشيعتنا بالبصيرة لا بالبصر، فتنفجر دموعنا»، ثمرات الأعواد، السيد علي الهاشمي، ص٣٦ و٣٧.

(١) الزيارة السادسة لأمير المؤمنين عليه السلام، مفاتيح الجنان.

(٢) الزيارة الأولى للإمام الحسين عليه السلام، مفاتيح الجنان.

(٣) المصدر السابق.

(٤) عن سلمان رضي الله عنه أنه كان يوماً قاعداً عند أمير المؤمنين عليه السلام والحسين عليه السلام في حجره وهو إذ ذاك ابن سنتين فأراد سلمان أن يسأل أمير المؤمنين عليه السلام شيئاً، فقال: «يا سلمان، سل هذا وأشار إلى الحسين عليه السلام. فأقبل سلمان عليه وقال: يا سيدي، كم سنّ أبيك؟ فلما سمع الحسين عليه السلام ذلك منه قال: يا سلمان، تخيلت صغر سني؟ قال: فضحك أمير المؤمنين عليه السلام من قوله وقال: أجبه يا بني. **فقال الحسين** عليه السلام: **يا سلمان، إن الله عز وجل**=

ذلك؟[(١)] سيأتي اليوم الذي تفهمون فيه هذا الكلام، وإن شاء الله يكون عاجلاً. وشيئاً فشيئاً، يتنوّر الفكر ويتعاظم العقل وينشرح الصدر ويحدث الإتصال مع الوليّ المطلق، وحينها تفهمون أن كل هذا صحيح. هذا هو الشهود «أشهد أن دمك سكن في الخلد»، إذ عليك أن تكون موجوداً هنا حتى تقول «أشهد». وبغير ذلك، فإن هذه الشهادة التي تتلفظ بها ليست صحيحة. «أشهد أن دمك سكن

=**خلق خمسين ألف آدم ما بين كل آدم إلى آخر خمسين ألف عام وقد كنت مع آدم الأول** وأنا إذ ذاك شيخ كبير عالم وكنت ناصراً له ومعيناً وقد عرضت ولايتي عليهم فآمن بعضهم فمن آمن فقد فاز ومن أبى فقد كفر ثم غزوت معهم ألف غزوة الأصغر منها أكبر من غزاة خيبر، ثم كنت مع آدم الثاني خمسين ألف عام فدعوتهم بالوحدانية خمسين ألف عام فصدّق بعضهم فمن صدّق فقد أفلح ومن أنكر فقد خاب ثم جاهدت معهم جهاداً كثيراً وهم خمسون فرقة كل فرقة خمسون ألف نفس **ثم لما أراد أن يقول كنت معهم كذا وضع أمير المؤمنين** عليه السلام **يده على فيه وقال: أصمت كما صمت رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم»، صحيفة الأبرار، ج٢ ص١٩٠.

(١) عن مولانا الحسين عليه السلام: «**والله ما خلق الله شيئاً، إلا وقد أمره بالطاعة لنا**»، بحار الأنوار، ج٤٦ ص٢٤٠. ويقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾، (سورة يس، آية ٨٢). وقد ورد في الزيارة الجامعة الكبيرة المذكورة في مفاتيح الجنان: «**أمره إليكم**»، **فهم** عليهم السلام **أمر الله**. كما ورد في القرآن الكريم: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾، (سورة النحل، آية ١). ومن ألقاب إمام الزمان عجل الله فرجه، «صاحب الأمر»، حيث نناديه ونقول: «**يا صاحب الأمر أدركنا**». كما نقرأ في دعاء الجوشن الكبير: «يا من انقاد كل شيء لأمره، يا من السماوات مطوياتٌ بيمينه (علي عليه السلام «**يد الله**»، بصار الدرجات ص١٩)، يا من يرسل الرياح بُشراً بين يدي رحمته (**يا رحمة الله الواسعة، أي الحسين** عليه السلام)»، **فالإمام إذاً هو أمر الله ويده ورحمته.**

في الخلد واقشعرّت له أظلة العرش، وبكى له جميع الخلائق»[١]، ينبغي أن تقدّم شهادتك وتدرك الشهود حتى تصل إلى يقينٍ لا يمكن لتشكيك المشكّكين أن يزيله، وبهذه الحال تقول: «أشهد أن دمك سكن في الخلد»، أي أن دماء الحسين عليه السلام سكنت في صميم الخلود. والخلد هنا مفهومٌ وليس تعيّناً، فلا يعني ذلك أن تلك الدماء خلدت في الجنة، لأنّ هذا قليل عليها.

ومثلما أن دماء الحسين عليه السلام لم تسقط منها قطرة على الأرض في عاشوراء، فكذلك أنتَ عليك ألا تسمح لدمعة من دموعك بأن تسقط على الأرض.

دماء الإمام الحسين هي مقوّم الخلد

ثمة ما يجدر الإشارة إليه. لقد علم الشيطان بهذه الواقعة، وعلم بأن دم الحسين عليه السلام هو مقوّم الخلد[٢]. والشيطان هو أعلم علماء عالم الوجود، فهو يعرف كل شيء، سواء كان متعلقاً بالعلوم الظاهرية أو الإصطلاحية أو ما شابه ذلك. وهكذا، علم بهذه المسألة فطلب من الله الخلود ﴿أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[٣]، وبمقدار ما تمنحُني من الخلود، بمقدار ما سأسعى لأجد هذه الدماء. يا للبشر التعساء، فالشيطان يسعى وراء دماء الحسين عليه السلام ويبحث عنها

(١) الكافي الكليني، ج٤ ص٥٧٦.
(٢) ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَىٰ﴾، سورة طه، آية ١٢٠.
(٣) سورة الأعراف، آية ١٤.

ليطوف حول الخلد، وأنتم لا تزالون غارقين في الجهل! «واقشعرّت له أظلة العرش»، إن سيقان العرش الذي استوى عليه الرحمن تهتز لدماء الحسين عليه السلام. والله وحده يعلم لولا مجالس عزاء(١) الحسين عليه السلام ما الذي كان ليحصل.

---

(١) **إن لمجالس عزاء الحسين بن عليّ عليه السلام آثاراً وبركات عظيمة، نذكر هنا بعضاً منها:**

أ - **من آثار عزاء الحسين عليه السلام حضور السيّدة الزهراء عليها السلام والفوز ببركاتها وعنايتها وإسعادها ووَصْل أهل البيت وبرّهم** وهو ما لا يتحقق في غير عزاء الحسين عليه السلام إلا بزيارته وزيارة بقيّة الأئمة عليهم السلام، فقد ورد في الحديث: «فما من اثنين يعقدان مجلس عزاء إلا وتكون فاطمة حاضرة»، (المحجّة البيضاء، ج٣ ص٣٥١). «فالزهراء تبكي على ولدها، بل وتحضر جميع المآتم كما روي أن فضيل صنع مآتماً للحسين عليه السلام، ولم يخبر به إمامنا الصادق عليه السلام، فلما كان اليوم الثاني أقبل إلى الإمام روحي فداه، فقال له: يا فضيل، أين كنت البارحة؟ قال: سيدي، شغلٌ عاقني، فقال: يا فضيل، لا تخفي عليّ، أما صنعتَ مأتماً وأقمتَ بدارك عزاءً في مصاب جدي الحسين عليه السلام؟ فقال: بلى سيدي، فقال عليه السلام: وأنا كنت حاضراً، قال: سيدي إذاً ما رأيتك؟ أين كنت جالساً؟ فقال عليه السلام: لما أردتَ الخروج من البيت أمَا عثرتَ بثوب أبيض؟ قال: بلى سيدي، قال عليه السلام: أنا كنت جالساً هناك، فقال له: سيدي، لمَ جلستَ بباب البيت ولم (وما) تصدّرت في المجلس؟ فقال الصادق عليه السلام: كانت جدتي فاطمة بصدر المجلس جالسة، لذا ما تصدّرتُ إجلالاً لها»، (ثمرات الأعواد، ج١ ص٣١-٣٢). ومن كلام للإمام الصادق عليه السلام: «ما من باكٍ إلا وقد وصل فاطمة وأسعدها عليه ووصل رسول الله صلى الله عليه وآله وأدّى حقنا»، (كامل الزيارات، ص٧٧). وعنه عليه السلام أنه قال لأبي بصير: «أما تحبّ أن تكون في من يسعد فاطمة؟ يقول أبو بصير: ما إن سمعتُ هذه الكلمات من صادق آل محمّد حتى بكيتُ وبكيتُ وما قدرتُ على النطق من البكاء. ثم قام الإمام إلى المصلى=

=يدعو، فخرجتُ من عنده على تلك الحال فما انتفعت بطعام وما جاءني النوم وأصبحت صائماً وجلاً»، (بحار الأنوار، ج٤٥ ص٣٠٩).

ب - من آثار عزاء الحسين عليه السلام التحقق بمقام العبودية، ولكن كلٌ بحسبه. فالبكاء والجزع والانكسار والخضوع من شروط العبودية. **كما** تعتبر هذه المجالس إنفاذاً لأمر الإمام **بإحياء ذكر أهل البيت وأمرهم**، وهو ما يوجِب **حبّ الإمام ورضاه** على الحاضرين فيها. وعلاوة على ذلك، **يفوز الحاضرون بدعاء الإمام لهم**، حيث أن الرحمة تشملهم وتتنزل على قلوبهم المتألمة لمصائبهم عليهم السلام، هذا إلى جانب **الثواب والأجر** الذي ينالونه. فقد روي عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال للفضيل بن يسار: «يا فضيل، أتجلسون وتتحدثون؟ قال: نعم جعلت فداك. قال الإمام الصادق: إن تلك المجالس أحبّها. أحيوا أمرنا، فرحم الله من أحيا أمرنا»، (بحار الأنوار، ج٤٤ ص٢٨٢). ومن دعائه لشيعته عليه السلام: «وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا، وارحم تلك الصرخة التي كانت لنا، اللهم إني أستودعك تلك الأبدان وتلك الأنفس حتى توافيهم من الحوض يوم العطش»، (كامل الزيارات، ص١٢٦). كما ورد عنه عليه السلام: «إن البكاء والجزع مكروه للعبد في كل ما جزع، ما خلا البكاء والجزع على الحسين بن علي عليهما السلام، فإنه فيه مأجور»، (كامل الزيارات، ص٢٠١)، وقد فسّرت بعض الروايات الجزع فورد عن الإمام الباقر عليه السلام: «**أشدّ الجزع الصراخ بالويل والعويل ولطم الوجه والصدر وجزّ الشعر...**»، (جامع أحاديث الشيعة، ج٣ ص٤٨٣)، وورد أيضاً عن محمد بن الحسن بن شمون وغيره قال: «خرج أبو محمد عليه السلام في جنازة أبي الحسن عليه السلام وقميصه مشقوق فكتب إليه أبوعون الأبرش قرابة نجاح بن سلمة من رأيت أو بلغك من الأئمة شقّ ثوبه في مثل هذا؟ فكتب إليه أبومحمد عليه السلام: **يا أحمق، وما يدريك ما هذا قد شق موسى على هارون**»، بحار الأنوار، ج٥٠ ص١٩١.

ج -من آثار عزاء الحسين عليه السلام تحريم وجه الباكين على النار، واستحياء الله تعالى من أن يعذبهم بها والحصول على الأمان يوم القيامة ووجوب الجنّة=

=**له**. غير أن الأهم من ذلك كله أن المشاركين في مجلس الحسين عليه السلام والعاقدين لعزائه هم من المشمولين بالحديث الذي دار بين الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وابنته الزهراء عليها السلام حول **من يلتزم بإقامة العزاء على الحسين** عليه السلام **والبكاء عليه**، وفي ذلك إشارة إلى أن المقيمين لعزاء الحسين عليه السلام والمشاركين فيه **هم من أمّة الرسول حقاً ومن سيحظون بشفاعته وشفاعة الزهراء** عليها السلام يوم القيامة. فعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «من ذكرنا عنده ففاضت عيناه حرّم الله وجهه على النار»، (نجاة الأمة، ص٣٨). وفي دعاءٍ له، يقول عليه السلام: «اللهم إن شيعتنا منا فمن ذكر مصابنا وبكى لأجلنا، استحيى الله أن يعذبه بالنار»، (الخصائص الحسينية، ص١٦٦). كما روي عنه عليه السلام: «من بكى أو أبكى أو تباكى على الحسين وجبت له الجنة»، (أمالي الصدوق، ص١٢٥). وعن السيدة الزهراء عليها السلام أنها سألت أباها يوماً: «يا أبتي، فمن يبكي عليه (أي الحسين عليه السلام) ومن يلتزم بإقامة العزاء له؟ قال: يا فاطمة، إن نساء أمتي تبكي على نساء أهل بيتي، ورجالهم يبكون على رجال أهل بيتي ويجددون العزاء جيلاً بعد جيل، في كل سنة، فإذا كانت القيامة تشفعين أنت للنساء وأنا أشفع للرجال، وكل من بكى منهم على مصاب الحسين أخذنا بيده وأدخلناه الجنة»، (بحار الأنوار، ج٤٤ ص٢٩٢). وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا فاطمة كل عين باكية يوم القيامة، إلا عين بكت على مصاب الحسين عليه السلام، فإنها ضاحكة مستبشرة بنعيم الجنة»، (بحار الأنوار، ج٤٤ ص٢٩٢). وعن الباقر عليه السلام قال: «كان أبي علي بن الحسين عليه السلام يقول: أيّما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين بن عليّ عليه السلام دمعة حتى تسيل على خدّه بوّأه الله تعالى في الجنة غرفاً يسكنها أحقاباً، وأيّما مؤمن دمعت عيناه حتى تسيل على خدّه فينا لِأذى مسّنا من عدوّنا في الدنيا بوّأه الله في الجنة مبوّأ صدق، وأيّما مؤمن مسّه أذى فينا فدمعت عيناه حتى تسيل على خده صرف الله عن وجهه الأذى وآمنه يوم القيامة من سخطه والنار»، (كامل الزيارات، ص١٠٠). عن الإمام الصادق عليه السلام: «ومن ذكر الحسين عنده فخرج من عينيه من الدمع مقدار جناح ذبابة، كان ثوابه على الله عز وجل،=

=ولم يرض له بدون الجنة»، (ثواب الأعمال، ص٤٧).

د - إن آثار ذكر مصاب **أهل البيت** عليهم السلام **وإقامة العزاء لهم** تصل إلى حدٍّ يكون معها المشارك في هذا الذكر والعزاء **مع أهل البيت في درجتهم يوم القيامة** كما يكون **معهم في درجاتهم العليا في الجنان**. والباكي على مصابهم **لا تبكي عينه في أي يوم تبكي فيه عيون الناس** وليس في يوم القيامة فحسب، كما **يبقى قلبه حياً إلى الأبد**، حتى يوم تموتُ كل القلوب. فعن الرضا عليه السلام: «من تذكّر مصابنا وبكى لما ارتكب منّا كان معنا في درجتنا يوم القيامة، ومن ذكِّر بمصابنا فبكى وأبكى لم تبك عينه يوم تبكي العيون، ومن جلس مجلساً يحيى فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب»، (أمالي الصدوق، ص ١٣١). وعن الإمام الرضا عليه السلام: «يا ابن شبيب، إن سرّك أن تكون معنا في الدرجات العلى من الجنان، فاحزن لحزننا وافرح لفرحنا، وعليك بولايتنا»، (عيون أخبار الرضا، ج١ ص٢٩٩).

هـ - **من آثار مجالس أبي عبد الله الحسين** عليه السلام **أن الباكي فيها على مصاب سيّد االشهداء ينال صلاةً من الله عليه**، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «ألا وصلّى الله على الباكين على الحسين رحمة وشفقة»، بحار الأنوار، ج٤٤ ص**٣٠٠**.

و - من كلامٍ لآية الله السيد النجفي دام ظله أن **من آثار البكاء على سيّد الشهداء أنه يمنح ماء الوجه للباكي** إذا ما مسح وجهه بتلك الدموع التي يذرفها. وإن قطرات هذه الدموع **تشفي المريض** وكل من يجلس في مجلس الحسين عليه السلام إذا ما شربها بنيّة الشفاء.

ز - من آثار مجلس الحسين عليه السلام أن يصبح المكان الذي يقام فيه هو بيت الله الحقيقي، فبيت الله الحقيقي هو «الجامع» الذي يجتمع فيه الناس لذكره وذكرهم عليهم السلام هو ذكر الله، فقد ورد عنهم عليهم السلام: «**إنا إذا ذُكرنا ذكر الله**، وإذا ذُكر عدوّنا ذكر الشيطان»، (بحار الأنوار، ج٧٤ ص٢٥٨).

ح - **من آثار مجالس العزاء أن الموالين يستطيعون بجلوسهم في تلك المجالس التي تذكر فيها فضائل أهل البيت** عليهم السلام **أن يقتلوا كثيراً من الأبالسة**، حيث=

=أنهم حين يسمعون فضائل أهل البيت عليهم السلام، لا يبقى على جسد إبليس الإنسان، أي عدوّ آل محمد، مضغة لحم إلا وتخدّدت وروحه تستغيث من شدّة ما يجد من الألم وتلعنه الملائكة فيقع خاسئاً حسيراً مدحوراً. فقد قال أبو الحسن عليه السلام: «ليس شيء أنكى لإبليس وجنوده من زيارة الإخوان في الله بعضهم لبعض، وإنّ المؤمنين يلتقيان **فيذكران الله، ثمّ يذكران فضلنا أهل البيت، فلا يبقى على وجه إبليس مضغة، إلاّ تخدّد حتّى أنّ روحه لتستغيث من شدّة ما تجد من الألم**، فتحسّ ملائكة السماء وخزّان الجنان، فيلعنونه حتّى لا يبقى ملك مقرّب إلاّ لعنه فيقع خاسئاً حسيراً مدحوراً»، (الكافي، ج٢ ص١٨٨)، إن المؤمن إذا زار أخاه المؤمن في الله، يعني زاره فقط من أجل ولايته ومحبته لله ولأهل البيت عليهم السلام، **وبدآ يذكران الله وفضائل أهل البيت** عليهم السلام، **لا يبقى على وجه إبليس مضغة لحم، معنى هذا أن إبليس المذكور في الرواية هو إبليس من أبالسة الإنس.**

ط - **من آثار المجالس أن الإمام الحسين** يروي الباكين عليه يوم العطش الأكبر من ماء الكوثر و«**إن الكوثر ليفرح بشرب الباكي عليه منه**»، (كامل الزيارات، ص١٠٢). **كما يُمزج ماء الحيوان في الجنان** بدموع الباكين عليه فيزيد عذوبة، كامل الزيارات ص١٢٠.

ك - قد ذكر العلامة الشيخ جعفر التستري بعض الصفات التي يتصف بها مجلس أبي عبد الله الحسين عليه السلام فقال: يتصف ذلك المجلس بجميع صفات المشاهد الشريفة على ما يستفاد من الأخبار فيتصف بأربع عشرة صفة: الأول: **أنه مصلى لله تعالى يعني، محل صلواته على أهله.** الثاني: **أنه مشهد للملائكة المقربين.** الثالث: **أنه محل نيل الدعاء من النبي** صلى الله عليه وآله **والوصي والزهراء والمجتبى** عليهم السلام. الرابع: **أنه منظر الحسين المظلوم** عليه السلام. الخامس: **أنه محل خطابه لأهل المجلس ومكالمته معهم.** السادس: **أنه محبوب للصادق** عليه السلام **بل لجميع أولياء الله تعالى من الأولين والآخرين.** السابع: **أنه عرفة.** الثامن: **أنه مشعر حرام.** التاسع: **أنه حطيم.** العاشر: **أنه مطاف لبيت الله تعالى.** الحادي=

المعصومون الأربعة عشر هم الحياة ومانحوها

أُذكر الله وأَثْنِ على الحق في كل يوم ويكفي أن تقول: «بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين». ثم بعد ذلك، أذكر أسماء الأربعة عشر معصوماً عليهم السلام واحداً تلو الآخر: «السلام عليك يا أبا القاسم يا محمد بن عبد الله، السلام عليك يا أمير المؤمنين يا عليّ بن أبي طالب، السلام عليك يا فاطمة الزهراء، السلام عليك يا حسن بن علي أيها المجتبى...»، وهكذا حتى تصل إلى آخرهم، ثم اطلب اللجوء إليهم. فقد أكد الإمام الصادق عليه السلام أن من يقوم بهذا العمل في كل يوم، لا يصاب ببلاء أو آفة أبداً من الصباح وحتى في المساء ويبقى محفوظاً في فراشه أيضاً ويحالفه اليُسر والتوفيق في كل نهاره. كم مرة تذكر الأربعة عشر معصوماً في أيّامك؟ إنهم أصل الحياة، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوٓاْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا﴾(١)، لا بل هم الحياة ومانحوها. كم مرة في حياتك قمتَ بهذا العمل وذكَرْتَهم في صباحك ببضعة كلماتٍ من الذكر؟

=عشر: **أنه قبة الحسين** عليه السلام. الثاني عشر: **أنه مخمد للنيران المشتعلة**. الثالث عشر: **أنه منبع لماء في الجنان وهو ماء الحيوان**. الرابع عشر: **أنه يصير تلو مجالس أوّلها قبل الخلق وآخرها المحشر**. ويعلّق الشيخ رحمه الله قائلاً: «إذا تصورتَ ما قلته فكيف تتصور أنك تخرج خاليا آيساً من هذه المشاهد المشرفة المباركة مع هذه الحالات والعبادات واجتماع الصفات! فلو منعت الموانع من التأثيرات فقليل من أدنى أثر تأثيرات واحدة منها ممّا يستحيل عدمه: **قليل منك يكفيني ولكن قليلك لا يقال له قليل**»، الخصائص الحسينية، ص٢٣ و٢٤.

(١) سورة آل عمران، آية ١٦٩.

فإن التزم أحدكم بذكرهم، سيُلازم الخير[١] حياته دائماً، إلا أننا لا ندري ولا نعرف ولا نصدق بأن الأمور تجري على هذا النحو، كم نحن تعساء الحظ!

أصل خلقة الشيعي

«شيعتنا خلقوا من فاضل طينتنا»[٢]، وهذا هو نداء التوحيد. هنيئاً لك أيها الشيعي، فَلْتَعرِف قدرك. وعليك في سبيل الدفاع عن التشيع والولاية أن تبذل وجودك وروحك وكل شيء يمكنك بذله، إذ إنك سرمدي وحيّ[٣]، فلماذا تخاف، وممَّ تهاب؟ من أن تُقتَل؟ حينها ستحصل على الحياة الأصلية ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا﴾[٤]. «شيعتنا خلقوا من فاضل طينتنا وعُجنوا بماء ولايتنا، يحزنون لحزننا ويفرحون لفرحنا»[٥]. وقد سُئل الإمام عليه السلام: لماذا

(١) وممّا يشتمل عليه الخير، الحياة والعلم وغيرهما وقد ورد: «إن ذُكِر الخير كنتم أوّله وأصله وفرعه ومعدنه ومأواه ومنتهاه»، الزيارة الجامعة، مفاتيح الجنان.

(٢) عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: رحم الله شيعتنا خلقوا من فاضل طينتنا وعجنوا بماء ولايتنا يحزنون لحزننا ويفرحون لفرحنا. شجرة طوبى، ج١ ص٣.

(٣) «عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في وصف أهل الجنة (ما معناه) أنه يأتيهم ملك فيستأذن للدخول عليهم وبعد الاستئذان يدخل فيبلّغ السلام من الله تعالى عليهم ويعطيهم رسالة مكتوباً فيها (يخاطب الإنسان الذي هو مخاطب به) **من الحي القيوم الذي لا يموت إلى الحي القيوم الذي لا يموت أما بعد فإنني أقول للشيء كن فيكون وقد جعلتك تقول للشيء كن فيكون**، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: فلا يقول أحد من أهل الجنة للشيء كن إلا ويكون»، الآداب المعنوية للصلاة، ص٧٢. **وهذا حال المؤمن فكيف بحال النبي والأئمة** عليهم السلام؟

(٤) سورة آل عمران، آية ١٦٩.

(٥) راجع الملحق، ص٢٦٧.

يقال للشيعة، شيعة؟ فأجاب عليه السلام: «لأنهم خلقوا من شعاع نورنا»[(١)]. ففاضل طينتهم كان يحتوى على شعاع نورهم. ولذلك، فإن الشيعة أصحابُ وجوهٍ طيّبة، إلا أنهم في الوقت نفسه يتمتعون بالصلابة والحزم، وذلك لأن طينتهم كان فيها حجارة أيضاً وهذا ما ينعكس على قلوبهم في بعض الأحيان. فإذا رأيتَ مرةً شيعياً غاضباً لا تتعجب، لأن أصحاب المذهب الطيّبين لديهم في الوقت عينه طباع حادة. ومردّ ذلك إلى أنهم وصلوا إلى درجة عالية من اليقين والمعرفة بالحقائق[(٢)]. فكلّما ازدادت حميّة الإنسان واشتدّ حزمه كلما كان أقرب للإيمان، ولكنه مع ذلك يكون رحيماً. فلا

---

(١) مشارق أنوار اليقين ص٦٢؛ وعنه بحار الأنوار ج٢٥ ص٢٣ ح٣٩؛ الأنوار النعمانية ج٢ ص٩٩.

(٢) ومن أهم الحقائق التي إنْ لم تُلحَظ يُسلب الموالي معرفته ويقينه، **أداء حق أخيه المؤمن**، وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**إذَا اتَّخَذَكَ وَلِيُّكَ أخاً فَكُن لَهُ عَبداً، وَامنَحهُ صِدقَ الوَفاءِ، وحُسنَ الصَّفاءِ**»، (غرر الحكم: ٤١٤١)، ليُعلَم أن المقصود بالأخ هو الولي (الأستاذ). وفي رواية أخرى: «قال جابر: قلت: **يا ابن رسول الله هل بعد هذه المعرفة تقصير؟ قال: نعم، إن قصر في حقوق إخوانه** ولم يشركهم في كل أمرهم واستأثر بحطام الدنيا دونهم **فهنالك يسلب المعرفة وينسلخ من دينه وتصيبه من آفات الدنيا وبلاياها ما لا يطيقه من الأوجاع وإذهاب ماله وتشتيت شمله** بما قصر في حقوق إخوانه. قال جابر: فاغتممت غما شديداً وقلت: يا ابن رسول الله ما حق المؤمن على أخيه؟ قال: **يفرح بفرحه ويحزن لحزنه، ويتفقد أموره كلها فيصلحها ولا يغتنم بشيء (يغتمّ لشيء) من حطام الدنيا إلا واساه به حتى يكونا في الخير والشر قرآناً واحداً**. قلت: سيدي ومولاي كيف فرض الله هذا للأخ على أخيه المؤمن؟ قال: لأن المؤمن أخو المؤمن لا أبيه وأمه يرثه ويعتقد منه وهو أحق بملكه من ابنه إذا كان على مذهبه. قلت: سبحان الله ومن يمكنه ذلك ومن يقدر عليه؟ قال: من أحب أن يقرع باب الجنان ويعانق الحور الحسان ويجتمع معنا في دار السلام، ويشتاق العلي العلام،...»، الهداية الكبرى، ص٢٣١.

تشعر بالأذى إذا ما غضب منك أمثال هؤلاء، لأنهم من الطيبين. فالشيعي لا يجامل أحداً ولا يكون متكلفاً مع أحد، وذلك لأن ظهره قويّ بولاية أمير المؤمنين عليه السلام.

ويُحكى أنه في أحد الأزمنة، قام الأعداء بقطع رأس أحد الأولياء. ولكنه لم يمت، بل حمل رأسه بين يديه وقال لهم: أينما أقع، فادفنوني. مشى ومشى الناس من خلفه وصعد الجبل والناس يلحقون به، وبدأ الناس يشعرون بالتعب وهو ما زال يصعد ويصعد. فقال أحدهم للآخَر: ما دام رأسه مقطوعاً، فكيف يبصر طريقه ويسير أمامنا؟ فأجابه الآخر: أنت لا تعلم حقيقة الأمر، فعندما يسير الأولياء لا يمكن لأحد أن يتقدّم عليهم. وكذلك الأمر بالنسبة إلينا، فعندما نرتقي المنبر، لا يعود بإمكاننا التوقف عن الجود بكلامنا، خصوصاً إذا كان من بين الحاضرين أفراد من أهل المعنى والإطلاع.

نفحة من كربلاء

الختام في كربلاء، عندما انطلق الأعداء عائدين إلى الكوفة، قام عدد منهم بوضع بعض الرؤوس الطاهرة في أكياس العلف الخاصة بالجياد وانطلقوا بسرعة كبيرة. ولكنّ واحداً من الأكياس كان مثقوباً وعلى أثر السرعة الكبيرة، تمزّق ذلك الكيس، ووقع الرأس الذي كان فيه على الأرض. فصاح أحد الأطفال: يا عم، يا عم، لقد وقع رأسٌ على الأرض، وهذا الرأس لأخي. فترجّل ذلك الظالم وعديم الرحمة عن فرسه، وبدل أن يذهب لالتقاط

الرأس، توجّه إلى ذلك الطفل وبدأ يضربه بالسوط. كان آل الله يتلقّون ضرب السياط، إلا أنّ أعينهم بقيت معلقة على الرؤوس حتى يحافظوا عليها.

السلام علیک
یا امیر المؤمنین
ولایة علی بن ابی طالب حصنی
فمن دخل حصنی امن من عذابی

ملحق

[تابع لهامش رقم ٥ ص ٢٦٢] يقول الإمام الصادق عليه السلام: «شيعتنا خلقوا من فاضل طينتنا وعُجنوا بماء ولايتنا، يحزنون لحزننا ويفرحون لفرحنا»، وحتى نصل إلى بعض معاني هذه الرواية، لا بدّ من إيضاح بعض الأمور الأساسية:

الإنسان يموت ولكن أثره يبقى

يترك الإنسان بأعماله أثراً وتأثيراً في هذا العالم، وهذه القاعدة تسري خصوصاً على العلماء والشهداء. فالعلماء باقون ما بقي الدهر، كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام، وذلك بمداد علمهم. والله تعالى يقول في محكم كتابه الكريم: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[1]. ومداد العلماء خير من دماء الشهداء لأنه حافظ للقلوب والأرواح والنفوس، أما المجاهدون بالأصغر[2]، فحافظون للأبدان والأشباح والأجساد.

---

(١) سورة آل عمران، آية ١٦٩.

(٢) فليس المناط بالجهاد الأصغر هو قتال الأعداء بمنأى عن العلم والمعرفة=

ولا بدّ من الإشارة هنا إلى أن هناك نوعين من الشهادة: شهادة بالسيف وهي بالجهاد الأصغر، وشهادة بالعشق حيث تُقتل النفس وهي بالجهاد الأكبر[1]، فمِمّا ورد في الحديث القدسي: «ومن

=**والتبرّي والتولّي وإلا فلا أثر له في عالم المعنى حتى وإنْ كان يقاتل في ركاب رسول الله** ﷺ، إذ ينقل التاريخ أن رجلاً خرج مع رسول الله ﷺ، ولكن ليس دفاعاً عن الإسلام والمسلمين، وإنما من أجل حمار أعجبه، فأضمر في نفسه أن يدخل المعركة فإذا قتل صاحب الحمار استحوذ عليه، إلا أن الرجل قُتل قبل صاحب الحمار، فلما وقف عليه رسول الله ﷺ، سمع الناس يترحمون عليه ويقولون: هنيئاً له لقد مات شهيداً، **فقال** ﷺ: **إنه شهيد الحمار**. ولا تكون المعرفة إلا بأركانٍ أربعة وإذا ما أُخِلَّ بركنٍ منها فَسُدَت معرفته ولم يأتِ بالذي خُلِق لأجله وهو قول أبي عبدالله عليه السلام: «**لا تكونون صالحين حتّى تعرفوا، ولن تعرفوا حتّى تصدّقوا، ولن تصدّقوا حتّى تسلموا أبواباً أربعة، لا يصلح آخرها إلا بأوّلها، ضلّ أصحاب الثلاثة وتاهوا تيهاً بعيداً**»، الكافي، ج٢ ص٤٧.

(١) الجهاد ثلاث مراتب: **جهاد أهل الشريعة وجهاد أهل الطريقة وجهاد أهل الحقيقة**. جهاد أهل الشريعة: وهو **الجهاد ضد الكفار وله شروط وأحكام، (الجهاد الأصغر)**. جهاد أهل الطريقة: وهو **الجهاد ضد النفس الأمارة بالسّوء والتي هي أمّ الأصنام وأعدى عدوّ الإنسان**، أي مجاهدة العبد هواه ونفسه برفع شبهاتها ودفع شهواتها. جهاد أهل الحقيقة: وهو **الجهاد ضد العقل النظري في دفع شبهاته وشكوكه**، فإن العقل النظري ديدنه التقييد والتعيين، وإن المطلب **والمقصد الذي هو الله لا يوجد إلا في الاطلاق والتجرد والذي هو مقتضى العشق والذوق**، فأين العقل من العشق؟! لذا ورد عن النبي الأعظم ﷺ قوله: «خلق الله العقل لأداء حق العبودية، لا لإدراك الربوبية»، (جامع الأسرار، ص٤٨٥). والجهاد بمراتبه الثلاث، الأصغر والأكبر والأعظم، **مرتبط ببعضه البعض. غير أن الأول مرجعه إلى أرباب أهل الشريعة والثاني مرجعه إلى أرباب أهل الطريقة والثالث مرجعه إلى أرباب أهل الحقيقة.**

عشقني عشقته، ومَن عشقته قتلته، ومَن قتلته فعليَّ ديته، ومَن عليَّ ديته فأنا ديته»[١]. كما ورد عن سيّد الشهداء عليه السلام: «لو لم تكن الشهادة إلّا لمن قتل بالسيف لأقلّ الله الشهداء»[٢]، وفي رواية أخرى: «ألا ومن مات على حبّ آل محمد مات شهيداً»[٣]، وورد أيضاً ما معناه أن هؤلاء يموتون في كل يوم سبعين مرة من كثرة ما يجاهدون أنفسهم ويخالفون هواهم[٤]. وإن الشهيد هو اسم من أسماء الله، ومعناه أنه صار بتمام وجوده مشاهداً للحقائق ومتحققاً بها وشاهداً وشهيداً[٥] لها. وعليه، فما هو الرزق الذي يرزقه الله للشهداء الذين قتلوا في سبيله؟ ذلك الرزق هو المعرفة بالأسماء والصفات الإلهية والتحقق بها، وكلٌ يُرزق بحسب ولايته ومحبّته وعشقه وبراءته. وبالتالي فإن هؤلاء لا ينقطع عملهم فيكون له ظهور وصور في هذا العالم بناء على شهودهم للحقائق وارتباطهم بها. وعلى غرار ذلك، ورد أنه «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاّ

---

(١) شرح الأسماء، ص١١٩.
(٢) ميزان الحكمة، ج٢ ص١٥١٧.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) ممّا ورد في الحديث القدسي عن أهل الخير وأهل الآخرة: «الناس عندهم موتى، والله عندهم حي قيوم كريم، يدعون المدبرين كرماً، ويريدون المقبلين تلطفاً، قد صارت الدنيا والآخرة عندهم واحدة، **يموت الناس مرة ويموت أحدهم في كل يوم سبعين مرة من مجاهدة أنفسهم ومخالفة هواهم، والشيطان الذي يجري في عروقهم...**»، بحار الأنوار، ج٧٤ ص٢٤.
(٥) ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾، سورة الحديد، آية ١٩.

من ثلاث: ولد صالح يدعو له وصدقة جارية وعلم يُنتفع به»[١]، فهذا الولد الصالح، قد يكون بوجهٍ من الوجوه، عملاً صالحاً[٢] كالدمعة المذروفة في عزاء الحسين عليه السلام. ولهذا السبب، يرحل البعض عن هذا العالم ولكن يبقى لهم أثر وتأثير فيه، وذلك بمقدار ولايتهم ومحبّتهم وعشقهم وبراءتهم. فيرحل الجسد ويبقى الأثر.

وقد تكون بعض الأشجار المغذية، كالتين والزيتون، التي يستفيد منها الناس أو النباتات والأزهار، كالقصعين والبابونج، التي يتم التداوي والاستشفاء بها أو الأحجار الكريمة، كالحجر الأسود والعقيق والزمرّد والدرّ، التي تعود على الناس بالفائدة، أو الماء المبارك كماء الشفاء وماء القدم في نيسابور، الذي يتبرّك ويستشفي به الموالون، في أصلها ومنشأها إنساناً مؤمناً موالياً، خلق الله منه هذه الموجودات كصدقة جارية له. ويكون كل ظهور من هذه الظهورات بحسب الولاية والتوحيد المستبطَنة فيه. وتجدر الإشارة إلى أن بعض فوائد تلك الأشجار والأعشاب والأحجار يكون للبدن وبعضها للنفس وبعضها الآخر للروح، غير أن ذِكر الأصل في كل ذلك، وهو أهل البيت عليهم السلام، شفاءٌ من الوعك والأسقام كلها، ومنه يتدرّج كل علاج وشفاء. فعن أمير

(١) غوالي اللئالي، ج١ ص٩٧.

(٢) فقد وصف الله تعالى ولد النبي نوح عليه السلام بأنه عمل غير صالح، ﴿قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ ۖ﴾، سورة هود، آية ٤٦.

المؤمنين عليه السلام: «ذِكرُنا أهل البيت شفاءٌ من الوَعك والأسقام ووسواس الرَّيب، وحُبُّنا رضى الله تَبارك وتعالى»[١].

أثر العشق في وجود العاشق

إنّ لعشق أهل البيت عليهم السلام أثراً كبيراً في نفس العاشق. فبعد أن يسمع الموالي حديث العشق ويصدّقه ويدخل في قلبه ويقرّ به ويتخلى عن كل شيء غيره، يتوحدّ معه ويصبح فيه ومنه. فيتولد من هذا التوحّد والوحدة علماً أو فهماً أو نوراً أو عملاً أو كلها معاً فتتفجّر ينابيع الحكمة من قلبه إلى أصحاب القلوب ومن عقله إلى أصحاب العقول. ويبدأ وجوده وأفعاله وصفاته وذاته يحكي تلك الحقيقة، فتظهر في كل حواسه، من دون أن يدري ذلك في بعض الأحيان، لأنها تصبح تلقائية من دون تكلّف.

ثمار العشق

إنه قد يتولد من الارتباط والحب والعشق لله ولأهل البيت عليهم السلام ما لا يتوقعه إنسان. فعلى سبيل المثال، تولّد من حبّ الله تعالى لأهل البيت عليهم السلام الشمس والقمر والبحار والنجوم والأفلاك وكل شيء في الوجود[٢]. وتولّد من حبّ الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لله تعالى

(١) القطرة، ج١ ص١٣٠.
(٢) «إني ما خلقتُ سماء مبنية ولا أرضاً مدحية، ولا قمراً منيراً، ولا شمساً مضيئة ولا فلكاً يدور، ولا بحراً يجري، ولا فلكاً يسري إلا في محبة هؤلاء الخمسة الذين هم تحت الكساء»، حديث الكساء، مفاتيح الجنان.

القرآن الكريم، ومن حبّ فاطمة عليها السلام لله تعالى تولّد مصحف فاطمة، وتولّد من عشق الحسين عليه السلام لله عز وجل كربلاء. وكربلاء توالدها لا نهاية له لأنها ثمرة قصة عشق لا ينتهي، فما يتولد منها هو المجالس واللطم والزيارات التي لا يمكن لأحد أن يقف في وجهها أو يضع حداً لها. هذا وقد تولّد من عشق كميل بن زياد لأمير المؤمنين عليه السلام وتوحيده وتوحده معه دعاء كميل. وهو دعاءٌ يشتمل على مضامين ومفاهيم معنوية لا يمكن للموالي، حين يقرأها، إلا أن يشعر بحالة من الفقر والعبودية لله تعالى وبالتالي، فإنّ هذا الدعاء الوليد من العشق يفتح أمام الموالي طريقاً للارتباط والاتصال بالله تعالى. كما تولد من ارتباط وعشق أبي حمزة الثمالي للإمام زين العابدين عليه السلام، دعاء أبي حمزة الثمالي، الذي لا يمكن لمن كان له قلبٌ إلا أن يخشع ويخضع لدى قراءته لنيل الزلفى والقرب من الله تعالى.

وأما العشق الذي يجمع بين السيدة زينب وأبي الفضل والحسين عليهم السلام، فيتولد منه الكثير من الأمور التي تتجلى في مختلف المراتب الوجودية للموالي المحبّ. ففي العقل، يتولد من هذا العشق كتابٌ، وفي القلب يتولد حب وعشق وإرادة وعزيمة وألحان وأشعار ورثاء، وفي العين دمعة تستبطن الولاية والمحبة وتختصر كل ما سبق.

وعُجنوا بماء ولايتنا

مثلما يبقى العلم والمعرفة وأثرهما في هذا العالَم حتى بعد موت العالِم والعارف، فكذلك الحبّ يبقى أثره أيضاً حتى بعد موت المُحبّ. وإن أثر الحبّ هو الدمعة التي تستبطن الولاية والعشق ويكون لها صورة في عالم المعنى، ككل أعمال الإنسان. ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «رحم الله شيعتنا خلقوا من فاضل طينتنا وعجنوا بماء ولايتنا يحزنون لحزننا ويفرحون لفرحنا»[(١)].

ولعل ماء الولاية هذا هو الدموع التي يذرفها آل الله على الحسين بن علي عليهما السلام فيُخلق منه الشيعة والموالون. بل إنّ المصداق الأتم لهذا الماء وهذه العجينة هو الدموع التي ذرفها الحسين عليه السلام في كربلاء، فهو أكثر من بكى من آل البيت عليهم السلام، وحين تساقطت دموعه على ذلك التراب، تكوّنت عجينة خُلق منها أفضل الشيعة والموالين. ولا عجب في ذلك، إذ إن الله خلق من قطرات نور نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم الرّسل والأنبياء، حيث ورد في الرواية: «قال الله تعالى: يا حبيبي ويا سيّد رسلي، ويا أول مخلوقاتي ويا آخر رسلي أنت الشفيع يوم المحشر، فخرّ النور ساجداً، ثم قام فقطرت منه قطرات كان عددها مائة ألف وأربعة وعشرين ألف قطرة، فخلق الله تعالى من كل قطرة من نوره نبياً من الأنبياء»[(٢)].

وفي رواية أخرى أنه عندما تنفّست أرواح الأنبياء، خلق الله منها

---

(١) شجرة طوبى، ج١ ص٣.

(٢) بحار الأنوار، ج١٥ ص٢٩.

أرواح الأولياء والشهداء والصالحين. وإذا كان الله قد خلق الأنبياء من القطرات التي تساقطت من نور حبيبه محمّد ﷺ، فما يمنع أن يكون قد خُلق من دموع أئمتنا عليهم السلام، الملائكة والأولياء والشيعة الخلص، وعلى رأسهم السيدة زينب وعليّ الأكبر وأبو الفضل ورقية وسَكينة عليهم أفضل الصلاة والسلام؟ وإذا كانت الملائكة تُخلق من قطرات الماء التي تسقط من الموالي أثناء اغتساله[(١)]، فهل يُستبعد أن تُخلق الملائكة المقرّبون والأولياء من الدموع التي تنهمر من أعين أئمتنا عليهم السلام! والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: ماذا يمكن أن يُخلق من دموع الموالين وعشاق الإمام الحسين عليه السلام؟

صورة الدمعة في عالم البرزخ

إن من تنزلات الماء الذي عُجِن به الشيعة هو الدمعة التي يذرفونها في محبة وولاية أهل البيت عليهم السلام. وقد ورد عنهم: «لكل شيء ثواب إلا الدمعة فينا»[(٢)]. كما قال أمير المؤمنين مخاطباً ولده سيّد الشهداء عليهما السلام: «ولدي حسين، أنت عبرة كل مؤمن ومؤمنة». وكما قلنا سابقاً، فإن كل عمل يقوم به الإنسان يكون له أثر في هذا العالم، والدمعة فيهم عليهم السلام هي من الأعمال الصالحة التي تصدر عن الموالين، لأنها ثمرة عشق أهل البيت ومحبتهم والارتباط بهم عليهم السلام، ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ

---

(١) بحار الأنوار ج١٠٠ ص٣٠٧.

(٢) نجاة الأمة، ص٣٨.

يَرۡفَعُهُۥۚ﴾[١]. وعليه، فإن لهذه الدمعة صورة في عالم البرزخ حالها كحال بقية أعمال الإنسان. وقد يُنزل الله تعالى هذه الدمعة ويُظهرها في هذا العالم في أيّ صورة شاء. فكما يجتمع الغمام ويتكثف السّحاب في السماء لينزل أمطاراً، فكذلك هي الدمعة الناتجة عن الولاية والعشق التي صُعِد بها إلى عالم البرزخ، حيث قد يُنزلها الله من ذلك العالم في أيّ صورة من الصور وتكون بمثابة الصدقة الجارية لصاحبها. فقد يصيّر الله تعالى تلك الدمعة ولياً أو ملكاً كما ذكرنا، وإذا عُجِن الإنسان بهذه الدمعة مباشرةً يولد إنساناً كاملاً، كما قد يصيّرها الله كتاباً ينتفع به الموالون.

حبّ آل البيت عليهم السلام يهطل من السماء!

تصعد كل أعمالنا الصالحة إلى الله، فما كان منها لله ينمو ولو بعد حين، إذ قد لا تظهر صورة هذا العمل فوراً، إنما قد تظهر بعد سنة أو سنوات أو حتى بعد وفاة صاحب العمل. كالنباتات التي تكون موجودة في الحقيقة ولكن تُكتَشف فائدتها وأثرها بعد مدة من الزمن، والنجوم التي يحتاج نورها إلى فترة زمنية حتى يصل إلى الأرض فيراه البشر. وهكذا، يُهطل الله الصورة التي تشكلت لذلك العمل الصالح في عالم المعنى إلى السماء الدنيا كما يهطل المطر، فيصيب بها من يشاء كيف يشاء بأيّ صورة شاء[٢]. وكما

(١) سورة فاطر، آية ١٠.
(٢) «سأل جابر بن يزيد الجعفي، لمولانا أبي جعفر الباقر عليه السلام بستين ألف خبر=

ورد عنهم عليهم السلام: «إن حبّنا أهل البيت ينزله الله من السماء من خزائن تحت العرش كخزائن الذهب والفضة ولا ينزله إلا بقدر، ولا يعطيه إلا خير الخلق، وإن له غمامة كغمامة القطر، فإذا أراد الله أن يخصّ به من أحب من خلقه أذن لتلك الغمامة فتهطلت كما تهطل السحاب فتصيب الجنين في بطن أمه»(١).

=وقال له: ذلك أستودعه علماً وفضلاً في هذه الدلالة **فحدّثه الباقر** عليه السلام **الستين ألف خبر**، فقال له: يا مولاي كيف أكون فيها، فقال: تحدث منها بعشرين ألف خبر، وعشرين ألف خبر، أخفيها (أخفِها) ولا تظهرها، فقال: **يا مولاي ضعف صبري عن إخفائها فقال: أحفر لها حفيرة في الجبانة وتحدث بها فإذا أخرجتَ رأسك منها أدفنها**، ففعل جابر ذلك كله فلما أن حدث الحفيرة ودفنها، **أنبتت الحفيرة قصباً فكانوا يأخذون القصبة من قصبها ويلعبون فيها تنطق بما حدّث به جابر للحفيرة** فقصد إليها الكهول والشيوخ **فأخذوا من ذلك القصب ونفخوا فيه فنطق بالعشرين ألف خبر عن جابر عن محمد الباقر** عليه السلام فسمعوه وكتبوه فخاف جابر على نفسه من بني أمية فقشر القصب وركبه وركض في طرقات المدينة فنظر إليه الناس، وقالوا له: ما شأنك أيها الحكيم، فقال لهم: جُنّ جابر، فصاح الناس جُنّ جابر، بما قال عن أبي جعفر، فرفع بعض الأخبار إلى بني أمية فأنفذوا ليريدوا قتله فصادفوه في طرقات المدينة راكب القصب يطوف ويصيح جُنّ جابر فكتبوا يخبرون السلطان من بني أمية بجنونه **فبعث إليهم أردنا قتله لما فعل فإذا كان قد جُن اتركوه** فقال أهل المدينة: الجنون لجابر خير من القتل، فقلنا: سبحان الله سمعنا بهذا الخبر لكن نسيناه وأما هذا بفضل موالينا أهل البيت عليهم السلام وهذا من دلائله عليه السلام»، الهداية الكبرى، ص٣٣٩، ٣٤٠.

(١) بحار الأنوار، ج٧٥ ص٢٩٢.

بمقدار العشق، يبقى الأثر

إنّ العمل الصالح المتمثل بالدمعة هو نتاج الولاية والعشق والمحبة. ولأنه كذلك، يتوقف دوام واستمراريّة ظهوره في هذا العالم على مقدار ذلك العشق وصدق النيّة فيه، ولذا نجد أن هناك من النباتات ما استفاد منه الناس لفترة من الزمن ثم توقفوا عن ذلك وهكذا هو الحال مع بعض الكتب التي توقفت الاستفادة منها والألحان التي اندثرت والرواديد والقرّاء الذين ما عادوا يقرأون ولا يلطمون.

نبيّ الله عيسى عليه السلام ثمرة عشق

دليلُ كل ما تقدّم هو قول الله عز وجلّ في كتابه الكريم: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾. وعليه، فإن الله قد يخلق بشراً أو أيّ شيء آخر بخلاف السبل التي اعتاد عليها الناس، ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾، كما حصل مع النبي عيسى عليه السلام. فقد نقل أحد الموالين[1] بأنه التقى رجلاً بالنجف الأشرف وقصّ عليه رؤياه حيث رأى أنه كان يجلس في عزاء الإمام الحسين عليه السلام، وبعد إنتهاء المجلس، تفرّق الجميع وغادروا المكان. وعند ذاك رفع رأسه، وإذا به يرى امرأة واقفة هناك لا زالت تبكي وحيدةً. كانت تلك المرأة ترتدي عباءة وتُسدل طرفها العلويّ على رأسها ليصل إلى وسطها. وفي تلك اللحظات،

(١) لطيفة ولائية.

راح ذلك الرجل يتساءل بينه وبين نفسه عن هوية تلك المرأة، هل تكون هذه السيدة الزهراء عليها السلام أم السيدة سَكينة أم من عساها تكون؟ وعند ذلك بدأت تلك المرأة تحكي بدموعٍ جارية وهو يُنصتُ إلى كلامها في باطنه، إذ هذا ما يجري عادةً في عالم المنام. فسمعها تقول: أنا مريم، أمّ نبي الله عيسى عليه السلام. وهنا، ازداد تعجّب الرّجل، وتساءل عن سبب وجودها هي تحديداً في عزاء الحسين بن عليّ، فهو ما كان يدري سابقاً أنّها تحضر في عزائه صلوات الله وسلامه عليه. وكأنّ السيّدة مريم علمت بكلّ ما دار في خلده، فخاطبته قائلة: حين تمثّل جبرائيل لي بشراً سويّاً وأخبرني بأني سأحمل غلاماً في أحشائي، إذ قال: ﴿إِنَّمَآ أَنَاْ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَـٰمًا زَكِيًّا﴾[1]، عظم ذلك عليّ. ولكنه عند ذاك، مسح بيده على عينيّ وإذا بي أُبصرُ أرض كربلاء وأرى ما يجري فيها على الحسين وأهل بيته وأصحابه عليهم السلام، ومن أجل ذلك قلتُ: ﴿يَـٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَـٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾[2]. فأنا أُظلَم حين يقال إن هذا الكلام صدر عني بسبب ولادتي لنبيّ الله عيسى عليه السلام، إذ ما كنتُ لأعترض على الأمر الإلهي، وإنما قلت: يا ليتني متّ قبل «هذا»، في إشارة إلى ما جرى على الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه. ولدى رؤيتي لتلك الأحداث، رحتُ أبكي وأبكي. ألا يقول أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ولدي حسين،

(١) سورة مريم، آية ١٩.

(٢) سورة مريم، آية ٢٣.

أنت عبرة كل مؤمن ومؤمنة؟ وأثناء جَرَيان دموعي على خدّي، أخذ جبرائيل شيئاً منها وجعلها في فمي[(١)] وإذا بي أبتلعه دون إرادة مني، وحين ابتلعتُه شعرتُ بثقل في أحشائي، وأحسستُ عندها بوجود ولدي عيسى عليه السلام في داخلي. ثم تابعت السيدة مريم كلامها وقالت: إنكم تتلون في القرآن أنّ ولدي عيسى عليه السلام تكلم في المهد وقال: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾[(٢)]. وأنتم تسلّمون على الحسين عليه السلام في الزيارة وتقولون: «السلام عليك يا أبا عبدالله»، وذلك على الرغم من أن اسم ولده الأكبر هو «عليّ» وليس «عبدالله» الذي هو اسم ولده الأصغر. فالقول بأنه «أبو عبدالله» يعني أنه أبو ولدي عيسى فهو عبدالله. وبالتالي، إنّ من معاني كنية الحسين «أبي عبدالله» أنه أب لكل عبدٍ لله حتى لعيسى بن مريم عليهما السلام. وفي هذا السياق، نذكر شعراً كان أبو هارون المكفوف قد قرأه في محضر أبي عبدالله الصادق عليه السلام وهو:

يا مريم قومي واندبي مولاك   وعلى الحسين فاسعدي ببكاكِ

العمل الطالح قد يظهر بولد!

كما يُرفع العمل الصالح إلى عالم المعنى ويُظهره الله بالصورة التي يشاؤها، فكذلك للعمل القبيح، في المقابل، صورة أيضاً في

(١) ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾، (سورة الأنبياء، آية٩١)، ولعلّ من معاني كلمة «فيها» المذكورة في الآية الكريمة: «فمها».

(٢) سورة مريم، آية ٣٠.

عالم المعنى. وإن أعمال البشر هي السبب في ظهور الشرّ والفساد في هذا العالم، إذ تظهر هذه الأعمال أيضاً بصورة حجر أو نبات أو حيوان مفترس أو إنس أو جنٍ قاتلٍ فاجر أو حتى قبائح وذنوب ومعاصي(١). فقد خاطب الله تعالى نبيّه نوح عليه السلام حين سأله عن ابنه بالقول: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ﴾(٢)، فلم يقل الله إنه ولدٌ غير صالح إنما قال إنه عمل ولكنه ظهر بصورة ولد. وبالتأكيد يرجع هذا العمل الطالح إلى زوجة النبي نوح وليس إليه عليه السلام.

كيف خُلق العقل والجهل؟

خلق الله تعالى العقل من النور والجهل من الظلمة، ولكل منهما جنود وتجليات على مدى الأحقاب والعصور، فقد ورد في الحديث: «عن سماعة بن مهران قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام وعنده جماعة من مواليه فجرى ذكر العقل والجهل فقال أبو عبدالله عليه السلام: إعرفوا العقل وجنده والجهل وجنده تهتدوا (فالهداية متوقفة على معرفتهما بعينهما)، قال سماعة: فقلت: جعلت فداك لا نعرف إلا ما عرَّفتنا، فقال أبو عبدالله عليه السلام: إن الله عزّ وجلّ خلق العقل وهو أوّل خلقٍ من الروحانيين عن يمين العرش من نوره، فقال له: أدبر فأدبر، ثم قال له: أقبل فأقبل، فقال الله تبارك وتعالى: خلقتك خلقاً عظيماً وكرّمتك على جميع خلقي.

---

(١) كالكفر والشرك والزنا والقتل والشذوذ والكذب والرياء والكبر وما إلى ذلك.

(٢) سورة هود، آية ٤٦.

قال: ثم خلق الجهل من البحر الأجاج ظلمانياً فقال له: أدبر فأدبر، ثم قال له: أقبل فلم يقبل. فقال له: استكبرتَ فلعنه[١]. ثم جعل للعقل خمسة وسبعين جنداً فلما رأى الجهل ما أكرم الله به العقل وما أعطاه أضمر له العداوة. فقال الجهل: يا ربّ، هذا خلق مثلي خلقته وكرمته وقويته وأنا ضدّه ولا قوة لي به فأعطني من الجند مثل ما أعطيته فقال: نعم، فإنْ عصيتَ بعد ذلك أخرجتُك وجندك من رحمتي. قال: قد رضيت. فأعطاه خمسة وسبعين جنداً فكان مما أعطى العقل من الخمسة والسبعين الجند: الخير وهو وزير العقل وجعل ضده الشر وهو وزير الجهل، والإيمان وضده الكفر، والتصديق وضده الجحود، والرجاء وضده القنوط، والعدل وضده الجور... فلا تجتمع هذه الخصال كلها من أجناد العقل إلا في نبي أو وصي نبي، أو مؤمن قد امتحن الله قلبه للإيمان، وأما سائر ذلك من موالينا فإن أحدهم لا يخلو من أن يكون فيه بعض هذه الجنود حتى يستكمل، وينقي (يُنَقّى) من جنود الجهل فعند ذلك يكون في الدرجة العليا مع الأنبياء والأوصياء، وإنما يدرك[٢] ذلك بمعرفة العقل وجنوده[٣]،

---

(١) ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾، سورة البقرة، آية١٥٩.

(٢) والإدراك لا يتم إلا بالمعرفة (معرفة العقل وجنوده والجهل وجنوده) تعيّناً وتشخّصاً وظهوراً.

(٣) **بمعرفة ومحبة وعشق العقل الذي هو محمّد وآل محمّد «تُعتقد معرفته»، فالعقل هو محمّد والعقول هم محمّد وآل محمّد. وإذا اتّصف الإنسان بالعقل يقال له=**

وبمجانبة الجهل وجنوده[(١)]، وفقنا الله وإياكم لطاعته

=«عقيل» إنْ كان رجلاً و«عقيلة» إنْ كانت امرأة، «**السلام عليكِ يا عقيلة العرب**». **أما الجهل فهو عدوّ محمّد وآل محمّد** عليهم السلام، **إذ قالت السيدة الزهراء** عليها السلام في وصيّتها لأمير المؤمنين عليه السلام: «أُوصيك أن لا يشهد أحد جنازتي من هؤلاء الذين ظلموني، **فإنّهم عدوّي وعدوّ رسول الله** صلى الله عليه وآله»، روضة الواعظين، ج١ ص١٥١.

(١) **ومجانبة الجهل تكون بمعرفته ولعنه والتبرّؤ منه والبكاء والنّدب على سيّد الشهداء** عليه السلام، **فصاحب العصر والزمان حين لم يقدر على نصرة جده الحسين** عليه السلام **قال: «لئن أخرتني الدهور، وعاقني عن نصرك المقدور، ولم أكن لمن حاربك محارباً، ولمن نصب لك العداوة ناصباً، لأندبنك صباحاً ومساءً، ولأبكين عليك بدل الدموع دماً»**. كما رُوي عن علي بن عاصم الكوفي أنه قال للإمام العسكري الزكي صلوات الله عليه: «قلت له: إني عاجز عن نصرتكم بيدي وليس أملك غير موالاتكم والبراءة من أعدائكم واللعن لهم في خلواتي، فكيف حالي يا سيدي؟ فقال عليه السلام: حدثني أبي عن جدي رسول الله صلى الله عليه وآله قال: **مَن ضعف عن نصرتنا أهل البيت ولعن في خلواته أعداءنا؛ بلّغ الله صوته إلى جميع الملائكة، فكلما لعن أحدكم أعداءنا صاعدته الملائكة ولعنوا من لا يلعنهم، فإذا بلغ صوته إلى الملائكة استغفروا له وأثنوا عليه** وقالوا: اللهم صل على روح عبدك هذا الذي بذل في نصرة أوليائه جهده، ولو قدر على أكثر من ذلك لفعل، فإذا النداء من قبل الله تعالى يقول: يا ملائكتي، إني قد أجبت دعاءكم في عبدي هذا وسمعت ندائكم(نداءكم) وصلّيت على روحه مع أرواح الأبرار وجعلته من المصطفين الأخيار»، (بحار الأنوار، ج٥٠ ص٣١٦). **وتعتبر مجالس أبي عبدالله الحسين** عليه السلام، **وما يجري فيها من ذكرٍ لفضائل أهل البيت** عليهم السلام **والبكاء على مصائبهم، السبيل الأوحد لمجانبة الجهل وقهره والتغلب عليه**، إذ قال أبو الحسن عليه السلام: «ليس شيء أنكى لإبليس وجنوده من زيارة الإخوان في الله بعضهم لبعض، وإنّ المؤمنين يلتقيان **فيذكران الله، ثمّ يذكران فضلنا أهل البيت، فلا يبقى على وجه إبليس مضغة، إلاّ تخدّد حتّى أنّ روحه لتستغيث من شدّة ما تجد من الألم**، فتحسّ ملائكة=

ومرضاته»[١]. وقد يقول قائل ما الفائدة من معرفة العقل والجهل

=السماء وخزّان الجنان، فيلعنونه حتّى لا يبقى ملك مقرّب إلاّ لعنه فيقع خاسئاً حسيراً مدحوراً»، (الكافي، ج٢ ص١٨٨)، فالمؤمن إذا زار أخاه المؤمن في الله، يعني زاره فقط من أجل ولايته ومحبته لله ولأهل البيت عليهم السلام، **وبدآ يذكران الله وفضائل أهل البيت عليهم السلام، لا يبقى على وجه إبليس مضغة لحم، معنى هذا أن إبليس المذكور في الرواية هو إبليس أبالسة الإنس (الثاني لعنه الله).** فالموالون يستطيعون بجلوسهم في تلك المجالس أن يقتلوا كثيراً من الأبالسة، وبسماعهم لفضائل أهل البيت عليهم السلام، لا يبقى على جسد إبليس الإنسان، أي عدوّ آل محمد، مضغة لحم إلا وتخدّدت وروحه تستغيث من شدّة ما يجد من الألم وتلعنه الملائكة فيقع خاسئاً حسيراً مدحوراً. **وكذلك، فإنّ اللطم هو من سُبل مجانبة الجهل، فقد قال العباس عليه السلام «والله إن قطعتم يميني إني أحامي أبداً عن ديني»، ومعنى ذلك أن الذي يحفظ الإسلام ويحامي عن دين الله إلى الأبد وإلى يوم القيامة هو حضرة أبي الفضل العباس عليه السلام، وذلك باللطم على الحسين عليه السلام. فكلما ازداد اللطم، كلما حُفِظ الدين ونُشِر. وذلك أن الدين حسين واللطم إحياء لغايات الحسين وأمره، «وهل الدين إلا الحب؟»** كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام، بحار الأنوار، ج ٢٧ ص٩٥.

(١) وهذه تتمّة الرواية وبقية جنود العقل والجهل: «والرضا وضده السخط، والشكر وضده الكفران، والطمع وضده اليأس، والتوكل وضده الحرص، والرأفة وضدها القسوة، والرحمة وضدها الغضب، والعلم وضده الجهل، والفهم وضده الحمق، والعفة وضدها التهتك، والزهد وضده الرغبة، والرفق وضده الخرق، والرهبة وضدها الجرأة، والتواضع وضده الكبر، والتؤدة وضدها التسرع، والحلم وضدها السفه، والصمت وضده الهذر، والاستسلام وضده الاستكبار، والتسليم وضده الشك، والصبر وضده الجزع، والصفح وضده الانتقام، والغنى وضده الفقر، والتذكر وضده السهو، والحفظ وضده النسيان، والتعطف وضده القطيعة، والقنوع وضده الحرص، والمؤاساة وضدها المنع، والمودة وضدها العداوة والوفاء وضده الغدر، والطاعة وضدها المعصية، والخضوع وضده التطاول، والسلامة وضدها البلاء، والحب وضده البغض، والصدق وضده الكذب، والحق وضده الباطل، والأمانة وضدها الخيانة،=

وجنودهما؟ لقد بيّن الإمام الفائدة من ذلك، وهي الهداية، فمن دون معرفة العقل والجهل لا يمكن للإنسان الرحيل إلى الله حتى يبلغ الهداية واليقين ولا يمكن له أن يخرج من الظلمات إلى النور البتّة. ويقول الله تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾[1]، فالوصول إلى مقام اليقين لا يتمّ إلا بالعبودية لله عزّ وجل والتي هي فرع معرفته. وإنما تتم معرفة الله تعالى بالعقول، حيث يقول عليه السلام: «وبالعقول تُعتقد معرفته»[2]. ولا تتمّ معرفة العقل إلا بمعرفة الجهل، ومن هنا قال عليه السلام: «إعرفوا العقل وجنده والجهل وجنده تهتدوا». وحين يتوصل الموالي إلى معرفتهما ومعرفة جنودهما، يتمكن حينئذ من أن يوالي

=والاخلاص وضده الشوب، والشهامة وضدها البلادة، والفهم وضده الغباوة، والمعرفة وضدها الانكار، والمداراة وضدها المكاشفة، وسلامة الغيب وضدها المماكرة، والكتمان وضده الإفشاء، والصلاة وضدها الإضاعة، والصوم وضده الإفطار، والجهاد وضده النكول، والحج وضده نبذ الميثاق، وصون الحديث وضده النميمة، وبر الوالدين وضده العقوق، والحقيقة وضدها الرياء، والمعروف وضده المنكر، والستر وضده التبرج، والتقية وضدها الإذاعة، والإنصاف وضده الحمية، والتهيئة وضدها البغي، والنظافة وضدها القذر، والحياء وضدها الجلع، والقصد وضده العدوان، والراحة وضدها التعب والسهولة وضدها الصعوبة، والبركة وضدها المحق، والعافية وضدها البلاء، والقوام وضده المكاثرة، والحكمة وضدها الهواء، والوقار وضده الخفة، والسعادة وضدها الشقاوة، والتوبة وضدها الإصرار، والاستغفار وضده الاغترار، والمحافظة وضدها التهاون، والدعاء وضده الاستنكاف، والنشاط وضده الكسل، والفرح وضده الحزن، والألفة وضدها الفرقة والسخاء وضده البخل»، الكافي، ج١ ص٢٠ - ٢٣.

(١) سورة الحجر، آية ٩٩.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة رقم ٤.

العقل ويُجانب الجهل ويُنقّى من جنوده الكامنة فيه. وإلا، فلن يأتيه اليقين من الله.

هل تعرف الجهل وتعيّناته في زمانك؟

من المعروف أنّ أول ما خلق الله تعالى هو نور نبيّنا ﷺ وهو المقصود بالعقل، حيث يُشار إليه ﷺ بالعقل الكلي[١]. وبعدما خلق الله العقل، خلق الجهل من الظلمة فأظهر العصيان لله تعالى حيث لم يمتثل لأمره حين أمره بالإقبال بينما اتبع هواه حين أُمِر بالإدبار كما أنه أضمر العداء والبغض والحسد للعقل. ومن هنا،

(١) وذلك في عالم العقل. «إعلم إن الله جلّ جلاله لم يزل متفرداً، ولم يكن مخلوق ولا زمان ولا مكان، **فلما ابتدأ بخلق أفضل المخلوقات واشتق من نوره نور عليّ وفاطمة والحسن والحسين** عليهم السلام، **جعل لهم محالاً متعددة وعوالم مختلفة**، كما يظهر من مجموع الروايات المعتبرة. **فمنها: قبل خلق العرش ومنها: قبل خلق آدم ومنها: بعده** عليه السلام. **أنواراً تارة، وأشباح نور تارة، وظلالاً تارة وأنواراً في الجنة تارة، وعمود نور أُقذِف في ظهر آدم** عليه السلام **تارة، وفي أصابع يده أخرى وفي جبينه تارة**، وفي جبين كل جدّ من الأجداد من آدم عليه السلام إلى والد النبي ﷺ عبدالله بن عبد المطلب، وفي جبين كل جدة عند الحمل ممن هو في ترائبها من حواء إلى أمّ النبي آمنة بنت وهب عليها السلام. **ثم إن لنورهم محالاً متعددة قدّام العرش، وفوق العرش وتحت العرش وحول العرش، وفي كل حجاب من الحجب الإثني عشر، وفي البحار وفي السرادقات. ولبقائهم في كل محل مدة مخصوصة**، فمدة وجودهم قبل خلق العرش أربعمائة وعشرون ألف سنة، وزمان كونهم حول العرش خمسة عشر ألف سنة قبل آدم، وزمان كونهم تحت العرش إثنا عشر ألف سنة قبل آدم عليه السلام»، (الخصائص الحسينية، ص٣٣ و٣٤) .**فقد تنزّل** ﷺ **من عالم الغيب الأول إلى الغيب الثاني إلى عالم الشهادة. ولضيق فضائه، (أي عالم الشهادة) تنزل فيه من غيبه إلى شهادته كالنهر الجاري وليس دفعة واحدة لعدم تحمّل هذا العالم، وكان الرابط في تلك التنزلات الملائكة التي كانت تأخذ من غيبه إلى شهادته.**

يُعلم أن هذا الجهل إنما هو متعيّن ومتشخّص ومتجلٍ في الأوّل والثاني[١]، الغاصبَين لولاية أهل البيت عليهم السلام والظالمَين لهم والمُختَلِسَيْن لحقوقهم، على امتداد العصور، واللذين هما ألدّ أعداء النبيّ وآله والمبغضين والحاسدين لهم كما لا يخفى على العاقل. ومثلما أن للعقل جنوداً وتجليات منذ أن خلقه الله تعالى حتى قيام يوم الدين، فكذلك للجهل[٢] جنود وتجليات مذ خلقه

(١) بإسناده عن علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن الحسن بن محبوب، عن ابن الزيات، عن الصادق عليه السلام أنه قال: «كانت صهاك جارية لعبد المطلب، وكانت ذات عجز، وكانت ترعى الإبل، وكانت من الحبشة، وكانت تميل إلى النكاح، فنظر إليها نفيل جدّ [فلان] فهواها وعشقها من مرعى الإبل فوقع عليها، فحملت منه بالخطّاب، فلما أدرك البلوغ نظر إلى أمه صهاك فأعجبه عجزها فوثب عليها فحملت منه بحنتمة، فلما ولدتها خافت من أهلها فجعلتها في صوف وألقتها بين أحشام مكة، فوجدها هشام بن المغيرة بن الوليد، فحملها إلى منزله وربّاها وسمّاها بـ«الحنتمة»، وكانت مشيمة العرب من ربى يتيماً يتخذه ولداً، فلما بلغت حنتمة نظر إيها الخطاب فمال إليها وخطبها من هشام، فتزوجها فأولد منها [فلان]، **وكان الخطاب أباه وجده وخاله، وكانت حنتمة أمه وأخته وعمته**. وينسب إلى الصادق عليه السلام في هذا المعنى شعر: «**من جدّه خاله ووالده وأمه أخته وعمته، أجدر أن يبغض الوصي وأن ينكر يوم الغدير بيعته**»، بحار الأنوار، ج٣١ ص٢٠٥ - ٣٠٤. وعن الضحّاك قال الثاني: «يا ليتني كنت كبش أهلي سمّنوني ما بدا لهم حتى إذا كنت أسمن ما أكون، زارهم بعض ما يحبّون فجعلوا بعضي شواء وبعضي قديداً **ثم أكلوني فأخرجوني عذرة ولم أكن بشراً**»، كنز العمال، ج٦ ص٣٤٥.

(٢) الشيباني محمد بن الحسن في نهج البيان في قوله تعالى: «﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾ (سورة القصص، آية ٦)، قال: روى عن الباقر والصادق عليهما السلام: **أن فرعون وهامان هنا، هما شخصان من جبابرة قريش يحييهما الله تعالى عند قيام القائم من آل محمد عليه السلام في آخر الزمان، فينتقم منهما بما أسلفا**»، اللوامع النورانية، ص٢٧٨، ٢٧٩.

الله تعالى حتى انتهاء العالم، «وإن كل قائد من قوّاد الجهل خصّصه الجهل بناحية من نواحي البدع والضلال والمخازي»[(١)]. ويتبيّن من الرواية أنّ الخير الذي وُجد في العالم منذ ذلك الحين ما هو إلا جندٌ من جنود العقل الكلي، أي رسول الله وأهل بيته عليهم السلام، ولذلك نقرأ في الزيارة الجامعة: «إن ذُكر الخير كنتم أوله وأصله وفرعه ومنتهاه». وكذلك فإن الشرّ الموجود في كل مكان وزمان هو تابع للجهل المتعيّن في الأول والثاني[(٢)] وأتباعهما من الثالث والرابع والخامس وما لحق بهم حتى يومنا هذا. لذا ينبغي على كل إنسان أن يبحث عمّن تجلى وظهر به الجهل وجنوده في زمانه ومكانه، حتى يعرفه ويتسنّى له التخلي عنه والبراءة منه، إذ لا يمكن للإنسان أن تتجلى فيه الأسماء والصفات الإلهية إلا بعد أن يتخلى عن الجهل وجنوده لأن التجلي مشروط بالتخلي. فعليك بمعرفة الأصل لتعرف فروعه وامتداداته، وعندما تعرف الجهل بتعيّنه وظهوره، تستطيع حينها أن تعرف أهله وأولاده في كل زمان ومكان، لاسيما زمانك، إذ إنهم امتداد لشجرة واحدة، هي الشجرة الخبيثة. لذا، فاعرف الماضي بكل تفاصيله وأحداثه ومجرياته لتعرف، حينئذ، الحاضر. وإلا، سيكون الجهل

(١) «معركة النور والظلام بين العقل الكلي والجهل الكلي»، ص٧٣.

(٢) من خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام في مواجهة من أخرجوه من داره إلى المسجد: «أيتها الغدرة الفجرة والنطفة القذرة المذرة والبهيمة السائمة نهضتم على اقدامكم وشمّرتم للضلال عن ساعدكم تبغون بذلك النفاق **وتحبون مراقبة الجهل والشقاق**»، مستدرك نهج البلاغة، ج١ ص٢٨٧.

محيطاً بك من حيث لا تدري ولن تهتدي إلى طريق النجاة والخلاص سوى بالتدبّر والتفكر في أحوال الماضين[١] وما جرى عليهم وما آلوا إليه، وما حصل مع الأنبياء والأئمة وأصحابهم والكيفيّة التي واجهوا بها المصاعب والامتحانات والشبهات.

فالأوّل والثاني، اللذان يتعيّن الجهل فيهما، هما الأصل[٢] في كل كفر[٣] وشرك ونفاق وكذب وإنكار وخيانة وغدر واستكبار وجور وما إلى ذلك من جنود الجهل. وقد وظّف الجهل جنود المماكرة والبغي والعدوان، فكان هو الحاكم والمسيطر في العالم، حيث سأل أحدهم الإمام الصادق عليه السلام: ما العقل؟ «قال: ما عُبد به الرحمن واكتسب به الجنان. قال: قلت: فالذي كان في معاوية؟ فقال: تلك النكراء! تلك الشيطنة، وهي شبيهة بالعقل، وليست بالعقل»[٤]. كما قال أمير المؤمنين عليه السلام حين أرسل له معاوية لعنه الله أحد غلمانه: «إن احتمال الجاهل صدقة عليه»[٥].

(١) في تفسير آية، ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ (سورة الإنشقاق، آية ٢٠)، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**لتركبنّ سنّة من كان قبلكم حذو النعل بالنعل**، والقُذة بالقذة ولا تخطئون طريقتهم، **شبر بشبر، وذراع بذراع، وباع بباع**، حتى أن لو كان من قبلكم دخل جحر ضبٍّ لدخلتموه، قالوا: اليهود والنصارى تعني يا رسول الله؟ قال: فمن أعني؟ **لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة، فيكون أول ما تنقضون من دينكم الإمامة وآخره الصلاة**»، تفسير القمّي، ج٢ ص٤١٣.

(٢) عن محمد بن منصور قال: «سألت عبداً صالحاً عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ فقال: إن **القرآن له ظهر وبطن، فجميع ما حرّم في الكتاب هو الظاهر والباطن من ذلك أئمة الجور، وجميع ما أحلّ في الكتاب هو الظاهر والباطن من ذلك أئمة الحق**»، بصائر الدرجات، ص١٥٧.

(٣) ﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾، سورة عبس، آية ١٧.

(٤) الكافي، ج١، ص١١. (٥) عيون المعجزات، ص٢٩.

نور محمد ﷺ وظلمة الأوّل والثاني

تدلّ خاتميّة رسول الله ﷺ على أنه الأوّل في كل خير خُلِق وظهر، حيث أنه كان النور الأول والصادر الأول(١) وأوّل من أقرّ لله تعالى بالربوبية(٢)، كما تفيد بذلك الكثير من الروايات، إلا أنه مع ذلك ظهر في عالم الشهادة بزمنٍ متأخر. ولذا، «فقس عليه الجهل الكلي حرفاً بحرف وهو أن الله خلقه حسب اختياره وإنكاره وحدانية الله وعدله والمعاد والأنبياء والأئمة وقبوله جميع المنكرات والإلحاد والكفر وجميع المعاصي على سبيل الاستغراق، وذلك عن شعور واختيار وقبول لكل المنكرات والمخازي، معاكساً ومعانداً ومُكذِّباً للعقل الكلي»(٣). وهكذا، كان الأوّل والثاني هما الأوّلَيْن في كل شرّ وُلد وظهر، فكانا أوّل من أنكر ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام وأوّل من كفر بالله وأوّل من تسبّب بانتشار الظلمة في الكون(٤). فهما منشأ كل شرّ وقبحٍ في

(١) رواه جابر بن عبدالله قال: «قلت لرسول الله ﷺ: أول شيء خلق الله تعالى ما هو؟ فقال: نور نبيك يا جابر خلقه الله ثم خلق منه كل خير...»، بحار الأنوار، ج٢٥ ص٢١-٢٢.

(٢) عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إن بعض قريش قال لرسول الله ﷺ: بأيّ شيء سبقتَ الأنبياء وفضلتَ عليهم وأنت بُعثتَ آخرهم وخاتمهم؟ قال: إني كنت أوّل من أقرّ بربي جل جلاله، وأول من أجاب، حيث أخذ الله ميثاق النبيين، وأشهدهم على أنفسهم: ألستُ بربّكم؟ قالوا: بلى، فكنتُ أوّل نبيّ قال «بلى» فسبقتهم إلى الإقرار بالله عز وجل»، بحار الأنوار، ج١٥ ص١٥ و١٦.

(٣) «معركة النور والظلام بين العقل الكلي والجهل الكلي»، ص٥١.

(٤) «إن الله سبحانه وتعالى لما أقام الخلق في عالم الذر (عالم الأظلة والأشباح)=

=وسألهم ألست بربكم؟ كان أول من أجاب رسول الله ﷺ، فظهر من نور إجابته نور شعشاني، أضاء أهل العالم كلاًّ، كالصبح الطالع المشرق بنور الشمس على كل الذرّات، بحيث انمحقت الظلمات **ثم أنكر المنكر الأول في مقابلة تلك الأنوار، في كمال العناد، فظهرت من إنكار اللعين الظلمة، أظلمت ذلك العالم، بحيث سرت تلك الظلمة في كل الذرات، في كل المقامات، كالليل الذي يغشى النهار**. ولما كان إبقاء هذه الظلمة يُفسد البنية ويخلّ بالنظام ويورث عدم إيصال التكليف، وكان رفعها بالمرّة ومحوها بالكلية مورثاً للأمر الثاني أي: الإلجاء في (إلى) التكليف، لعدم الداعي للشرّ وعدم تمكن العبد منه، لأن الشرّ له أصل وينبوع، إذا انعدم بالمرّة انعدم وإذا انفصل انفصل. فلم يتم النضج التام لأهل العالم، كما أن النهار لو كان مستمراً دون الليل لفسدت الأشياء، ولو كان الليل كذلك، كان كذلك. فوجب إثبات الأمرين، ولا يكون ذلك إلا بتمكين الظلمة من تأثيرها وإظهار النور لإثبات بيان اجتثاثها وانقطاعها، ليظهر من هذا المزج لون كلون الفجر الصادق الأول، الظاهر بالشفق، ليعقب ذلك ظهور الشمس المضيئة الماحية لكل تلك الظلمات الكاشفة لكل تلك الغشاوات. **ولمّا كان الله سبحانه وتعالى أجرى فعله وخلقه على مقتضى الأسباب وكان هذا الأمر الكلي للعالم الكلي لا يتمّ إلا بالأصل الكلي، كان لا يصلح لهذا الأمر إلا محمد وأهل بيته الطاهرين** عليهم السلام. **فنادى منادي الحق سبحانه بلسان الكينونة فيهم** عليهم السلام: **من الذي يرفع هذه الظلمة، ويردّ هذه الليلة الظلماء والطخياء العمياء إلى الفجر الصادق، على وجه لا يكون فيه إلجاء واضطرار للمكلفين، بل على وجه الخضوع والخشوع والصبر على الشدّة وعضّ النواجذ على عظيم المحنة؟ فلبّى الحسين** عليه السلام **دونهم ذلك النداء**، وقبِل تلك الدعوة فسمّاه الوحي الإلهي للعناية الأزلية سيّد الشهداء. وإنما لبّى الحسين عليه السلام دون غيره، لأنه مبدأ التفصيل الثاني للفيض الكلي الإجمالي الأولي، فيجب أن يكون ظهوره بالاستيلاء وبغيره مقدماً ولذا كان أول من يرجع في الرجعة، فافهم»، (رؤى حول الأسرار الحسينية، ص٧٥). وعن أبي جعفر عن أبيه عن جده عليهم السلام إن رسول الله ﷺ قال لعليّ عليه السلام: «**أنت الذي احتجّ الله بك في ابتدائه الخلق حيث أقامهم أشباحاً فقال لهم: ألست بربكم؟ قالوا: بلى، قال: ومحمد رسولي؟ قالوا: بلى، قال: وعليّ أمير المؤمنين؟ فأبى الخلق جميعاً إلا استكباراً وعتواً عن ولايتك إلا نفر قليل، وهم أقل الأقلين وهم أصحاب اليمين**»، (بحار الأنوار، ج٢٦ ص٢٧٢). **وإن ما حصل في عالم الذرّ كان له تجلٍّ في هذا العالم. ففي عالم الذرّ، سأل الله الخلائق**:=

=«ألستُ بربّكم»، قالوا: بلى. وفي غدير خمّ، حين جمع رسول الله ﷺ الناس لإعلان أمير المؤمنين خليفةً لهم من بعده، سألهم: «ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا بلى. إلا أنهم أسرّوا في أنفسهم غير ما أبدوه. وأظهر الجهل الكلي، عند ذلك، عدواته للعقل، فقرّرا أن يقتلاه منذ ذاك الحين، إذ روى أبو سعيد السّمان، بإسناده «أن إبليس أتى رسول الله ﷺ في صورة شيخ حسن السمت، فقال: يا محمد! ما أقلّ من يبايعك على ما تقول في ابن عمّك عليّ! فأنزل الله: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾»، (سورة سبأ، آية ٢٠). فاجتمع جماعة من المنافقين الذين نكثوا عهده فقالوا: قد قال محمّد بالأمس في مسجد الخيف ما قال، وقال ههنا ما قال: فإن رجع إلى المدينة يأخذ البيعة له، والرأي أن نقتل محمداً قبل أن يدخل المدينة، فلما كان في تلك الليلة قعد له ﷺ أربعة عشر رجلاً في العقبة ليقتلوه - وهي عقبة بين الجحفة والأبواء- فقعد سبعة عن يمين العقبة وسبعة عن يسارها لينفروا ناقته، فلما أمسى رسول الله وارتحل، وتقدم أصحابه وكان على ناقة ناجية - فلما صعد العقبة ناداه جبرائيل: يا محمد! إن فلاناً وفلاناً وسمّاهم كلهم...، ثم قال جبرائيل: يا محمد، هؤلاء قعدوا لك في العقبة ليقتلوك، فنظر رسول الله خلفه فقال: من هذا خلفي؟ فقال حذيفة بن اليمان: أنا حذيفة يا رسول الله، قال ﷺ: سمعتَ ما سمعناه؟ قال: نعم، قال: أكتم...» (بحار الأنوار، ج٣٧ ص١٣٥). وأما أسماء أصحاب العقبة، فعن حذيفة بن اليمان أنه قال: «الذين نفروا برسول الله وناقته في منصرفه من تبوك أربعة عشر: أبو الشرور وأبو الدواهي وأبو المعازف... وهم الذين أنزل الله عز وجل فيهم: ﴿وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ﴾» (الخصال ج٢ ص٤٩٩، وبحار الأنوار، ج٢١ ص٢٢٢ و٢٢٣). وهناك الكثير من القصص عن محاولات الأوّل والثاني اغتيال رسول الله ﷺ، فقد ورد في دعاء صنمي قريش أنهما من الذين شاركوا في محاولة قتل الرسول حين رَمَيا الصخور، الدِّباب، عليه وهو يمرّ على ظهر ناقته: «اللهم العنهم بعدد كل آية حرفوها، وفريضة تركوها، وسنة غيروها، وأحكام عطلوها، ورسوم قطعوها، ووصية بدلوها، وأمور ضيعوها، وبيعة نكثوها، وشهادات كتموها، ودعواء أبطلوها، وبينة أنكروها، وحيلة أحدثوها، وخيانة أوردوها، وعقبة أرتقوها، ودباب دحرجوها، وأزيان لزموها». ولهذا أنزل الله الآية الكريمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، سورة المائدة، آية ٦٧.

هذا العالم حتى لو أتى ظهورهما في عالم الشهادة بزمنٍ متأخر. وبالتالي، فإن كل شر وظلمة[(١)] هو من فيض الجهل الكلي كما أن كل خير ونور هو من فيض العقل الكلي. وإنما كان هدف النبي والأئمة عليهم السلام من الجهاد تارة والسكوت تارة أخرى هو إظهار حقد الحاقدين وإبانة جهل الجاهلين ونفاق المنافقين. «فلولا أن يكون لهم دولة ما أُخرجت تلك الضغون ولبقيت مكنونة إلى أن يموتوا. فيوم القيامة لا يصحّ أن يدخلهم الله الجنة، لفساد عقائدهم وخبث سرائرهم وضمائرهم ولا أن يدخلهم الله النار لإيمان ظاهرهم وعدم إظهار ما يحتجّ الله به عليهم»[(٢)].

(١) من كلام لأمير المؤمنين عليه السلام مخاطباً أهل المدينة بعد مبايعة من الأوّل لعنه الله: «وَلَكِنْ سَلَكْتُمْ سَبِيلَ الظَّلامِ، فَأَظْلَمَتْ عَلَيْكُمْ دُنْيَاكُمْ بِرُحْبِهَا»، الخطبة الطالوتية، الكافي، ج٨ ص٣٢.

(٢) «فلمّا استولت الظلمات وأحاطت بالنسمات، وكان في ذلك تضييع الكائنات، وخراب البريات، وخفاء تلك الأنوار المضيئات، والذوات المقدسات، أراد الله سبحانه إظهار تلك الأنوار بإذهاب الظلمات، وإخراج الخلق عن الشكوك والشّبهات، ولا يمكن إذهاب تلك الظلمات إلا بإذهاب تلك الأصول الخبيثات. ولمّا أن الله سبحانه جعل للباطل دولة، كما جعل للحق دولة، إتماماً لحجّته عليهم، وقطعاً لمعاذيرهم، حتى لا يقولوا: لو جعلت لنا دولة ومكنة، لكنّا أطعناك. وحتى يخرج أضغان المنافقين الذين أظهروا الإيمان والإسلام، وأبطنوا النفاق والكفر. فلولا أن يكون لهم دولة...»، (أسرار الشهادة، ص٨٠). **فعندما حكموا أخرجوا ضغائنهم، لذا عندما يجلس الإنسان على كرسيّ من كراسي الرئاسة، تُبلى سريرته وتظهر، خصوصاً تجاه أهل البيت عليهم السلام ومقاماتهم، وعندها يُبان إيمانه أو كفره واقعاً.**

الإقرار والإنكار، والنور والظلمات

بتعبير آخر، إن الجهل الكلي هو عدو الله وعدوّ الرسول الأكرم ﷺ «وهو مبدأ الإنكار والإلحاد والمنكر والزندقة ولكنه قدّم أمامه الشيطان والأبالسة والفراعنة والدجّالين والنماردة وهو يمدّهم للعلة التي سبقت في تأخر العقل، فالعقل الكلي قدّم أمامه المصلحين والهادين وهم الأنبياء. وهكذا الجهل، قدّم أمامه الشياطين والفراعنة والنماردة والدجالين وهو تأخر لعداوة العقل (أي محمد ﷺ) وإطفاء نوره»[(١)].

ويقول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[(٢)]، وقد ورد في الحديث أن ولاية عليّ بن أبي طالب عليهم السلام هي ولاية الله، فالله ليس وليّاً إلا للذين والوا علياً وأقروا بولايته، والذين آمنوا هم من أحبّوا علياً حيث ورد في الرواية: «يا عليّ حبك تقوى وإيمان»[(٣)]، أي بمجردّ ما يقرّ الإنسان بولاية عليّ عليه السلام يكون الله وليّه فيخرجه من الظلمات إلى النور. ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّـٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَـٰتِ﴾[(٤)]، والكفر هنا نقيض الإيمان المذكور آنفاً، أي أنه كفرٌ بحبّ وولاية عليّ بن أبي طالب عليهم السلام. فحين يتردّد الإنسان أو يشكّ أو يرتاب أو يتتعتع أو يتذبذب في أيّ شأن من شؤون الولاية يصبح الجبت والطاغوت،

(١) «معركة النور والظلام بين العقل الكلي والجهل الكلي»، ص٧١.
(٢) سورة البقرة، آية ٢٥٧.
(٣) بحار الأنوار، ج٣٩ ص٢٦٣.
(٤) سورة البقرة، آية ٢٥٧.

أي الأوّل والثاني، وَلِيَّيْه والمتصرّفين به، شاء ذلك أم أبى وعلم أم لم يعلم، ويدخل مباشرة في ولايتهما، بحسب نسبة تردّده وتذبذبه وشكّه وارتيابه وتتعتعه وحيصه. وبذلك، يدخل في الظلمة[(١)] المتعيّنة فيهما. فحين ينكر البعض مقامات أهل البيت عليهم السلام يتولد من ذلك الإنكار الأبالسة والشياطين، كما يتولد المخالفون والنواصب من العداوة والحقد اللذين يحصلان بين الشيعة والموالين. وبالتالي، فإن الإنسان هو الذي يوجِد الظلمة ويستدعيها إلى وجوده ويجذبها إليه. وكما سبق وتبيّن فإن الشكّ ومشتقاته من جنود الجهل، أي أن أصل الشكّ هو الأوّل والثاني فهما أكثر من شكّ في رسول الله وأمير المؤمنين عليه السلام. وهذه الظلمة التي ظهرت في العالم تعود إليهما فهما أصلها وأولها

(١) «﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ (سورة النور، آية ٤٠)، وقد روي عنهم عليهم السلام أن الظلمات في البحر اللجي: هو اللعين الأوّل وهو النفاق كما يشهد عليه عدد اسمه ومبدأ الشقاق وهو وقوله عز وجل: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِۖ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْۚ﴾، (سورة التوبة، آية ١٠١)، (فحساب عدد اسمه بالأبجد يساوي ٢٣١ وكذلك هو حساب عدد كلمة نفاق). وهو أوّل المنكرين وأوّل الحاسدين والمعاندين لله ربّ العالمين، وقد جاءت كنيته: (أبو الدواهي) من الله الحق المبين، كما أخبرت به الأئمة الميامين عليهم السلام وهو نقطة دائرة الجهل وقطب فلك الضلال. ﴿يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ﴾، وهو اللعين الثاني وهو المُنكَر كما يشهد عليه عدد اسمه، (فحسابه بالأبجد ٣١٠ وهو نفس حساب عدد كلمة منكر) وهو المنافق وهو وزيره وصاحب تفصيله وناشر أعلام ضلالته وباسط بساط غوايته وكرسيّ تفاصيل الجهل والضلالة وهو هامان...»، (أسرار الشهادة، ص٧٨، ٧٩ بتصرّف). **ومن اللافت أن هذه الآية تسبقها آية النور ببضع آيات: ﴿نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ﴾ (سورة النور، آية ٣٥)، ومعروفٌ أن هذه الآية مرتبطة بأهل البيت عليهم السلام. فقد جاء ترتيب الآيتين، كما جاء ترتيب خلق العقل والجهل، فالله خلق العقل من نور ثم خلق الجهل بعد ذلك من بحر ظلمانيّ.**

وآخرها، وفي الإنسان كان ظهور هذه الظلمة في النفس التي صارت أمارة بالسوء إلا ما رحم ربي، حيث يقول أهل العرفان إنّ أم الأصنام صنم النفس. ومن هنا كان تشديد أهل البيت عليهم السلام على التخلص من هذه النفس(١) وقتلها لأنها أعدى عدوّ

(١) سئل أبو جعفر عليه السلام: عن تفسير قوله عزّ وجل: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾، (سورة فصّلت، آية ٥٣) فقال عليه السلام: **يريهم الله في أنفسهم المسخ ويريهم في الآفاق انتقاض (أي انهدام وفساد) الآفاق عليهم، فيرون قدرة الله في أنفسهم** وفي الآفاق، وقوله ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾، يعني بذلك خروج القائم وهو الحق من الله عزّ وجلّ، يراه هذا الخلق لا بدّ منه»، (غيبة النعماني، ص٢٦٩).
قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز الكريم: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۞ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾، (سورة التين، آية ٤، ٥). **كانت الخلقة الأولية للإنسان في أحسن تقويم، وهي الفطرة التي فطر الناس عليها** ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، (سورة الروم، آية ٣٠) **فالدين القيّم عند الله هو ذلك القائم على فطرة الله**، وليس على المنظور الخاص الذي ينظر من خلاله بعض الناس إلى الدين. وقد ورد في الحديث أن «**كلّ مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه وينصّرانه ويمجّسانه**»، (بحار الأنوار، ج٥٨ ص١٨٧). **فالإنسان في فطرته الأولية يكون مفطوراً على التوحيد، ولكنه في الفطرة الثانوية قد يُنكر آيات الله ويكذّب بها، وهذا ما يؤدي إلى أن تُمسَخ فطرته** فيفرّ من التوحيد **ويُقبِل إلى الشرك، فيشرك بالله أولاً ثم يشرك بأهل البيت عليهم السلام ويقيسهم بغيرهم حتى يصل به الشرك إلى أن يشرك بزوجته، وهي إلى أن تخون زوجها وتشرك معه غيره**. وأمير المؤمنين عليه السلام هو آية الله الكبرى، إذ يقول: «ما لله آية أكبر مني»، (تفسير القمّي، ص٧٠٩)، ما يعني أن **تلك الفطرة تُمسَخ حين ينكر الإنسان ولاية عليّ بن أبي طالب في عالم الميثاق، فيَردّه الله إلى أسفل سافلين. وتأتي هذه الفطرة من اسم الله الفاطر المُتعيِّن والمُتشخِّص بفاطمة** عليها السلام، **«يا فاطر بحق فاطمة»، «أنا الفاطر وهذه فاطمة»**، (فرائد السمطين، ج١ ص٣٦). ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، **فما لا يعلمه أكثر الناس هو أن فاطمة عليها السلام هي فطرة الله التي فطر الناس عليها، والتي لا يمكن لأحد أن يبدّلها أو أن يغيّرها كما لا يُغيَّر هذا الدين القيّم، لأنها أساس الدين عند الله سبحانه**=

=**وتعالى**. وقد روى جابر الجعفي أنه سأل أبا جعفر عليه السلام عن تأويل قول الله عزوجل: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾، (سورة التوبة، آية ٣٦)، «قال: فتنفّس سيدي الصعداء، ثم قال: يا جابر، أما السّنة فهي جدي رسول الله صلى الله عليه وآله، وشهورها اثنا عشر شهراً فهو أميرالمؤمنين إليّ وإلى ابني جعفر وابنه موسى، وابنه علي، وابنه محمد، وابنه عليّ، وإلى ابنه الحسن وإلى ابنه محمد الهادي المهدي اثنا عشر إماماً حجج الله في خلقه وأمناؤه على وحيه وعلمه، والأربعة الحرم الذين هم الدّين القيم أربعة منهم يخرجون باسم واحد: عليّ أميرالمؤمنين عليه السلام، وأبي عليّ بن الحسين، وعلي بن موسى، وعلي بن محمد، فالإقرار بهؤلاء هو الدين القيم ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ أي قولوا بهم جميعاً تهتدوا»، (غيبة الطوسي، ص١٠٤)، وفي خبرٍ آخر: «(أربعة حرم) علي والحسن والحسين والقائم بدلالة قوله: ﴿ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾»، (مناقب، ج١ ص٢٤٤).
وعليه، **فإن الأئمة هم الدين القيّم ومرجعهم إلى فاطمة** عليها السلام، **لصدورهم منها، إذ إنها أمّ أبيها وأمّ الأئمة النجباء وأمّ الكتاب وفاتحة الكتاب**، (راجع هامش رقم ٣ ص٢٤٤) **وبالتالي هي أمّ الدين القيّم الذي هو الفطرة، فهي أمّ الفطرة والمظهر الأتمّ لاسم الله الفاطر. وكما نقول يد الله وعين الله ووجه الله، فإن فطرة الله هي فاطمة** عليها السلام. وإذا ما ربطنا بين آية ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (سورة الأنعام، آية ٧٩) وآية ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (سورة النور، آية ٣٥)، **نخلص إلى أن النور هنا هو الفاطر، وكما ذكرنا فإنها** عليها السلام **المظهر الأتمّ لهذا الاسم**. وتقول الرواية إنه قد **فُطم أعداؤها عن حبّها** (بحار الأنوار، ج٤٣ ص ٤، ٥)، **وليس أعداؤها إلا الذين مُسخت فطرتهم، أي الذين أنكروا ولاية عليّ بن أبي طالب** عليه السلام **وظلموها وسلبوها حقّها، فأصبحوا مِسخاً**. وهذا قول إبليس لعنه الله لربّ العالمين: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ (سورة النساء، آية ١١٩). ومن هنا، نخلص إلى أن **المسخ هو النفس الأمارة التي يتجلى فيها الأول والثاني والثالث وجنودهم، ولعلّ هذا هو قصد العرفاء من قولهم كلنا شمر والحسين بن عليّ واحد**. وعليه، فإنّ أيّ لحظة شكّ أو تذبذب، تسلب الموالي شيئاً من عشق فاطمة عليها السلام التي هي نور الله ومنها أشرق كل الأئمة الأخيار، **فإنْ لم يشرق نورها في وجودنا، لن نؤمن بآيات الله ولن نوقن بها ولن نصل إلى العشق**.

الإنسان[١]، إذ قالوا: «اقتلوا أنفسكم فإنها لا تدرك مقاماتها إلا بالقهر»[٢]. فحين ذاك، تُجتثّ الظلمة من جذورها ويتسنّى للنور بأن ينتشر في وجود الإنسان بكلّ زواياه، إذ يتخلّص من الإنيّة والأنانية اللتين يشكّل الأوّل والثاني المظهر الأتمّ لهما. كما أنهما المقصودان بالشيطان الذي يجري مجرى الدم في عروق ابن آدم.

الجهل يتولد منه كل رذيلة

لقد تولّد من جهل البشر وحقدهم وعداوتهم وحسدهم لأنبياء الله وأوليائه كبائر الذنوب والمعاصي. فعندما أوذي الأنبياء وحُسدوا، تولّد القتل وغيره من كبائر الذنوب. وعلى سبيل المثال، فإن حَسَد قابيل لأخيه هابيل تولد منه نفس القتل، حيث قتل قابيلُ هابيل وكان ذلك أول فعل قتلٍ على الأرض. غير أن الأصل والأساس الذي تولدت منه وظهرت كل القبائح والمفاسد هو الحسد الذي حمله الأول والثاني لمحمد وآله عليهم أفضل الصلاة والسلام[٣]، حيث تولّد منه قتل فاطمة[٤] وأبيها وبعلها وبنيها. ولا

(١) «أعدى عدوّك نفسك التي بين جنبيك»، بحار الأنوار، ج٧٠ ص٣٦.
(٢) بحار الأنوار، ج٦٠ ص٢٩٤.
(٣) «اللهم العن أول ظالم ظلم حق محمد وآل محمد وآخر تابع له على ذلك»، زيارة عاشوراء، مفاتيح الجنان.
(٤) حين أتى الثاني لعنه الله إلى باب دار فاطمة عليها السلام، قالت له: «**لا حبّ ولا كرامة، أبحزب الشيطان تخوّفني يا عمر؟ وكان حزب الشيطان ضعيفاً**»، ألا لعنة الله على القوم الظالمين.

شكّ في أن الحسد لأهل البيت عليهم السلام وبغضهم والغدر بهم ليس كحسد وبغض بقية الخلق، ذلك لأنّ أنفسهم في النفوس، وبالتالي فإن من يقتلهم كأنما يقتل الناس جميعاً ومن يحييهم(١) كأنما يحيي الناس جميعاً، وهو قوله تعالى: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾(٢). ونتيجةُ ذلك الحسد والحقد والبغض أنْ تولّدت كل كبيرة وقبيحة، فقد ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «أنه ما أزيل حجر من موضعه، ولا أريقت محجمة دم إلا وهو في أعناقهما»(٣)، يعني الأول والثاني.

(١) وإحياؤهم يكون بإحياء أمرهم ومحبتهم ومعرفتهم، إذ قال الإمام الصادق: «أحيوا أمرنا، فرحم الله من أحيا أمرنا»، بحار الأنوار، ج٤٤ ص٢٨٢.

(٢) سورة المائدة، آية ٣٢.

(٣) درة نجفية، ص٣٧؛ رجال الكشي، ص٢٠٥-٢٠٦؛ الأنوار النعمانية، ج١ ص٨٢. كما ورد عن الإمام أبي جعفر عليه السلام: «**ما أهريق(أهرق) دم ولا حكم لحكم غير موافق لحكم الله وحكم رسوله** صلى الله عليه وآله **وحكم عليّ** عليه السلام **إلا وهو في أعناقهما**»، (رجال الكشي، ص١٨٠). وفي رواية أخرى عن أبي عبدالله عليه السلام: «**ما أهريق (أهرق) في الإسلام محجمة من دم ولا اكتسب مال من غير حلّه ولا نكح فرج حرام إلا وذلك في أعناقهما إلى يوم يقوم قائمنا** عليه السلام»، (رجال الكشي، ص١٨٠). وحين سُئل الإمام الصادق عليه السلام عن عائشة لعنها الله قال إنها: «**كبير جرمها، عظيم إثمها، ما أهرقت محجمة دم إلا وإثم ذلك في عنقها وعنق صاحبيها (طلحة والزبير)... وما طويتُ عنكم أكثر...**»، (دلائل الإمامة للطبري، ص٢٦١). وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام: «... ثم قال: أما والله **لو قد قام قائمنا وتكلم متكلمنا لأبدى من أمورهما ما كان يكتم ولكتم من أمورهما ما كان يظهر والله ما أسّست من بلية ولا قضية تجري علينا أهل البيت إلا هما أسّسا أولها فعليهما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**»، الكافي الشريف، ج٨ ص٢٤٥.

الاعتراف والقصاص

ورد أن صاحب الزمان عليه السلام حين يظهر، يأمر بإخراج الأول والثاني من قبريهما ويصلبهما على شجرة[(١)] «ثم يأمر بإنزالهما فينزلا إليه فيحييهما بإذن الله تعالى ويأمر الخلائق بالاجتماع، ثم يقصّ عليهم قصص فعالهما في كل كور ودور حتى يقصّ عليهم قتل هابيل بن آدم عليه السلام، وجمع النار لإبراهيم عليه السلام، وطرح يوسف عليه السلام في الجبّ، وحبس يونس عليه السلام في الحوت، وقتل يحيى عليه السلام، وصلب عيسى عليه السلام وعذاب جرجيس ودانيال عليهما السلام، وضرب سلمان الفارسي، وإشعال النار على باب أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام لإحراقهم[(٢)] بها، وضرب يد الصديقة الكبرى فاطمة بالسوط، ورفس بطنها وإسقاطها مُحسناً، وسمّ الحسن عليه السلام وقتل الحسين عليه السلام، وذبح أطفاله وبني عمه وأنصاره، وسبي ذراري رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإراقة دماء آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وكل دم سفك، وكل فرج نكح حراماً، وكل رين وخبث وفاحشة وإثم وظلم وجور وغشم منذ عهد آدم عليه السلام إلى وقت قيام

---

(١) ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾، سورة إبراهيم، آية **٤٢**.

(٢) «روى حسين بن حمدان الخصيبي عن هارون بن سعيد، قال: سمعت أمير المؤمنين يقول لعمر (بن الخطاب) ...**ولكأني أنظر إليكما وقد أخرجتما من قبريكما**...ثم يؤتى بالنار التي أضرمت لإبراهيم صلوات الله عليه ولجرجيس ودانيال وكل نبي وصديق ومؤمن ومؤمنة، **وهي النار التي أضرمتموها على باب داري لتحرقوني وفاطمة بنت رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم، **وابني الحسن والحسين، وابنتي وزينب وأم كلثوم حتى تحرقا بها**...»، الهداية الكبرى، ص١٣٨، ١٣٩.

قائمنا عليه السلام (لأن مرجع كل شيء لا يكون إلا إلى أصله كمرجع الشعاع للشمس) كل ذلك يعدّده عليه السلام عليهما، ويلزمهما إياه فيعترفان به ثم يأمر بهما فيقتصّ منهما في ذلك الوقت بمظالم من حضر، ثم يصلبهما على الشجرة ويأمر ناراً تخرج من الأرض فتحرقهما والشجرة ثم يأمر ريحاً فتنسفهما في اليمّ نسفاً»[(١)]. ومن

---

(١) كامل الرواية: عن المفضل بن عمر في حديث طويل عن مجريات ظهور المهدي صلوات الله عليه، وفيه: «قال المفضل: يا سيدي ثم يسير المهدي إلى أين؟ قال عليه السلام: إلى مدينة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله، فإذا وردها كان فيها مقام عجيب يظهر فيه سرور المؤمنين وخزي الكافرين. قال المفضل: يا سيدي ما هو ذاك؟ قال: يرد إلى قبر جده صلى الله عليه وآله فيقول: يا معاشر الخلائق، هذا قبر جدي رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فيقولون: نعم يا مهدي آل محمد فيقول: ومن معه في القبر؟ فيقولون: صاحباه وضجيعاه أبوبكر وعمر، فيقول وهو أعلم بهما والخلائق كلهم جميعاً يسمعون: من أبوبكر وعمر؟ وكيف دفنا من بين الخلق مع جدي رسول الله صلى الله عليه وآله، وعسى المدفون غيرهما. فيقول الناس: يا مهدي آل محمد صلى الله عليه وآله ما ههنا غيرهما إنهما دفنا معه لأنهما خليفتا رسول الله صلى الله عليه وآله وأبوا زوجتيه، فيقول للخلق بعد ثلاث: أخرجوهما من قبريهما، فيخرجان غضين طريين لم يتغير خلقهما، ولم يشحب لونهما فيقول: هل فيكم من يعرفهما؟ فيقولون: نعرفهما بالصفة وليس ضجيعا جدك غيرهما، فيقول: هل فيكم أحد يقول غير هذا أو يشك فيهما؟ فيقولون: لا. فيؤخر إخراجهما ثلاثة أيام، **ثم ينتشر الخبر في الناس ويحضر المهدي ويكشف الجدران عن القرين، ويقول للنقباء: إبحثوا عنهما وانبشوهما. فيبحثون بأيديهم حتى يصلون إليهما. فيخرجان غضين طريين** كصورتهما فيكشف عنهما أكفانهما ويأمر برفعهما على دوحة يابسة نخرة فيصلبهما عليها، **فتحيى الشجرة وتورق ويطول فرعها فيقول المرتابون من أهل ولايتهما: هذا والله الشرف حقاً، ولقد فزنا بمحبتهما وولايتهما، ويخبر من أخفى نفسه ممن في نفسه مقياس حبة من محبتهما وولايتهما، فيحضرونهما ويرونهما ويفتنون بهما وينادي منادي المهدي عليه السلام: كل من أحب صاحبي رسول الله صلى الله عليه وآله وضجيعيه، فلينفرد جانباً، فتتجزء الخلق جزئين أحدهما موال والآخر متبرئ منهما. فيعرض المهدي عليه السلام على أوليائهما البراءة منهما فيقولون: يا مهدي آل رسول الله صلى الله عليه وآله نحن لم نتبرأ منهما، ولسنا نعلم أن لهما عند الله وعندك هذه=**

اللافت أنه قد ورد هذا التعبير في القرآن الكريم عن العجل حيث يقول الله تعالى: ﴿وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا﴾(١). وفي رواية أخرى، عن أبي طاهر عيسى بن عبد الله العلوي قال: «أخبرني أبي، عن جدي أنه كان مع أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام بمِنى وهو يرمي الجمرات، وأن

=المنزلة، وهذا الذي بدا لنا من فضلهما، أنتبرأ الساعة منهما وقد رأينا منهما ما رأينا في هذا الوقت؟ من نضارتهما وغضاضتهما، وحياة الشجرة بهما؟ بل والله نتبرأ منك وممن آمن بك ومن لا يؤمن بهما، ومن صلبهما، وأخرجهما، وفعل بهما ما فعل فيأمر المهدي عليه ريحاً سوداء فتهب عليهم فتجعلهم كأعجاز نخل خاوية. ثم يأمر بإنزالهما فينزلا(ن) إليه فيحييهما بإذن الله تعالى ويأمر الخلائق بالاجتماع، ثم يقص عليهم قصص فعالهما في كل كور ودور حتى يقص عليهم قتل هابيل بن آدم عليه السلام، وجمع النار لإبراهيم عليه السلام، وطرح يوسف عليه السلام في الجب، وحبس يونس عليه السلام في الحوت، وقتل يحيى عليه السلام، وصلب عيسى عليه السلام وعذاب جرجيس ودانيال عليهما السلام، وضرب سلمان الفارسي، وإشعال النار على باب أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام لإحراقهم بها، وضرب يد الصديقة الكبرى فاطمة بالسوط، ورفس بطنها وإسقاطها محسناً، وسم الحسن عليه السلام وقتل الحسين عليه السلام، وذبح أطفاله وبني عمه وأنصاره، وسبي ذراري رسول الله صلى الله عليه وآله وإراقة دماء آل محمد صلى الله عليه وآله، وكل دم سفك، وكل فرج نكح حراماً، وكل رين وخبث وفاحشة وإثم وظلم وجور وغشم منذ عهد آدم عليه السلام إلى وقت قيام قائمنا عليه السلام كل ذلك يعدّده عليه السلام عليهما، ويلزمهما إياه فيعترفان به ثم يأمر بهما فيقتص منهما في ذلك الوقت بمظالم من حضر، ثم يصلبهما على الشجرة ويأمر ناراً تخرج من الأرض فتحرقهما والشجرة ثم يأمر ريحاً فتنسفهما في اليم نسفاً. قال المفضل: يا سيدي ذلك آخر عذابهما؟ قال: هيهات يا مفضل والله ليردن وليحضرن السيّد الأكبر محمد رسول الله صلى الله عليه وآله والصديق الأكبر أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام وكل من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً، وليقتصنّ منهما لجميعهم حتى أنهما ليقتلان في كل يوم وليلة ألف قتلة، ويردان إلى ما شاء ربهما». الهداية الكبرى، ص٤٠٠؛ مختصر بصائر الدرجات ص١٨٩؛ بحار الأنوار ج٥٣ ص١٢.

(١) سورة طه، آية ٩٧.

أبا جعفر رمى الجمرات فاستتمّها وبقي في يديه بقية، فعدّ خمس حصيات، فرمى اثنتين في ناحية وثلاثة في ناحية، فقلت له: أخبرني جعلت فداك ما هذا، فقد رأيتك صنعتَ شيئاً ما صنعه أحد قط؟ أنا رأيتك رميتَ بحصاك، ثم رميتَ بخمس بعد ذلك، ثلاثة في ناحية واثنتين في ناحية؟ قال: نعم، إنه إذا كان كل موسم، أُخرِجَ الفاسقان غضَّيْن طرِيَّين فصُلِبا ههنا لا يراهما إلا إمام عدل، فرميتُ الأول بثنتين والآخر بثلاث، لأن الآخر أخبث من الأول»[(١)].

العجل والسامريّ

ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام كلام يساوي فيه بين الأوّل والثاني من جهة وبين العجل والسامريّ من جهة أخرى، حيث يقول في حديثه مع إسحق بن عمار الصيرفي: «يا إسحاق الأول بمنزلة العجل والثاني بمنزلة السامريّ، فقلت: جعلت فداك زدني فيهما، فقال عليه السلام: هما والله هوّدا ونصّرا ومجّسا فلا غفر الله ذلك لهما»[(٢)] وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: «... خرج

(١) بحار الأنوار، ج٣٠ ص١٩٣؛ مدينة العاجز، ج٥ ص٢٤.
(٢) في تتمّة الرواية: «قلت: جعلت فداك زدني فيهما، قال عليه السلام: ثلاثة لا ينظر الله إليهم ولا يزكيهم و لهم عذاب أليم، قلت: جعلت فداك فمن هم؟ قال عليه السلام: رجل ادعى إماماً من غير الله وآخر طغى في إمام من الله وآخر زعم أن لهما في الإسلام نصيباً، قلت: جعلت فداك زدني فيهما، قال عليه السلام: ما أبالي يا أبا إسحاق محوت المحكم من كتاب الله أو جحدت محمداً النبوة أو زعمت أن ليس في السماء إلها أو تقدمت علي بن أبي طالب عليه السلام، قلت: جعلت فداك زدني، فقال عليه السلام: يا إسحاق إن في النار لوادياً يقال له محيط لو طلع منه شرارة لأحرقت من على وجه الأرض وإن أهل النار يتعوذون من حرّ ذلك الوادي ونتنه وقذره وما أعدّ الله فيه لأهله وإن في ذلك=

رسول الله ﷺ وخرج معه الناس، وأصغوا إليه لينظروا ما يصنع فيصنعوا مثله، فحجّ بهم فبلغ من حج مع رسول الله ﷺ من أهل المدينة وأهل الأطراف والأعراب سبعين ألف إنسان أو يزيدون، على نحو عدد أصحاب موسى السبعين ألف الذين أخذ عليهم بيعة هارون عليه السلام فنكثوا واتبعوا العجل والسامريّ، وكذلك أخذ رسول الله ﷺ البيعة لعليّ عليه السلام بالخلافة -على عدد أصحاب موسى- فنكثوا البيعة واتبعوا العجل والسامريّ سنّة بسنّة، ومثلاً بمثل...»(١). كما قال عبدالله بن عباس لسليم بن قيس الهلالي وهو

=الوادي لجبلاً يتعوذ منه أهل ذلك الوادي من حرّ ذلك الجبل ونتنه وقذره وما أعدّ الله فيه لأهله وإن في ذلك الجبل لشعباً يتعوذ منه جميع أهل ذلك الجبل من حرّ ذلك الشعب من نتنه وقذره و ما أعدّ الله فيه لأهله و إن في ذلك الشعب لقليباً يتعوذ منه أهل ذلك الشعب من حرّ ذلك القليب ونتنه وقذره وما أعدّ الله فيه لأهله وإن في ذلك القليب لحيّة يتعوذ جميع أهل ذلك القليب من خبثها ونتنها وقذرها وما أعدّ الله عز وجل في أنيابها من السمّ لأهلها وإن في جوف تلك الحيّة لسبعة صناديق فيها خمسة من الأمم السالفة واثنان من هذه الأمة، قلت: جعلت فداك ومن الخمسة ومن الاثنان؟ قال عليه السلام: **أما الخمسة فقابيل الذي قتل هابيل ونمرود الذي حاجّ إبراهيم في ربه قال أنا أحيي وأميت وفرعون الذي قال أنا ربكم الأعلى ويهودا الذي هوّد اليهود وبولس الذي نصّر النصارى وأما الإثنان من هذه الأمة فالأعرابيان أبو بكر وعمر**»، ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، ص٢١٦؛ الخصال، ص١٩٩.

(١) عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: «حج رسول الله ﷺ من المدينة، وقد بلغ جميع الشرائع قومه ما خلا الحج والولاية، فأتاه جبرئيل عليه السلام، فقال له: يا محمد، إن الله عز وجل يقرئك السلام، ويقول لك: إني لم أقبض نبياً من أنبيائي ورسلي إلا بعد إكمال ديني وتأكيد حجتي، وقد بقي عليك من ذلك فريضتان مما يحتاج أن تبلغهما قومك: فريضة الحج، وفريضة الولاية والخلافة من بعدك، فإني لم أخل الأرض من حجة، ولن أخليها أبداً، وإن الله يأمرك أن تبلغ قومك الحج، تحجّ ويحجّ معك كل من استطاع السبيل من أهل الحضر وأهل الأطراف والأعراب، و تعلمهم من حجهم مثل ما علمتهم من صلاتهم وزكاتهم وصيامهم، وتوقفهم من ذلك على مثال الذي=

يحدثه: «إن قلوب هذه الأمة أشربت حبّ هذين الرجلين كما أشربت قلوب بني إسرائيل حبّ العجل والسامريّ»[(١)]، ومن المؤكد أن هذا الكلام هو نتيجة ما سمعه وفهمه من رسول الله ﷺ وأئمة زمانه عليهم السلام. هذا فضلاً عن القصيدة التي تشرح حال السيدة الزهراء بعدما انقلبت الأمة على عقبيها حيث يقول الشاعر[(٢)]: «أَبَتَاهُ هذا السامريُّ وَعِجْلُهُ تُبِعَا وَمَالَ النَّاسُ عن هَارونِ». وتجدر الإشارة هنا إلى ما ورد في تفسير الآيات التي تتحدث عن قصة العجل وضلال بني إسرائيل بعبادتهم له، حيث أوحى الله إلى موسى: «إنا قد فتنّا قومك من بعدك وأضلهم السامري وعبدوا العجل وله خوار، فقال موسى عليه السلام: يا ربّ العجل من السامريّ، فالخوار ممن؟ فقال: مني يا موسى، إنى لما رأيتهم قد ولوا عني إلى العجل أحببتُ أن أزيدهم فتنة، فرجع موسى كما حكى الله عز وجل إلى قومه غضبان أسفاً»[(٣)].

=أوقفتهم عليه من جميع ما بلغتهم من الشرائع. فنادى منادي رسول الله ﷺ في الناس: ألا إن رسول الله ﷺ يريد الحج وأن يعلمكم من ذلك مثل الذي علمكم من شرائع دينكم، ويوقفكم من ذلك على ما أوقفكم عليه. وخرج رسول الله ﷺ وخرج معه الناس، وأصغوا إليه لينظروا ما يصنع فيصنعوا مثله، **فحج بهم فبلغ من حج مع رسول الله ﷺ من أهل المدينة وأهل الأطراف والأعراب سبعين ألف إنسان أو يزيدون، على نحو عدد أصحاب موسى السبعين ألف الذين أخذ عليهم بيعة هارون عليه السلام فنكثوا واتبعوا العجل والسامري، و كذلك أخذ رسول الله ﷺ البيعة لعليّ عليه السلام بالخلافة - على عدد أصحاب موسى- فنكثوا البيعة واتبعوا العجل والسامريّ سنّة بسنّة، ومثلاً بمثل**»، البرهان في تفسير القرآن، ج٢ ص٢٢٧.

(١) كتاب سُليم بن قيس الهلالي، ص٣٢٤.

(٢) الشاعر الشيخ صالح الكواز.

(٣) تفسير القمّي، ج٢ ص٦٢.

وبالتالي، حين يرى اللهُ الناسَ قد مالوا إلى الضلالة، فإنه يُمكّن للمُضلّين ويُمدّهم بالقدرة حتى يزداد الناس فتنة، ولعلّ هذا هو المعنى من إمداد الجهل بخمسٍ وسبعين من الجند، ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[١]. فما تُراه هو ذاك الذي صدر من الأوّل والثاني عند مبايعة الناس لهما، حتى افتُتِنوا بهما وانجرّوا خلفهما كما فعل بنو إسرائيل مع العجل[٢] حين صدر الخوار منه؟ وأهل البيت أطلعونا على كثيرٍ من الحقائق من خلال كلامهم ورواياتهم التي تنسجم مع الآيات القرآنية الكريمة. غير أن الأمر أشبه بالطلسم الذي إذا فكَكْتَ رموزه، توصّلتَ إلى الكنز[٣]. فما على الموالي إلا أن يربط كلام أهل البيت عليهم السلام بعضه ببعض ويتفكّر فيه حتى يصل إلى الحقيقة من ورائه. واعلم أن السامريّ ما زال حياً إلى الآن، ولكن ما هو دوره؟

---

(١) سورة آل عمران، آية ١٧٨.

(٢) ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (سورة البقرة، آية ٥٤). تُبيّن هذه الآية الكريمة أن قتل النفس هو شرط للتوبة. وقد سبقت الإشارة إلى أن النفس الأمارة هي تجلٍ للأوّل والثاني، أي للعجل والسامريّ. وبالتالي، فإن التبرّي من العجل شرطه قتل النفس التي صارت موطناً له بعدما اتخذته معبوداً. وبقتل النفس، تتحقق التوبة التي تعني الرجوع إلى الله. أما بغير ذلك، فسيبقى العجل ملازماً للنفس ولن تتحقق التوبة والرجوع إلى الله.

(٣) العرش والعالم لا يزيدان عن مجرد طلسم والله الموجود وحده وليس لهذه الأشياء جميعها غير الاسم.

الأوّل والثاني المظهر الأتمّ للقبح والفساد

إنّ الأوّل والثاني هما منشأ كل ظلم وقتلٍ وقبحٍ وصل إليه الناس، حيث أُخِذت كل تلك القبائح والمفاسد منهما وبهما وهي ترجع إليهما. والناس لولاهما ما عصوا ولا زنوا ولا ظهر شذوذ[(١)] أو غدر أو طعن أو خيانة أو أيّ عمل قبيح في هذا

(١) **إنّ الإنسان مفطور على غرائز وميول متعددة كالحبّ والمعرفة والأكل والشرب والنوم والنكاح... وتحتاج هذه الغرائز والميول إلى الإشباع على نحوٍ يُحرز فيه الإنسان التوازن والاعتدال، لتحقيق كماله الإنساني**، فلا يميل مع غرائزه كل الميل ولا يقيّدها بالمطلق، بل يسير على قاعدةِ لا إفراط ولا تفريط. ولكي يبلغ الإنسان هذا التوازن، **عليه أن يُحكّم العقل (المتجلي في محمد وآله عليهم السلام) في كل غريزة وكل ميل، لأنه بغير ذلك، سيسمح للجهل (المتجلي في أعداء آل محمد) والوهم والخيال بأن يسيطر على غرائزه ويحكمه**، وعند ذاك، سيخرج من آدميته ويدخل تلقائياً في عداد البهائم التي تحكمها الغريزة لا العقل. وتجدر الإشارة إلى أن **استيقاظ الشهوة عند الإنسان في سنٍّ مبكرة، يتيح للقوة الواهمة والخيالية، التي تكون في أوجها، بأن تسيطر عليه**. وهكذا، يتمادى الخيال ويتجاوز حدوده، ويبدأ صاحبه بالبحث عمّا يُشبع خيالاته الغريزية، **فيلجأ إلى مشاهدة الأفلام والصور الإباحية**، وكلما أوغل في هذا المجال أكثر، كلما ازداد نشاط القوة الخيالية والواهمة لديه، إذ يُخيَّل له بأن كل ما يشاهده حقيقيّ، في حين أن **معظم ما يراه ويسمعه لا يعدو كونه تمثيلاً وخدعاً سينمائيّة**. وبتوجّهه إليها، **يغرق في وحول هذا العالم وهو يبحث عما ينفّس به شهوته، محاولاً تقليد ما يراه، فلا يجد حرجاً في ممارسة العادة السريّة أو إقامة علاقات الزنا أو غيرها من المحرّمات**. ولكنه مع كل ذلك، لن يتمكّن من إشباع رغباته وشهواته، لأن ما يتوق إليه ويبتغيه ليس في الحقيقة إلا وهمٌ وخيال. وهكذا، **يتسافل شيئاً فشيئاً حتى يصل به التسافل إلى ممارسة الشذوذ الذي يتأتى نتيجة إطلاق العنان للمخيّلة والوهم، متجاوزاً كل الحدود**، فيصبح عبداً بالمطلق لهذه الشهوة. ومعلومٌ أن الكمال المطلق ليس موجوداً إلا عند الله وأهل البيت عليهم السلام فقط، ولذا **يُعاقَب هذا الإنسان على وضعه شهوته مكان الله وتوجّهه إليها وعبادته لها بالشذوذ، وهنا، تتصل نفسه بالجهل الكلي** (وهذه بعض الأدلة على ذلك من المصادر السنيّة: =

=قال عمر: «ما بقي فيّ شيء من أمر الجاهلية إلا أني لست أبالي إلى أي الناس نكحتُ وإلى أيهم أنكحت»، الطبقات الكبرى، ج٣ ص.٢٨٩ وذكر البخاري في صحيحه: «كان عمر مأبوناً يتداوى بماء الرجال». والأُبن في اللغة جمع المأبون، وهو الذي يشتهي أن يأتيه الرجال لعيب فيه، كأن تكون في دبره دودة لا تهدأ إلا بماء الرجال، أنظر حاشية رد المحتار لابن عابدين وهو من علمائهم، ج٤ ص٢٤١).

وكلما عَمِل عمَل هذا اللعين، كلما انمسخت فطرته أكثر وأنكر آيات الله ومقامات أهل البيت عليهم السلام**، وهو الهدف الأساسي للجهل وجنده. وكل ذلك يبدأ بنظرة محرّمة،** فهل يعي الإنسان إلامَ سيؤول مآله مِن بعد هذه النظرة؟

وفي حقيقة الأمر، فإن الإنسان بفطرته **يبحث عن المطلق. وهذا لن يجده إلا عند المطلق، فحنان وعطف وحضن الله المتجلي برسوله وأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب والسيدة الزهراء وبقية الأئمة** عليهم السلام **وصولاً إلى إمام زماننا الحجة بن الحسن أرواحنا لتراب مقدمه الفداء، هو ضالّة الإنسان.** فهو يريد الحنان منهم ولكن لا يدري السبيل إليهم، ﴿وَحَنَانًا مِن لَّدُنَّا﴾ (سورة مريم، آية ١٣). فالخلاص، إذاً، هو بالارتباط بأهل البيت عليهم السلام. **ويتعيّن حبّ أهل البيت في أفرادٍ قد يلتقي الإنسان بهم.**

ولكن، عليه أن يُحسن معرفة هؤلاء الأفراد وتشخيصهم، فليس أيّاً كان يتعيّن فيه حنان الإمام وعطفه ومحبّته. وفي الواقع، **لن يتمكن الإنسان من إشباع رغبته وشهوته، التي هي غاية نفسه الحيوانية، إلا حين يكون في قلبه حبٌ لأهل البيت** عليهم السلام **متعينٌ بشريكه المقابل.** فعندئذ، يجتمع ظاهره وباطنه معاً، ويتحقق عنده الارتواء والتوازن. **أما إذا حاول إشباع شهوته وقلبه فارغ إلا من المحبة النفسانية، فلن يتمكن من الارتواء، بل سيزداد ظمأ.** ويبدأ بتبديل الأشخاص والانتقال من علاقة إلى أخرى، ظنّاً منه أن المشكلة في الطرف الآخر وليست فيه هو شخصياً. ولكن، فلينظر هذا الانسان أين يبحث عن مبتغاه، **أوَهل سيحصل على رضا الله وأهل البيت وسيُشبع رغباته في هكذا أمكنة نجسة؟** على الإنسان أن يبقى متيقظاً، إذ قد يصل إلى مرحلة يُمسي الخيال والوهم عنده واقعاً، فيما يتحوّل الواقع إلى خيال ووهم. وإن الذي يُشبع رغباته بالحلال لن يحّن إلى الحرام، أما من يعتاد على إشباعها بالحرام، فلن يستطيع الاستئناس بالحلال، بل سينتابه شعور بالنفور والغثيان، ولن يحنّ، بعد ذلك، إلا إلى الحرام. **والحل الأوحد في هذه الحالة هو التوجّه لأهل البيت** عليهم السلام**، وبالتحديد للسيدة فاطمة** عليها السلام **التي بيدها وحدها إعادة الفطرة التي مُسِخت إلى طبيعتها، بحيث تُخرج هذا الإنسان من بهيميّته وتعيده إلى إنسانيّته.**

العالم. ولهذا، نقول في زيارة عاشوراء: «اللهم العن أول ظالمٍ ظلم حق محمّد وآل محمّد» ونتبرّأ ممّن أسّس أساس الظلم والجور عليهم، فهما أساس كل ظلم إلى يوم القيامة. وما الكفر والشرك والنفاق إلا وليد حقدهما وحسدهما لفاطمة[(١)] وعليّ عليهم السلام ولولا هذا لَمَا كان للكفر والشرك والنفاق أصل في هذا العالم، وقد أخذ الناس كل ذلك منهما وورثوه عنهما. وهكذا، فإنّ الأول والثاني هما المظهر الأتمّ للصفات الرذيلة والأعمال القبيحة والفاسدة إلى يوم القيامة، ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾[(٢)]. وهما المقصودان بتعبير «الشجرة الخبيثة» المذكور في القرآن الكريم. وبهذا، يتبيّن أنّ كل الأعمال القبيحة الموجودة في هذا العالم إنما هي من صُنعِ البشر لا من صُنع الله تعالى الذي لا يصنع إلا جميلاً[(٣)]، وذلك مقتضى العدل الإلهي. فكما أن الخبائث

(١) ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (سورة الأحزاب، آية ٣٣)، و﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ (المدّثر، آية ٥). **إنّ من معاني كلمة «الرّجس» في اللغة هو الفعل القبيح القذر والنجس ومن معانى كلمة «الرّجز» الذنب والعمل القبيح أيضاً، فالأول والثاني هما مظهر هذين المعنَيَيْن. فإذا لم يتمكّن الإنسان من استئصال هذا الرجس وهجران الرجز، لن يتمكن من أن يعشق فاطمة عليها السلام**. فكلّ من عنده حبّ للأوّل والثاني، أو حتى لأشياعهما وأتباعهما وشياطينهما، لن يستطيع أن يعشق فاطمة وبالتالي لن يصل إلى السرّ. فالعرفاء يوصون السالك في بداية طريقه بأن يهجر بلاد الكفر والمقصود باطناً، هجر أيّ مكان فيه تجلٍّ أو أثر لذاك الرّجس أو لأيٍّ من محبيه يمكن أن ينعكس عليك.

(٢) سورة الروم، آية ٤١.

(٣) ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ (سورة لقمان، آية ١١)، فالأعمال القبيحة هي من خلق الذي من دون الله. وأما الله فبخلقه لمحمّد وآل محمّد هو أحسن الخالقين، ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾، سورة المؤمنون، آية ١٤.

(البول والغائط) تخرج من الإنسان بإرادة الروح إلا أنها لا تُنسَب إليها بل إلى الجسد، فكذلك هي الأعمال القبيحة تخرج من الإنسان بإرادة الله ولكن لا تُنسب إليه. والأعمال القبيحة التي يُعبّر عنها بالظلمة إنما هي ناشئة عن انعدام النور ولا أساس لها، ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾(١). فحين لا يقبل الإنسان بالنور، يدخل في الظلمة تلقائياً، وهذا قول رسول الله ﷺ: «لو اجتمعَ النّاس على حبّ عليّ بن أبي طالب لَما خلَقَ الله عزّ وجلّ النار»(٢). فالنار والظلمة إنما هما وجهان لحقيقة واحدة وهي الأعمال القبيحة من الحسد والكبر والعجب والرياء وما إلى ذلك والتي أصلها وأساسها الأوّل والثاني. ولكن في النهاية، فإنّ مرجع النور والجهل على السواء هو إلى ربّهما، أي إلى الاسم الأعظم(٣).

---

(١) سورة إبراهيم، آية ٢٦.

(٢) المناقب، ص٢٨.

(٣) **الإسم الأعظم جامع لجميع الأسماء والصفات الجمالية والجلالية وإن الجهل الكليّ هو من مظاهر الجلال**. وأمير المؤمنين عليه السلام يقول في خطبته المعروفة بخطبة البيان: «**وأنا الإسم الأعظم**». كما ورد عنه عليه السلام: «**فإسمي لا يُمحى في السماء ولا في الأرض ولا في الدنيا ولا في الآخرة**»، (الهداية الكبرى، ص١٤٣). وعن الرضا عليه السلام قال: «**إن بسم الله الرحمن الرحيم أقرب إلى اسم الله الاعظم من سواد العين إلى بياضها**»، (عيون أخبار الرضا، ج ٢، باب ٣٠) وهذا معناه أنهما واحد. وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**إعلم أنّ جميع أسرار الكتب السماويّة في القرآن، وجميع ما في القرآن في الفاتحة، وجميع ما في الفاتحة في البسملة، وجميع ما في البسملة في باء البسملة، وجميع ما في باء البسملة في النقطة التي تحت الباء**»، (شرح إحقاق الحقّ، ج٧ ص٦٠٨). وعنه عليه السلام: «**أنا النقطة التي تحت الباء**»، (شرح إحقاق الحقّ، ج٧ ص٦٠٨).

العذاب وليد كتم فضائل عليّ عليه السلام

لا بدّ من الإشارة إلى أنه حين تُكتَم فضائل محمّد وآل محمد عليهم السلام وخصوصاً فضائل عليّ بن أبي طالب عليه السلام، يتولّد العذاب الذي ينزل على الناس بأشكال ووجوه متعددة وهو قول النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يعذّب الله هذا الخلق إلا بذنوب العلماء الذين يكتمون الحق من فضل عليّ وعترته»[1]. وهذا الكتمان إنما بدأه وحرّض عليه الأول والثاني لعنهما الله.

شرّ الأوّل والثاني لا يلحقه لاحق

إن أهل البيت[2] عليهم السلام هم كل الوجود وهم نور الله عزّ وجلّ. إلا أن اللعينين الأوّل والثاني وأتباعهما قاموا بظلم هذا الوجود وحاولوا ببغيهم إطفاء هذا النور، ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾[3].

(١) «لا يعذّب الله هذا الخلق إلا بذنوب العلماء الذين يكتمون الحق من فضل عليّ وعترته عليهم السلام، ألا إنه لم يمش فوق الأرض بعد النّبيين والمرسلين أفضل من شيعة عليّ بن أبي طالب عليه السلام الذين يظهرون أمره وينشرون فضله، أولئك تغشاهم الرّحمة وتستغفر لهم الملائكة، الويل كل الويل لمن يكتم فضله»، الدمعة الساكبة، ص٨٢.

(٢) عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام، يقول: «﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ﴾، (سورة البقرة، آية ٢٠٨)، قال: أتدري ما السلم؟ قال: قلت: أنت أعلم، قال: **ولاية عليّ والأئمة الأوصياء** عليهم السلام **من بعده، قال: وخطوات الشيطان، والله ولاية فلان وفلان**»، (تفسير العياشي، ج١ ص١٠٢ ح٢٩٤). ويقول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ۞ يَـٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾، سورة الفرقان، آية ٢٧ و٢٨.

(٣) سورة الصف، آية ٨.

فمهما ظلم الظالمون، لن يصلوا بظلمهم إلى درجة الظلم الذي صدر عن الأول والثاني والثالث وأتباعهم ومهما قتل القاتلون لن يتمكنوا مِن قتل مَن قتله الأوّل والثاني والثالث ومهما حقد الحاقدون وأشرك المشركون وكفر الكافرون ونافق المنافقون وأذنب المذنبون فلن يبلغوا في ذلك ما بلغه هؤلاء. وإنما تحطّ كل تلك الأفعال بساحتهم وتصبّ في بحرهم ولا تعدو كونها غيضاً من فيض فظائعهم. و«إنه ما ارتحل الجهل الكلي من عالم الشهود إلا وقد امتلأت البسيطة من بدعه ونفاقه ومكره وحيله وقد امتثل أحزابه وشيعته أوامره وزادوا على الطنبور نغمات وتفنّنوا في المناكر واختراع المعاصي والمنكرات كما قال قائلهم: وكنتُ فتىً من جند إبليس فارتقى... بي الأمر حتى صار إبليس من جندي»[(١)].

ماذا يتولدّ من عِشرة النواصب؟

يعود السّبب في ما يُرى من أعمال قبيحة تصدر من جانب الموالين إلى عشرتهم ومحبّتهم للمخالفين والنواصب من أتباع الأول والثاني والثالث، حيث يقال: «قل لي من تعاشر أقل لك من أنت». وإن أولاد الموالين وأحفادهم ليتوارثون أعمال أبائهم وأجدادهم إلى يوم القيامة. وقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام: «فما رأيتَ من أخيك من شرّ لفظ أو زنا، أو شيء مما ذكرت من شرب مسكر أو غيره، فليس من جوهريته ولا من إيمانه، إنما هو بمسحة

(١) «معركة النور والظلام بين العقل الكلي والجهل الكلي»، ص٧٢، ٧٣.

الناصب اجترح هذه السيئات التي ذكرت»[١]. والمقصود من المسحَة هو العشرة والمحبّة والزواج[٢] الذي يتمّ بين الموالين والمخالفين. وفي حين أن الحقد والغدر والضغينة وما إلى ذلك من صفات قبيحة هي عرَضيّة عند الموالي، إلا أنها ذاتيّة وجوهرية عند الناصبيّ.

وكما ذكرنا سابقاً، فإن لكلٍّ من العقل والجهل جُنداً يتعيّن كلّ منها في الموجودات[٣] من إنسٍ وجنٍّ ونبات وحيوان، فمن كان من جنود العقل بشراً، أُحِل الإرتباط به، أو أكله إذا كان نباتاً أو خضاراً أو فاكهة أو حيواناً، بل إن هناك بعض المأكولات التي ورد استحبابٌ[٤] في أكلها لسبقها في القبول بالولاية. وهكذا، أُمِر الموالي بتناول كل مأكولٍ كان إقراره بالولاية أسبق،

---

(١) بحار الأنوار، ج٥ ص٢٤٧.

(٢) قال رجل لأبي عبد الله عليه السلام: «ألم يكن علي قوياً في بدنه قوياً في أمر الله؟ قال له أبو عبد الله عليه السلام: بلى! قال له: فما منعه أن يدفع أو يمتنع؟ قال: قد سألت فافهم الجواب، **مَنع علياً من ذلك آيةٌ من كتاب الله**، فقال: وأي آية؟ فقرأ: ﴿لَوْ تَـزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (سورة الفتح، آية ٢٥) **إنه كان لله ودائع مؤمنون في أصلاب قوم كافرين ومنافقين فلم يكن علي** عليه السلام **ليقتل الآباء حتى يخرج الودائع، فلمّا خرجت ظهر على من ظهر وقتله، وكذلك قائمنا أهل البيت لم يظهر أبداً حتى تخرج ودائع الله فإذا خرجت يظهر على من يظهر فيقتله**»، بحار الأنوار، ج٢٩ ص٣٢٨.

(٣) عن محمد بن منصور قال: «سألت عبداً صالحاً عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ فقال: إن **القرآن له ظهر وبطن، فجميع ما حرّم في الكتاب هو الظاهر والباطن من ذلك أئمة الجور، وجميع ما أحلّ في الكتاب هو الظاهر والباطن من ذلك أئمة الحق**»، بصائر الدرجات، ص١٥٧.

(٤) قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «كلوا الباذنجان فإنّها شجرة رأيتها في جنّة المأوى=

والارتباط بكل إنسان كان اتصاله بها أوثق، لِما لذلك من أثرٍ في تقريبه أكثر من العقل الكليّ. وفي المقابل، يُحرم أكل النبات أو الحيوان أو الخضار أو الفاكهة التي يتعيّن فيها جنود الجهل، كما يُحرم الارتباط بتعيّناته من البشر بأيّ شكل من الأشكال، حيث يمهّد ذلك للجهل الكلي بأن تكون له اليد الطولى على وجود الموالي، فيتمكّن حينها من أن يحول بينه وبين العقل الكلي.

مَن أشقى، إبليس أم قاتلو فاطمة عليها السلام؟

يطرح سؤال نفسه: إذا كان الأول والثاني والثالث وأتباعهم هم أصل ومنشأ كل هذه الشرور والقبائح والرذائل في العالم، فما هي، إذاً، منزلة إبليس؟ لعلّ الجواب على هذا السؤال يأتي في هذه الروايات. جاء في الرواية المنقولة عن أمير المؤمنين عليه السلام: «... فقلت: بئس الشيخ أنت (أي إبليس). فقال: لمَ تقول هذا يا أمير المؤمنين؟ فوالله لأحدّثنك بحديث عني، عن الله عز وجل ما بيننا ثالث. فقلت: يا لعين عنك، عن الله عز وجل ما بينكما ثالث؟ قال: نعم، إنه لما هبطت بخطيئتي إلى السماء الرابعة ناديت: إلهي وسيدي ما أحسبك خلقت خلقاً من هو أشقى مني. فأوحى الله تبارك وتعالى إليّ: بلى، قد خلقت من هو أشقى منك، فانطلق إلى مالك يريكه. فانطلقت إلى مالك، فقلت: السلام يقرئ عليك السلام، ويقول: أرني من هو أشقى مني، فانطلق بي مالك

=شهدت للّه بالحقّ ولي بالنّبوّة ولعليّ بالولاية، فمن أكلها على أنّها داء كانت داءً ومن أكلها على أنّها دواء كانت دواءً»، بحار الأنوار، ج٦٣ ص٢٢٣.

إلى النار فرفع الطبق الأعلى، فخرجت نار سوداء ظننتُ أنها قد أكلتني وأكلت مالكاً، فقال لها: إهدئي. فهدَأت. ثم انطلق بي إلى الطبق الثاني فخرجت نار هي أشدّ من تلك سواداً، وأشدّ حمى، فقال لها: اخمدي، فخمدت، إلى أن انطلق بي إلى السابع وكل نار تخرج من طبق هي أشدّ من الأولى، فخرجت نار ظننت أنها قد أكلتني وأكلت مالكاً وجميع ما خلقه الله عزّ وجلّ، فوضعت يدي على عيني، وقلت: مُرها يا مالك أن تخمد وإلا خمدتُ. فقال: إنك لن تخمد إلى الوقت المعلوم، فأمرها فخمدت، فرأيتُ رجلين في أعناقهما سلاسل النيران معلقين بها إلى فوق، وعلى رؤوسهما قوم معهم مقامع النيران يقمعونهما بها، فقلت: يا مالك من هذان؟ فقال: أوَما قرأت على ساق العرش وكنت قبل قد قرأته قبل أن يخلق الله الدنيا بألفي عام لا إله إلا الله، محمد رسول الله، أيدته ونصرته بعليّ؟ فقال: هذان من أعداء أولئك أو ظالميهم»(١). وفي رواية أخرى: «عن أبان بن أبي

(١) كامل الرواية: الشيخ المفيد في كتاب الاختصاص عن القاسم بن محمد الهمداني، قال: حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الكوفي، قال: حدّثنا أبو الحسن يحيى بن محمد الفارسي، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام، عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه، قال: «خرجت ذات يوم إلى ظهر الكوفة وبين يدي قنبر، فقلت له: يا قنبر ترى ما أرى؟ فقال: قد ضوء الله عز وجل لك يا أمير المؤمنين عما عمي عنه بصري. فقلت: يا أصحابنا ترون ما أرى؟ فقالوا: لا، قد ضوء الله لك يا أمير المؤمنين عمّا عمي عنه أبصارنا. فقلت: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لترونه كما أراه، ولتسمعن كلامه كما أسمع، فما لبثنا أن طلع شيخ عظيم الهامة، مديد القامة، له عينان=

عياش عن سليم بن قيس الهلالي، قال: سمعت سلمان الفارسي يقول: إذا كان يوم القيامة يؤتى بإبليس مزموماً بزمام من نار، ويؤتى بزفر مزموماً بزمامين من نار! فينطلق إليه إبليس فيصرخ ويقول: ثكلتك أمك، من أنت؟ أنا الذي فتنتُ الأولين والآخرين وأنا مزموم بزمام واحد وأنت مزموم بزمامين! فيقول: أنا الذي

=بالطول، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. فقلت: من أين أتيت يا لعين؟ قال: من الآثام (الأنام). فقلت: وأين تريد؟ فقال: الآثام (الأنام). فقلت: بئس الشيخ أنت. فقال: لم تقول هذا يا أمير المؤمنين؟ فوالله لأحدّثنك بحديث عني، عن الله عز وجل ما بيننا ثالث. فقلت: يا لعين عنك، عن الله عز وجل ما بينكما ثالث؟ قال: نعم، إنه لما هبطت بخطيئتي إلى السماء الرابعة ناديت إلهي وسيدي ما أحسبك خلقت خلقاً من هو أشقى مني. فأوحى الله تبارك وتعالى إلي: بلى، قد خلقت من هو أشقى منك، فانطلق إلى مالك يريكه. فانطلقت إلى مالك، فقلت: السلام يقرئ عليك السلام، ويقول: أرني من هو أشقى مني، فانطلق بي مالك إلى النار فرفع الطبق الأعلى، فخرجت نار سوداء ظننتُ أنها قد أكلتني وأكلت مالكاً، فقال لها: إهدئي. فهدَأت. ثم انطلق بي إلى الطبق الثاني فخرجت نار هي أشدّ من تلك سواداً، وأشدّ حمى، فقال لها: اخمدي، فخمدت، إلى أن انطلق بي إلى السابع وكل نار تخرج من طبق هي أشد من الأولى، فخرجت نار ظننت أنها قد أكلتني وأكلت مالكا وجميع ما خلقه الله عز وجل، فوضعت يدي على عيني، وقلت: مرها يا مالك أن تخمد وإلا خمدت. فقال: إنك لن تخمد إلى الوقت المعلوم، فأمرها فخمدت، فرأيت رجلين في أعناقهما سلاسل النيران معلقين بها إلى فوق، وعلى رؤوسهما قوم معهم مقامع النيران يقمعونهما بها، فقلت: يا مالك من هذان؟ فقال: أو ما قرأت على ساق العرش وكنت قبل قد قرأته قبل أن يخلق الله الدنيا بألفي عام لا إله إلا الله، محمد رسول الله، أيدته ونصرته بعلي؟ فقال: هذان من أعداء أولئك أو ظالميهم». الاختصاص، ص١٠٨ و١٠٩؛ بحار الأنوار، ج٣٩ ص١٩١.

أمرتُ فأُطِعت، وأمر الله فعُصي»[(١)] . وفي رواية ثالثة عن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا كان يوم القيامة يؤتى بإبليس في سبعين غلاً وسبعين كبلاً، فينظر أبو بكر إلى عمر في عشرين ومائة كبل وعشرين ومائة غل! فينظر إبليس فيقول: من هذا الذي أضعفه الله العذاب وأنا أغويتُ هذا الخلق جميعاً؟ فيُقال: هذا عمر! فيقول: بما حُدِّدَ له هذا العذاب؟ فيقال: ببغيه على عليّ عليه السلام»[(٢)].

وإن أوّل من بايع الأوّل هو إبليس لعنهما الله، ما يعني أن إبليس واقعٌ تحت ولاية وسلطة مَن بايعهم وهو تابعٌ لهم، فعن سليم بن قيس الهلالي قال: «سمعت سلمان الفارسي رضي الله عنه يقول: لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وصنع الناس ما صنعوا... فأتيت علياً عليه السلام وهو يغسل رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبرته بما صنع الناس وقلت: إن أبا بكر الساعة على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله والله ما يرضى أن يبايعوه بيد واحدة إنهم ليبايعونه بيديه جميعاً بيمينه وشماله، فقال لي: يا سلمان، هل تدري من أول من بايعه على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قلت: لا أدري، إلا أني رأيت في ظلة بني ساعدة حين خصمت الأنصار وكان أول من بايعه بشير بن سعد وأبو عبيدة بن الجراح ثم عمر ثم سالم قال: لست أسألك عن هذا، ولكن تدري أول من بايعه حين صعد منبر رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قلت:

---

(١) قال العلامة المجلسي في البحار، ج٢٢ ص٢٢٣: «زفر» و «حبتر» عمر وصاحبه، فالأول لموافقة الوزن والثاني لمشابهته لحبتر وهو الثعلب في الحيلة والمكر.

(٢) تفسير العياشي، ج٢ ص٢٢٤.

لا ولكني رأيت شيخاً كبيراً متوكئاً على عصاه بين عينيه سجادة شديد التشمير صعد إليه أول من صعد وهو يبكي ويقول: الحمد لله الذي لم يمتني من الدنيا حتى رأيتك في هذا المكان، أبسط يدك، فبسط يده فبايعه ثم نزل فخرج من المسجد. فقال عليّ عليه السلام: هل تدري من هو؟ قلت: لا ولقد ساءتني مقالته كأنه شامت بموت النبي صلى الله عليه وآله، فقال: ذاك إبليس لعنه الله...»(١).

(١) كامل الرواية: عن سليم بن قيس الهلالي قال: «سمعت سلمان الفارسي رضي الله عنه يقول: لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وصنع الناس ما صنعوا وخاصم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح الأنصار فخصموهم بحجة علي عليه السلام، قالوا: يا معشر الأنصار قريش أحق بالأمر منكم لأن رسول الله صلى الله عليه وآله من قريش والمهاجرين منهم. إن الله تعالى بدأ بهم في كتابه وفضلهم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الأئمة من قريش، قال سلمان رضي الله عنه: **فأتيت علياً عليه السلام وهو يغسل رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبرته بما صنع الناس وقلت: إن أبا بكر الساعة على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله والله ما يرضى أن يبايعوه بيد واحدة إنهم ليبايعونه بيديه جميعاً بيمينه وشماله، فقال لي: يا سلمان، هل تدري من أول من بايعه على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قلت: لا أدري، إلا أني رأيت في ظلة بني ساعدة حين خصمت الأنصار وكان أول من بايعه بشير بن سعد وأبو عبيدة بن الجراح ثم عمر ثم سالم قال: لست أسألك عن هذا، ولكن تدري أول من بايعه حين صعد منبر رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قلت: لا ولكني رأيت شيخاً كبيراً متوكئاً على عصاه بين عينيه سجادة شديد التشمير صعد إليه أول من صعد وهو يبكي ويقول: الحمد لله الذي لم يمتني من الدنيا حتى رأيتك في هذا المكان، أبسط يدك، فبسط يده فبايعه ثم نزل فخرج من المسجد فقال عليّ عليه السلام: هل تدري من هو؟ قلت: لا ولقد ساءتني مقالته كأنه شامت بموت النبي صلى الله عليه وآله، فقال: ذاك إبليس لعنه الله،** أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله أن إبليس ورؤساء أصحابه شهدوا نصب رسول الله صلى الله عليه وآله إياي للناس بغدير خم بأمر الله عز وجل فأخبرهم أني أولى بهم من أنفسهم وأمرهم أن يبلغ الشاهد الغائب فأقبل إلى إبليس أبالسته ومردة أصحابه فقالوا: إن هذه أمة مرحومة ومعصومة وما لك ولا لنا عليهم سبيل قد أعلموا إمامهم ومفزعهم بعد نبيهم، فانطلق إبليس لعنه الله كئيباً حزيناً وأخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله أنه لو قبض أن الناس يبايعون أبا=

تخفّي الأبالسة في الدين

ثمة أمر خطير للغاية تكشفه لنا هذه الرواية، إذ إن الأوّل والثاني وإبليس وأتباعهم قد تخفّوا في الدين(١) وفي الكلام المنمّق عنه(٢)، وتلبّسوا بلباسه، فظهروا للناس بمظهر العلماء(٣)، وهذا

=بكر في ظلة بني ساعدة بعد ما يختصمون، **ثم يأتون المسجد فيكون أول من يبايعه على منبري إبليس لعنه الله في صورة رجل شيخ مشمر يقول كذا وكذا، ثم يخرج فيجمع شياطينه وأبالسته فينخر ويكسع ويقول: كلا زعمتم أن ليس لي عليهم سبيل فكيف رأيتم ما صنعت بهم حتى تركوا أمر الله عز وجل وطاعته وما أمرهم به رسول الله** ﷺ»، الكافي، ج٨ ص٣٤٣ - ٣٤٤.

(١) من كلام إبليس لعنه الله مع ربّ العالمين: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ ، (سورة الأعراف، آية ١٦). وفي آية أخرى: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾، (سورة النساء، آية ١١٩)، وبتك الأذن يعني قطعها في اللغة العربية. ومن خلال ربط هذه الآية بآية أخرى قد يتبيّن المعنى من كلمة «أنعام»، وقصد إبليس من وراء هذا الكلام، ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾، (سورة الفرقان، آية ٤٤)، حيث إن هناك من الناس من له آذان لا يسمع بها.

(٢) ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾، سورة المنافقون، آية ٤.

(٣) من كلام للإمام العسكري عليه السلام: «... ومنهم قوم نصّاب لا يقدرون على القدح فينا، فيتعلمون بعض علومنا الصحيحة، فيتوجهون به عند شيعتنا، وينتقصون بنا عند نصّابنا، ثمّ يضيفون إليه أضعافه، وأضعاف أضعافه من الأكاذيب علينا التي نحن براء منها، فيتقبله المستسلمون من شيعتنا على أنّه من علومنا، **فضلّوا وأضلّوا، وهم أضرّ على ضعفاء شيعتنا من جيش يزيد على الحسين بن علي** عليهما السلام **وأصحابه**»، وسائل الشيعة، ج٢٧ ص. ١٣١ ومن وصيّة الإمام الصادق عليه السلام لابن النعمان: «**يا ابن النعمان إنا أهل بيت لا يزال الشيطان يُدخل فينا من ليس منا ولا من أهل ديننا، (والمقصود هو العالم الشيعي بدلالة كلمة «فينا») فإذا رفعه ونظر إليه الناس أمره الشيطان فيكذب علينا، وكلما ذهب واحد جاء آخر**»، (بحار الأنوار، ج٧٥=

=ص٢٨٩). وعن أمير المؤمنين عليه السلام في وصف أتباع الشيطان: «**اتّخذوا الشيطان لأمرهم مِلاكاً، واتّخذهم له أشراكاً، فباض وفرّخ في صدورهم**»، (نهج البلاغة، الخطبة رقم ٧). ويوضح الإمام، في رواية، كيف يكون العالم الحقيقي فيقول: «**اعرفوا منازل شيعتنا بقدر ما يُحسنون من رواياتهم عنّا؛ فإنّا لا نعدّ الفقيه منهم فقيهاً حتى يكون محدّثاً. فقيل له: أويكون المؤمن محدّثاً؟ قال: يكون مفهّماً، والمفهّم محدَّث**»، (الوسائل، ج١٨، ص١٠٧)، (وإذا قال قائل إن المقصود هو «محدِّث» لا «محدَّث»، فلمَ إذاً كان سائل الإمام مُتعجباً حين قال: أوَيكون المؤمن محدثاً؟ وأمير المؤمنين عليه السلام يقول: «وما برح لله عزت آلاؤه في البرهة بعد البرهة، وفي أزمان الفترات، عباد **ناجاهم في فكرهم، وكلمهم في ذات عقولهم**، فاستصبحوا بنور يقظة في الأسماع والأبصار والأفئدة»، بحار الأنوار، ج٦٦ ص٣٢٥). وفي حديثٍ لصاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف: «**وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا**»، (بحار الأنوار، ج٥٣ ص١٨١)، ومن خلال ربط الرواية الأخيرة برواية «إعرفوا منازل شيعتنا...»، نخلُص إلى أن **رواة أحاديث أهل البيت** عليهم السلام **تتفاوت منزلتهم بقدر ما يُحسنون من رواياتهم عنهم** عليهم السلام. **كما أن رواة الحديث ينقسمون إلى أقسام، فمنهم من يروي الأحاديث العقائدية ومنهم من يروي الأحاديث الأخلاقية وآخرون يروون أحاديث تتعلق بما هو حلال وحرام وأخرى تتعلق بالسيرة وبالخلقة النورانية لأهل البيت** عليهم السلام، **ولهذا يوصي الإمام بالرجوع إلى رواة الحديث لا إلى راوي الحديث، فينبغي الرجوع بالفقه إلى الفقيه فيه (وإنْ كان هناك فرق بين المفتي والفقيه، فمن الممكن أن تجد مفتياً إلا أنه يفتقر إلى الفقاهة بنظر أهل البيت** عليهم السلام**) كما ينبغي الرجوع بالعرفان إلى الفقيه بالعرفان وهكذا دواليك، وقد روي عن الإمام عليّ** عليه السلام: «**فقيه واحد أشد على إبليس من ألف عابد**»، **(بحار الأنوار، ج٥ ص١٦). وتجدر الإشارة إلى أن أصل معنى الروايات هو الإرتواء، وأما الراوي، فهو الشخص الذي يروي نفسه والآخرين معه. فمن كان قدر إحسانه ودرايته للرواية أكبر** (حديث تدريه، خير من ألف ترويه، بحار الأنوار، ج٢ ص١٨٤)، **كانت منزلته وقربه من الإمام أكبر**. وأما **الحُسْنُ فهو فاطمة** عليها السلام، إذ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**لو كان الحُسن شخصاً لكان فاطمة، بل هي أعظم، فإنّ فاطمة ابنتي خير أهل الأرض عنصراً وشرفاً وكرماً**»، (فرائد السمطين، ج٢ ص٦٨). فالحُسن هو فاطمة، مِنها يؤخذ وإليها يعود، وهو منوطٌ بمعرفتها عليها السلام، حيث يقول الإمام الباقر عليه السلام: «وعلى معرفتها دارت القرون الأولى»، (بحار الأنوار، ج٤٢=

ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام حيث قال: «لا يزال الشيطان يُدخل فينا من ليس منا ولا من أهل ديننا». وذلك، حتى يبدّلوا ويغيروا من الدين ما طاب لهم، ولذلك ما عاد أحدٌ يراهم ولا يقدر على تمييزهم. وباتوا قابعين في صميم دين الناس من دون أن يدروا ولا أن يشعروا بذلك. ولهذا، يوصي الإمام عليه السلام بمجانبة الجهل وجنوده وهو ما لا يتمّ سوى بالمعرفة، وإلا فسيبقى الإنسان تحت سيطرتهم وتصرّفهم. وكما يتجلى الأوّل والثاني بالنفس الأمارة التي هي أم الأصنام وأعدى عدوٍّ للإنسان، مثلما أسلفنا، فكذلك يمكن لهما أن يتجليا ويظهرا في أفراد مقرّبين من الإنسان، سواء كانوا رجالاً أو نساءً أو حتى آلات وأجهزة، كالهاتف

=ص١٠٥). **ومحبتها وعشقها يحكيان ويكشفان عن مدى المعرفة بها، وبالتالي، عن الحُسن الموجود في كل فرد. ولهذا، كان الحَسن والحُسين والمُحسن مِن فاطمة بل كانوا هُم هي** عليها السلام. فكلُ من سُمِّيَ حَسَنٌ لاتصافه بالحُسن، وكلّ من سُمِّيَت حَسْناء لحمْلِها تلك الصفة، وكلّ من سُمِّيَ بالحسين لشدّة حُسنِه، مصدره فاطمة عليها السلام. وبالنتيجة، **فإنه ينبغي على راوي أحاديث أهل البيت** عليهم السلام **أن يكون فاطمياً**. وليس هذا فحسب، بل إن الإمام تابع كلامه وقال: «**فإنا لا نعدّ الفقيه فقيهاً حتى يكون مُحدَّثاً**»، وإنّ «**من زار الحسين بن عليّ** عليهما السلام **عارفاً بحقه، كان من محدّثي الله تعالى فوق عرشه**»، (مستدرك الوسائل، ج١٠ ص٢٥١). فهذا التحديث لا يكون إلا لمن زار الحسين عليه السلام عارفاً بحقه، أي لمن كان عنده **عِرفانٌ بحق الحسين بن علي** عليهما السلام **وليس مجرّد علم** فحسب. وخلاصة القول، **إنه بقدر ما يكون رواي الحديث فاطمياً وحسينياً، بقدر ما تكون منزلته أرفع**، ويكون مشمولاً بكلام الإمام العسكري عليه السلام، إذ يقول: «**فأمَّا من كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدينه مخالفاً لهواه مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلّدوه، وذلك لا يكون إلّا بعض فقهاء الشيعة لا كلّهم**»، (وسائل الشيعة، ج٢٧ ص١٣١).

والتلفاز والإنترنت وما إلى ذلك. وعندما يعرف الإنسان عدوّه ويتكشَّف له، يصبح أكثر قدرة على محاربته والانتصار عليه ولا تكون معركته مع طواحين الهواء. وبتعبير آخر، حينما يعرف الإنسان أصل الجهل والظلمة والشرور، يسارع إلى التبرّي والفرار منهما، وحينذاك يلجأ إلى العقل والنور والحق ليتولاهم فيكون التولّي عنده صادقاً ومتيناً، وبهذا يصل إلى تمام الدين[(١)] والنعمة[(٢)] وكمالهما[(٣)]. فالإنسان عادة يعرف النور من الظلمة والظلمة من النور، ولو لمْ يكن النور، لمَا كان عنده مفهوم الظلمة، ولو لم يكن مفهوم الظلمة لما فهم مفهوم النور.

(١) عن الإمام الرضا عليه السلام: «كمال الدين ولايتنا والبراءة من عدونا»، بحار الأنوار، ج٢٧ ص٥٨.

(٢) روى الطبرسي عن العيّاشي أنّ أبا حنيفة سأل الإمام الصادق عليه السلام عن هذه الآية، ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ (سورة التكاثر، آية ٨)، فسأله الإمام: «ما النعيمُ عندك يا نعمان؟ قال أبو حنيفة: القُوت من الطعام والماء البارد، فقال له الإمام الصادق عليه السلام: لَئن أوقَفَك الله يومَ القيامة بين يَدَيه حتّى يسألك عن كلّ أكلةٍ أكلتَها أو شربةٍ شربتَها، لَيطُولنّ وقوفُك بين يديه. فسأل أبو حنيفة: فما النعيم جُعلت فداك؟ قال عليه السلام: **نحنُ - أهلَ البيتِ - النعيمُ الذي أنعَمَ الله بنا على العباد، وبنا ائْتَلَفوا بعدَ أن كانوا مختلفين، وبنا ألّفَ الله بين قلوبهم وجعلهم إخواناً بعد أن كانوا أعداءً، وبنا هداهمُ الله للإسلام، وهو النعمة التي لا تنقطع، والله سائلُهم عن حقّ النعيم الذي أنعَمَ به عليهم، وهو النبيّ وعترته**»، تفسير نور الثقلين، ج٥ ص٦٦٣ ح ١٥.

(٣) ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾، سورة المائدة، آية ٣.

القائم يقتصّ من الشرّ

عندما يظهر القائم عجل الله فرجه الشريف، يقتلع الشرّ من أصله وجذوره، إذ يخرجهما من قبريهما ويحرقهما وينسفهما[١]، ثم يقتل إبليس، فقد ورد في الرواية «عن وهب بن جميع قال: سألتُ أبو عبدالله عليه السلام عن قول إبليس: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ * إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾[٢] قال له وهب: جعلتُ فداك، أيّ يوم هو؟ قال: يا وهب، أتحسب أنه يوم يبعث الله فيه الناس؟ إن الله أنظره إلى يوم يبعث فيه قائمنا فإذا بعث الله قائمنا كان في مسجد الكوفة وجاء إبليس حتى يجثو بين يديه على ركبته فيقول يا ويله مِن هذا اليوم- فيأخذ بناصيته فيضرب عنقه - فذلك اليوم هو الوقت المعلوم»[٣]. وبعدما تقدّم، يتبيّن أن إبليس ليس أصل الشرور[٤] والقبائح إلا أنه تجلٍ للأصل، أي

---

(١) من إحدى النكات اللطيفة أن الحساب الأبجدي لأسماء الثلاثة هو مساوٍ لحساب آية: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾، فحساب أحرف الأول: ٢٣١ والثاني: ٣١٠ والثالث: ٦٦١ والمجموع: ١٢٠٢، وحساب أحرف الآية هو مساوٍ أيضاً لـ: ١٢٠٢.

(٢) سورة الحجر، آية ٣٧ و٣٨.

(٣) تفسير العياشي، كتاب التفسير، ج٢ ص٢٤٢.

(٤) عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ قال: الأمانة الولاية، **والإنسان هو أبو الشرور المنافق**»، (معاني الأخبار، ص١١٠ ح٢). وفي رواية أخرى: عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا﴾ قال: هي الولاية أبين=

الأوّل والثاني. وعندما يقتلهم القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف، يستأصل بذلك جذور الشرّ والقبح من العالم، فيتراجع انجذاب الناس وميلهم نحوها. ولكن على الرغم من قتل الأصل والأب إلا أنه يبقى للأولاد والجنود ظهورات وارتدادات وامتدادت في هذا العالم ولذلك تقول الروايات إن الإمام عليه السلام يُقتل ويعود الفساد ليعمّ في الأرض حتى يوم القيامة. وهو اليوم

=أن يحملنها كفراً بها وعناداً، **وحملها الإنسان، والإنسان الذي حملها أبو فلان**»، (بصائر الدرجات، ج٣ ص٧٦)، **ما يعني أنه أبو الشرور كلها والمتمعّن بالجهل فهو أصله ومنشأه ورأسه**. كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**الحسنة معرفة الولاية وحبنا أهل البيت، والسيئة إنكار الولاية وبغضنا أهل البيت**»، (الكافي، ج١ ص١٨٥ ح ١٤). ومن كلام للإمام أبي جعفر عليه السلام: «**قال: الحسنة ولاية عليّ، والسيئة عداوته وبغضه**»، (كنز الفوائد، ص٢١١ و ٢١٢). وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لمّا أُسري بي إلى السماء أوحى إليَّ ربي جلَّ جلاله فقال عز وّجلّ: إرفع رأسك. فرفعت رأسي وإذا أنا بأنوار عليّ وفاطمة والحسن والحسين، وعليّ بن الحسين ومحمّد بن علي، وجعفر بن محمّد، وموسى بن جعفر، وعليّ بن موسى، ومحمّد بن عليّ وعليّ بن محمّد، والحسن بن عليّ، و «م ح م د» بن الحسن القائم في وسطهم، كأنّه كوكب درّي. قلت: يا ربِّ ومن هؤلاء؟ قال: هؤلاء الأئمّة وهذا القائم الذي يحلِّل حلالي ويحرِّم حرامي وبه أنتقم من أعدائي، وهو راحة لأوليائي، **وهو الذي يشفي قلوب شيعتك من الظالمين والجاحدين والكافرين، فيُخرج اللّات والعزَّى طريّين فيحرقهما، فلفتنة الناس يومئذٍ بهما أشدُّ من فتنة العجل والسامريّ**»، (كمال الدين وتمام النعمة، ص٢٥٢)، وتقول الآية الكريمة: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ۞ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾، (سورة النجم، آية ١٩ و٢٠). كما ورد في دعاء أمير المؤمنين عليه السلام على الشيخين: «**اللهم العن صنمي قريش وَجبَتيها وَطاغُوتَيها وإفكيها وأبنتيْهما اللذين خالفا أمرك وأنكرا وحيك وجحدا إنعامك وعصيا رسولك وَقَلَّبا دينك وحَرَّفا كتابك وعطلا أحكامك وأبطلا فرائضك وألحدا في آياتك وعاديا أولياءك وواليا أعداءك وخربا بلادك وأفسدا عبادك...**»، بحار الأنوار، ج٨٥ص٢٤٠.

الذي يعود النور إلى المنير، كرجوع الشعاع إلى القرص، وتعود الظلمة إلى أصلها وكل فرع يعود إلى أصله.

كيف الخلاص من الجهل وظهوراته؟

إلى ذلك اليوم، ثمة عمل واحد من شأنه أن يُطفئ ويقتل كل الفساد الذي يمكن أن يتأتّى ويتولّد من أعمال وكيد الكفار والمشركين قبل أن يتنزل إلى عالم الدنيا ويظهر فيه، وهو الدمعة التي تنطوي على الولاية والبراءة والمحبة. فعندما تُذرف هذه الدموع، تمنع آثار الأعمال الطالحة وتعيّناتها وتجلياتها من الظهور في هذا العالم، فتقتلها وتقتل أرواح الكافرين والنواصب والمشركين. وعند ذلك، يتمكّن المجاهدون في ساحة الجهاد الأصغر من قتل أجساد هؤلاء، وإلا فلن يتمكنوا إلا من جرحهم، هذا إن نجحوا في إصابتهم. ومن هنا، كانت ضرورة عقد هذه المجالس، إذ إن هناك تكاملاً بينها وبين الجهاد الأصغر. فعندما تُقام محافل العزاء وتصدر الدموع من الموالين وتُنظم مراسم اللطم، يتجلى أبو الفضل عليه السلام في اللاطمين، وحينها يتسنى للمجاهدين قتل النواصب بأجسادهم بعدما يكون العزاء، بكل ما جرى فيه من بكاء وحزن ولطم، قد قتلهم بأرواحهم، وهذا هو قول أبي الفضل عليه السلام: «إني أحامي أبداً عن ديني». ومثلما تكمن أهمية مداد العلماء في حفظ أرواح الشيعة، فإن أهمية الدمعة المستبطنة للولاية والبراءة والمحبة تكمن في قتل أرواح النواصب والمشركين. وفي المقابل، حين تُحجَب المعرفة بالله وآل الله

وتُكتَم فضائلهم ومناقبهم، خصوصاً فضائل ومناقب أمير المؤمنين عليه السلام، وحينما تُعطَّل مجالس العزاء ويُمنع البكاء واللطم ويُحال دون زيارة قبر سيّد الشهداء عليه السلام في كربلاء، تموت وتُقتَلُ أرواح الشيعة، وعند ذلك يتمكّن النواصب من قتل أجسادهم. فكل تلك الأفعال تُمكِّن النواصب من الشيعة والموالين، سواء حصلت سهواً أو عمداً، من قِبل العدوّ أو الصديق.

وتُخمِد الدمعة المستبطنة للولاية والبراءة والمحبة آثار الذنوب التي يرتكبها الموالون، فكما أُخمِدت النيران على أهلها يوم ولد الحسين عليه السلام[(١)]، فكذلك تفعل الدمعة المذروفة عليه، حيث ورد عن أبي عبدالله عليه السلام في حديث طويل: «ما بكى أحدٌ رحمةً لنا ولِما لقينا إلا رحمه الله قبل أن تخرج الدمعة من عينه، فإذا سال دموعه على خدّه فلو أن قطرة من دموعه سقطت في جهنّم لأطفأت حرّها حتى لا يوجد لها حرّ»[(٢)]. وقد ورد أنّ «الحسين عبرة كل مؤمن»[(٣)]، ما يعني أن سيّد الشهداء[(٤)] عليه السلام يتولّد من هذه الدمعة

---

(١) روى الحمويني باسناده عن ابن عباس: «فلما ولد الحسين بن علي عليهما السلام وكان مولده عشية الخميس ليلة الجمعة، أوحى الله عزّوجل إلى مالك خازن النار أن **أخمد النيران على أهلها** لكرامة مولود ولد لمحمّد في دار الدنيا»، فرائد السمطين، ج٢ ص١٥٢.

(٢) وسائل الشيعة، ص ٥٠٨.

(٣) كامل الزيارات، ص٢١٤.

(٤) إن الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة، (بحار الأنوار، ج٣٦ ص. ٢٠٥ وللإشارة فقد ورد أن عليّاً عليه السلام «راية الهدى»، حلية الأولياء، ج١ ص٦٦). **فالحسين هو مصباحٌ لهدايتنا والنور المبين في الدنيا وهو سفينة النجاة التي ستخلّصنا في الآخرة.** وبالتالي، فإنه مَعَنا في كل المراتب والعوالم، من البداية إلى النهاية. وقد ورد في=

في وجود المؤمن ويُطفئ تلك النيران والتجليات الظلمانية في وجود الإنسان من كفر وشرك ونفاق ورياء وحسد وكذب وكبر وما إلى ذلك. وقد ورد عن الإمام الرضا عليه السلام: «**فعلى مثل الحسين فليبكِ الباكون، فإنّ البكاء يحطّ الذنوب العظام**»(١)، ومعنى ذلك أن البكاء عندما يحطّ الذنوب يرفع عن صاحبه الجهل والظلمة ويُنقيه منهما، فيستكمل عند ذلك الإيمان، وهو قول الإمام الصادق عليه السلام بأن الموالي: «**لا يخلو من أن يكون فيه بعض هذه الجنود حتى يستكمل، ويُنقى من جنود الجهل، فعند ذلك يكون في الدرجة العليا مع الأنبياء والأوصياء**»(٢). فالبكاء على آل الله، إذاً، يُنقي الموالي من الجهل ويُدخله تلقائياً في النور، ﴿يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ﴾(٣)، فديننا هو دين البكاء وذرْف الدموع. كما أن لهذه الدمعة القدرة على تغيير المكتوب والمقدَّر، فهي سرّ

=الرواية أنه لمّا وُلد الحسين عليه السلام، **انطفأت النيران في جهنم كافة** (فرائد السمطين، ج٢ ص١٥٢). ومن المعاني التي تشتمل عليها هذه الرواية أنه عندما **يولد أبو عبدالله الحسين في وجودنا، تُخمد النيران التي سعّرناها بأعمالنا القبيحة، ولا يبقى لها أيّ حرّ** (أثر). ففي كل مرّة **يشعر فيها الموالي بحبّ الحسين بن عليّ عليهما السلام في قلبه، يتولد الإمام من جديد في إحدى مراتب وجوده أو مقام من مقاماته أو عالم من عوالمه. فيُطفئ نار ذنوبنا ومعاصينا من جهة، ونار الغربة والفراق والوحشة من جهة أخرى، بفضل تلك الولادة**. وإنما تتجلى هذه الولادة، بأبهى صورها، في وجود الموالين خلال أيام محرّم الحرام، فيُبعثون من جديد. وبالتالي، **فإن أيام عاشوراء هي أيام البعث عند العاشقين، وساعة البعث هي ساعة الحضور في مجالس أبي عبدالله الحسين** عليه السلام.

(١) أمالي الصدوق، ص١٩٠.
(٢) الكافي، ج١ ص٢٠ - ٢٣.
(٣) سورة البقرة، آية ٢٥٧.

البداء المذكور في الروايات[١]. ولكل من يستكثر هذا على سيّد الشهداء عليه السلام، نورد هذه القصّة: يُحكى أنه كان هناك ملك مقتدر يبسط سلطته وسيطرته على مملكته ويفرض جلاله وهيبته على كل أهلها الذين كانوا يهابونه ويُكنّون له كل الاحترام والتقدير، إذ كان يوفّر لهم كل أسباب العيش والاطمئنان، ويتحلى بكل الصفات المفترض للملك أن يتحلى بها من حزمٍ وقوة وعدلٍ وكرم. وكان الملك يحبّ الصيد، فكان يذهب في كل يومٍ مع حاشيته وخدّامه برحلة إلى الغابة حتى يمارس هوايته. وفي إحدى المرات، وبينما كان يصطاد، رأى غزالاً من بعيد وصمّم أن يلحق به حتى ينال منه. فبدأ يطارد الغزال الذي كان يحاول جاهداً الهرب من صيّاده. وبعد مدة من المطاردة، نظر الملك من حوله، فرأى أنه ابتعد كثيراً عن حاشيته وبات وحيداً لا يعرف وجهته. راح الملك يفتش علّه يعثر على أتباعه أو على من يدلّه على الطريق، ولكن من دون جدوى. وبقي تائهاً ومحتاراً في أمره إلى أن نفد كل ما بحوزته من طعام وشراب. ثم بدأ الملك يضعف وينهار، فنقْصُ الماء أفقده قواه وجعله على مشارف الهلاك. ولكن فجأة، وحين كان يلفظ أنفاسه الأخيرة، وصل إليه رجل كان يمرّ من ذلك

(١) من كلام للإمام العسكري عليه السلام: «**يا سهل، إن لشيعتنا بولايتنا لعصمة** لو سلكوا بها في لجة البحار الغامرة وسباسب البيد الغائرة بين سباع وذئاب وأعادي الجن والإنس لأمنوا من مخاوفهم بولايتهم لنا، فثق بالله عز وجل وأخلص في الولاء لأئمتك الطاهرين وتوجه حيث شئت واقصد ما شئت إذا أصبحت..»، (بحار الأنوار، ج٥٩ ص٢٥). وقد ورد عنهم عليهم السلام: «**لكل شيء ثواب إلا الدمعة فينا**»، نجاة الأمة، ص٣٨.

المكان. وكان بحوزته قليلٌ من الماء لا يكفي إلا لفردٍ واحد. وعلى الرغم من معرفته بأنه بحاجة إلى الماء حتى ينجو ويصل إلى مقصده، إلا أنه آثر الملك على نفسه وسقاه كل ما كان لديه من ماء حين رأى حاله وأيقن أن حياته متوقفة على الماء الذي بين يديه. وفي تلك الأثناء، وصل جنود الملك الذين كانوا يبحثون عنه في كل مكان في الغابة، واصطحبوه إلى قصره. وبعد أن استعاد الملك تمام عافيته، أوعز إلى الجميع بالحضور وأمر باستدعاء الرجل الذي أنقذه وأخبر كل الحاضرين بفضل ذلك الرجل عليه، وبأنه لولاه لكان في عداد الموتى. وبعد ذلك، أعلن عن نيّته بمكافأته وردّ الجميل إليه، فطلب من وزرائه أن يقترحوا عليه المكافأة التي يمكن أن يقابل بها ذلك الفضل الذي واجهه به الرجل. فمنهم من قال أعطه مبلغاً من المال ومنهم من قال امنحْهُ قطعة أرض ومنهم من قال إجعله في جندِك، حتى أن بعضهم أشار على الملك بأن ينصّبه أميراً على إحدى إمارات المملكة. غير أن كل تلك الإقتراحات لم ترضِ الملك، فقال: لقد أعطاني هذا الرجل كل ما كان يملك وكاد يموت عطشاً كي أحيا أنا. والملك لا يكون ملكاً إنْ لم يكن الأكرم والأجزل، إذ إن مقتضى المُلك أن يتحلى المَلك بأفضل الصفات وأتمّها وإلا فليس جديراً بهذا المنصب. وإني سأقابِل كرم هذا الرجل بمثل ما قابلني به، وسأتنازل له عن كل ما أملك من حكم وسلطة وقدرة وجاه وعزّ. غير أن الرّجل رفض ذلك، وأخبره بأنه لا ينتظر أيّ مقابل على الإطلاق. ولكن لكثرة ما ألحّ عليه الملك ونزولاً عند رغبته، وافق

الرجل على أن يشغل منصب ولي العهد في المملكة. وبعد هذه القصّة نقول، إن الإمام الحسين قدّم إلى الله كل ما يملكه من عيال ونساء وأنفس ومُهَج، فهل للإنسان أن يتخيّل الكرم الذي يمكن أن يقابَل به الحسين عليه السلام من قِبَل الإله المطلق؟ لقد أعطى سيّد الشهداء عليه السلام كلّه لله، فأعطى الله كلّه لسيّد الشهداء وهو أكرم الأكرمين.

لن تجد من دون الدمعة ملتحداً

خلاصة القول أن العلم والعبادة والدمعة وكل ما ينشأ عن الحب والعشق والارتباط بآل البيت عليهم السلام ينمو ويزكو في الحياة خيراً وحتى بعد الممات، فما كان لله ينمو ويبقى أثره في الدنيا والآخرة على السواء. أما ما لم يكن لله وما استبطن الكفر والبغض والحسد والنفاق والظلمة، فلن ينمو وسيُمحى أثره ويُجتَثّ أصله ولو بعد حين. ولذا، فليحرص الموالي على عمله الصالح لا سيّما دمعته في عزاء الحسين بن علي عليهما السلام لأن آثارها بظهورها وبطونها أعظم من بقية الأعمال وثوابُها لا يحصيه إلا الله تعالى. فقد ورد في الرواية: «إذا كان يوم عاشوراء من المحرم تنزل الملائكة من السماء على عدد الباكين في الأرض على أبي عبدالله الحسين ومع كل ملك قارورة بيضاء فيدورون على المحافل والمجالس التي يذكر فيها مصاب الحسين عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام فيحملون في تلك القوارير جزع الباكين ودموع أعينهم على الحسين عليه السلام فإذا كان يوم القيامة ويوم الحشر والندامة وأتى

الباكي على الحسين عليه السلام وليس له عمل سوى هذه الدمعة وهذا الجزع على الحسين عليه السلام فيقف محتاراً في أمره... (فيقول) المولى تعالى: قفوا يا ملائكتي فإن لهذا العبد أمانة عظيمة ودرة ثمينة فاعرضوها على الأنبياء حتى يفرضوا قيمتها ويُعطى ثمنها فيجمع الله الأنبياء والأوصياء حتى يقوموا هذه الدمعة الثمينة بأعظم قيمة. فيأتي آدم أبو البشر فيقال به: يا آدم قوّم هذه الأمانة لهذا العبد الفقير الخاطئ الذي لا يملك غيرها فيتقدم آدم ويقول: إلهي أنت الكريم الغفور الرحيم قيمة هذه أن تكفيه العذاب من نار جهنم فيقال له يا آدم قليل ماقومتها به. فيأتي الملائكة على نبي الله نوح فيحضر نوح فيقول: يا إلهي يا كريم يا غفار قيمتها أن تكفي صاحبها شر الحساب وشر العقاب فيأتي النداء: هذا قليل ما قوّمتها يا نوح. فيأتي الملائكة بإبراهيم ويقول: إلهي أنت القادر على كل شيء وأنت الكريم الذي لا يبخل قيمتها أن تسهل على صاحبها الحساب وتجعله يستظل تحت عرشك وتسكنه فسيح جنتك فيأتي النداء: قليل ما قومتها به يا إبراهيم. وهكذا حتى يعرضوها على جميع الأنبياء والأوصياء فيأتي النداء: قليل ما قومتها به، إلى أن يؤتى بها إلى سيد الأنبياء وخاتم النبيين محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيحضر سيد المرسلين وشفيع الأمة فيأتي النداء: يا محمّد، قوّم هذه الأمانة لهذا العبد الخاطئ العاصي من أمتك حتى يشتريها الله تعالى منه بأغلى ما يكون من الأثمان فيقول سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم: يارب، أسأل وأنت العالم بنطقي إن هذا الشيء الذي أمرتني بتقويمه لعبدك الفقير من أين أتاه ومن أين حصل عليه ومن

أين اكتسبه؟ فيأتيه النداء قد جلس يوماً مع جماعة يذكرون مصاب ولدك الحسين فتأسّف وتحسّر حتى خرجت قطرة من دموع عينه فحفظتها له الملائكة فصورتها بقوتي وقدرتي وجعلتها له هذه الدرة البيضاء وأمرت ملائكتي أن يحفظونها له فكانت له ذخيرة في هذا اليوم فإذا سمع رسول الله هذا الكلام يخرّ ساجداً لله تعالى ويقول: يا رب العالمين يا مالك يوم الدين أنت اكرم الأكرمين ورحمتك وسعت كل شيء»[١].

(١) بحار الأنوار ٤٤/ ٣٤.

آجرک الله یا صاحب الزمان
بی قرارم، سوگوارم، ... تا به هنگام ظهور

الفهرس

مقدّمة الكتاب ٥

تمهيد ٣١

النفحة الأولى ٦٣

أهل الجمع والتفرقة في كربلاء ٦٣

تجلي كفي العباس عليه السلام بكفوف اللاطمين ٦٨

غبار حوافر الخيول ينجي! ٧٥

كربلاء أقصر الطرق إلى الله ٧٧

عشق الحسين يقلب المعايير ٧٨

النفحة الثانية ٨١

«كأن الدنيا لم تكن»، شهودها بكربلاء ٨١

ما سبب قباحة الدنيا؟ ٨٤

الدنيا مشتقّة من الدنيّ ٨٥

ترك الدنيا مشروط بمعرفتها ٨٧

كيف هي أخلاق أهل كربلاء؟ ٩٠

أتحسب أنك تعرف كربلاء؟ ٩٦

قدسيّة تربة كربلاء ١٠٠

قبره في قلوب من والاه ١٠٥

النفحة الثالثة ١٠٩

الفاصل بين حسن العمل وقبحه ١٠٩

الدين بل الوجود تابع للإمام ١١٢

مقررات العالم لا تسري على الإمام ١٢١
كف أبي الفضل عليه السلام تحامي أبداً عن الدين ١٢٥
تربة الحسين عليه السلام تغيّر الهوية ١٢٦
السيدة رقية عليها السلام باب العروج إلى الله ١٣٠
النفحة الرابعة ١٣٥
فناء الأصحاب في الحسين عليه السلام ١٣٥
علاقة الـ«أنا» بآية ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ ١٣٧
طلب المنفعة يحجب الولاية ١٣٨
عليّ عليه السلام هو المستهدف في كربلاء ١٤٥
جذبة العشق ١٤٧
الحسين عليه السلام مُبدع العشق ١٥٠
ألقِ وجودك تحت قدم الوليّ ١٥٣
معرفة الولاية والوليّ هبة لا اكتساب ١٥٤
هبتهم لا تُسلب ١٥٦
النفحة الخامسة ١٥٩
زواج القاسم بن الحسن عليهما السلام ١٥٩
رعاية الأدب في الخدمة شرطٌ للظهور الحسينيّ ١٦١
إن منكم إلا واردها! ١٦٣
الفرق بين «الدخول» و«الورود» ١٦٥
الماء الذي يطفئ نار جهنم ١٦٧
البكاء هو حقيقة الجنّة ١٧٠
الدمع المذروف على الحسين عليه السلام ليس كغيره ١٧١
نيّة حضور عزاء الحسين عليه السلام ١٧٤
الدين هو الحسين عليه السلام ١٧٦
وصيّة الحسن لابنه القاسم عليهما السلام ١٧٧
الهمّ والغمّ لا يصيبان زوار كربلاء ١٧٨
النفحة السادسة ١٨٥
نيل الولاية من قناة أبي الفضل عليه السلام ١٨٥
بمن تجلى الأنس والبأس بكربلاء؟ ١٨٧

إياب الولاية الكلية إلى رسول الله ﷺ ١٩٠
ظهور الحقيقة المحمدية في عليّ الأكبر عليه السلام ١٩٣
أبو الفضل هو الساقي ١٩٥
العين واليد، سلاحا آل الله الأكثر نفاذاً ٢٠٠
العباس قيامة العشق ٢٠١
كيف استُشهد العباس عليه السلام؟ ٢٠٣
النفحة السابعة ٢٠٧
منشأ «يا ليتنا كنا معكم» ٢٠٧
قيمة كل امرئ ما يُحسنه ٢١١
المعاشر الكربلائية ٢١٣
ما هو العرفان الشيعي؟ ٢١٤
أسلك سبيل الخُلّص ٢١٨
الدنيا والآخرة عند أهل الولاية واحدة! ٢٢٠
الحسين هو المقصد ٢٢٣
تلاوة آيات الرحمن ارتباطٌ وأنسٌ بالحسين عليه السلام ٢٢٦
النفحة الثامنة ٢٢٩
كل الوجود مندرج تحت وجوده ٢٢٩
لا تصديق مع غياب النسخة ٢٣٣
تلاوة القرآن لا تعني معرفته ٢٣٧
الشهيد هو صاحب الشهود للحقيقة ٢٣٩
بدء الوجود منهم وإيابه إليهم ٢٤١
من هو «الإمام المبين»؟ ٢٤٤
يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ٢٤٥
تصديق الشائعات موجبٌ للبلاء ٢٤٦
استهداف الحسين عليه السلام هو استهداف الله ٢٥٠
كيف تكون المعيّة مع الله؟ ٢٥١
شؤون عالم الوجود بيد الإمام الحسين ٢٥٢
دماء الإمام الحسين هي مقوّم الخلد ٢٥٥
المعصومون الأربعة عشر هم الحياة ومانحوها ٢٦١

أصل خلقة الشيعي ٢٦٢
نفحة من كربلاء ٢٦٤
ملحق ٢٦٧
الإنسان يموت ولكن أثره يبقى ٢٦٧
أثر العشق في وجود العاشق ٢٧١
ثمار العشق ٢٧١
وعُجنوا بماء ولايتنا ٢٧٣
صورة الدمعة في عالم البرزخ ٢٧٤
حبّ آل البيت عليهم السلام يهطل من السماء! ٢٧٥
بمقدار العشق، يبقى الأثر ٢٧٧
نبي الله عيسى عليه السلام ثمرة عشق ٢٧٧
العمل الطالح قد يظهر بولد! ٢٧٩
كيف خُلق العقل والجهل؟ ٢٨٠
هل تعرف الجهل وتعيّناته في زمانك؟ ٢٨٥
نور محمد صلى الله عليه وآله وسلم وظلمة الأوّل والثاني ٢٨٩
الإقرار والإنكار، والنور والظلمات ٢٩٣
الجهل يتولد منه كل رذيلة ٢٩٨
الاعتراف والقصاص ٢٩٩
العجل والسامريّ ٣٠٢
الأوّل والثاني المظهر الأتمّ للقبح والفساد ٣٠٦
العذاب وليد كتم فضائل عليّ عليه السلام ٣١٠
شرّ الأوّل والثاني لا يلحقه لاحق ٣١٠
ماذا يتولدّ من عِشرة النواصب؟ ٣١١
مَن أشقى، إبليس أم قاتلو فاطمة عليها السلام؟ ٣١٣
تخفّي الأبالسة في الدين ٣١٨
القائم يقتصّ من الشرّ ٣٢٢
كيف الخلاص من الجهل وظهوراته؟ ٣٢٤
لن تجد من دون الدمعة ملتحداً ٣٢٩
الفهرس ٣٣٣